

## العلوم النقلية في الجزائر خلال

العهد العثماني 10-13 هـ / 16-19 م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

بوشنافي محمد

إعداد الطالب:

عبو ابراهيم

### لجنة المناقشة

رئيسا	أستاذ التعليم العالي - جامعة سيدي بلعباس	لونيسى إبراهيم
مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي - جامعة سيدي بلعباس	بوشنافي محمد
مناقشا	أستاذ التعليم العالي - جامعة سيدي بلعباس	بلبراوات بن عتو
مناقشا	أستاذ التعليم العالي - جامعة معسكر	بوغوفالة ودان
مناقشا	أستاذ محاضر أ - جامعة وهران 1	حمدادو بن عمر
مناقشا	أستاذ محاضر أ - جامعة وهران 1	عباسي محمد

## آيات قرآنية

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ  
(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا  
لَمْ يَعْلَمْ (5) ."

دعاء

ربي لا تكشف عني سترك ما هيبت

و حررتني من نفسي وهفواتها

و لا تشغلني بما ليس لي به نصيب

وأخزي بي بفضلك عن من سواك.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى أسرتي

إلى الأساتذة الكرام

إلى كل الباحثين

أهدي هذه الثمرة تقديراً لنطائهم وتضحياتهم

## كلمة شكر وتقدير

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير وامتناني الخالص إلى:

أستاذي الدكتور المشرف "محمد بوشناقوي" الذي كان له الفضل في رعاية هذا

العمل وإخراجه إلى النور بتوجيهاته

وإرشاداته منذ اقتراحه موضوع رسالة إلى أن أثمر في حلتها الأخيرة.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة

الموقرة الذين شرفوني بمناقشة هذه الأطروحة.

كما أتقدم بالشكر إلى عمال المكتبة البلدية بمدينة معسكر الذين يبذلوا مجهوداً من

مصادر متعددة و مختلفة التي تملكها المكتبة.

و من جهة أخرى لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر لكل من قدم يد

المساعدة وأسأل إلي نصيحة وقدم لي عون من قريب أو بعيد.

## قائمة المختصرات.

### 1-باللغة العربية

ج: جزء

ط: طبعة

م: التاريخ الميلادي.

هـ: التاريخ الهجري.

دت: دون تاريخ.

د.ط: دون طبع.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

م.ت.م : المجلة التاريخية المغربية.

### 2-باللغة الفرنسية.

Edit: édition.

Ibid: Remplacer une référence déjà donnée mais a condition quelle soit citée dans le renvoi qui précède immédiatement.

imp. imprimerie

op. cit: Précédé du nom de l'auteur renvoi a une étude ou un article de cet auteur déjà mentionne plus haut.

R.A: revue Africaine

T: tom

Trad: Traduction.

# مقدمة عامة

بدأ اهتمامي بموضوع العلوم النقلية عند علماء الجزائر منذ مدة ليست قصيرة لأن رغبتني كانت شديدة لإضفاء الجديد على هذا الموضوع الخصب و الواسع وأقدم لبنة إضافية تكون منطلق صلب وعلمي للباحثين وللأجيال القادمة، مع العلم أن فترة دراسة هذه الرسالة تمتد إلى فترة تزيد عن ثلاثة قرون بمعنى كل فترة الوجود العثماني بالجزائر .

يندرج بحث العلوم النقلية عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م، بحكم أن الثقافة و العلم و علماء الجزائر خلال العهد العثماني مسألة ثقافية، سياسية لارتباطها بالهوية الوطنية و التراثية للمجتمع في الجزائر، وأن المعرفة الدقيقة لهذه الظاهرة الثقافية تصطدم بكثير من العوائق أهمها المخطوطات التي كاد أن يطمرها الجهل و النسيان، فمؤلفات علماء الجزائر لا تقدر بثمن وهي موزعة على كل البلدان و الجهات، و فيها أرخت سيرهم ونقلت إلينا شهاداتهم في عصر عزت فيه الكتابة والتدوين، وشحت علينا المصادر بالمعلومات لذلك أصبح الرجوع إلى هذه المخطوطات أمرا ملحا وعاجلا بالأخص تراث علماء القرنين التاسع و العاشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلادي الحافلين بالأحداث التاريخية والمصيرية يرونها شاهد عاش تلك الفترات والحقب التاريخية، توقّف عند ظواهر كثيرة وتساءل عن حوادث وأبدى رأيه فيها.

دراسة التاريخ الثقافي في الجزائر تعتمد بالدرجة الأولى على المخطوطات و المصادر التاريخية لكي نتجاوز العموميات، و الوقوف على مواد إخبارية جديدة من مصادر أخرى لم يقف عليها الباحثون حتى الآن مع عدم الإهمال ما تم بحثه في الكتابات و المصادر المختلفة مخطوطة كانت أو مطبوعة.

وعليه فإن أغلب المنصفين يعترفون بمكانة وعلو الثقافة الجزائرية والدور الكبير الذي لعبه علماء من أجل تقدم العلوم و رقيها في المغرب الإسلامي قاطبة من خلال حضورهم وعلومهم بين العواصم المغاربية وبشكل خاص في العاصمتين العلميتين فاس والقيروان، فأوضحوا كثيرا من الغموض الذي كان سائدا في الأذهان وبددوا العديد من الاتهامات الباطلة و فندوا الأكاذيب والإحكام المسبقة التي تحط من شأن و مكانة العلوم وعلماء الجزائر.

تعد الجزائر مجالا ثقافيا خصبا للتراث العربي الإسلامي ولم يقتصر دور العلماء فيه على المحافظة عليه بل تجاوزوا ذلك بإعادة إنتاجه وإثرائه ونشره على امتداد حقب تاريخية مختلفة في شتى مجالات المعرفة، وظلت الثقافة متجذرة و متأصلة رغم الظروف السياسية و التاريخية الاستثنائية التي مرت بها في مقدمتها الغزوات الصليبية على السواحل الجزائرية واحتلال المدن. -غير أننا لحضنا-رغم غزارة وتنوع التراث العربي الإسلامي الذي مكن له العلماء وامتداداته المغاربية و المشرقية فهي في الغالب اهتمامات فردية وجهود شخصية أو سياسية ظرفية لم تجعل منه مشروعا حضاريا محسوسا يتعزّز فيه الحاضر باستلهام الماضي والحديث بترشيد القديم-كما يذكر صاحب معلمة التراث الجزائري".<sup>1</sup>

إن المطلع على تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني سيكتشف بدون شك كثير من الشخصيات العلمية التي ساهمت في إثراء الحقل الفكري والعلمي والأدبي لأن كتبهم ومصنفاتهم أصبحت برامج للتدريس في كل من تونس وبني وطاس، والسعديين، والعلويين، ونخص بالذكر لا الحصر مصنف: "السلم المرونق" لعبد الرحمن الأخضر، و"العقائد الصغرى والكبرى" للعلامة السنوسي، و على الرغم من الشهرة الواسعة التي نالها علماء الجزائر رغم -الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة- إلا أن الدارس يلاحظ نقصا فادحا في التعرف على هؤلاء الأعلام وإرثهم الثقافي والعلمي، فالكثير من مؤلفاتهم ومخطوطاتهم ما زالت مجهولة يلفها النسيان- ونخص بالذكر- مخطوطات أبوراس الناصر الراشدي المعسكري الذي تعددت مؤلفاته و شملت جميع الفنون حتى زادت عن مائة وأثنين وثلاثين تأليفا وشملت كتب التفسير، الحديث، الأصول، الفقه، المنطق، اللغة، التصوّف، علم الكلام، التاريخ، الأنساب، الطب، ولولا جهود و أبحاث كل من: أبو القاسم سعد الله، وناصر الدين سعيدوني، ويحي بوعزيز، والبوعبدلي وغيرهم من المؤرخين لما أمكننا التعريف بهذه الشخصية المغمورة، وإن حصيلة الأعمال التراثية الجزائرية التي أخذت طريقها إلى عالم الطبع

---

<sup>1</sup> بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث، مراجعة د. عثمان بدري، الجزائر، 2007، ص6.

والنشر و التوزيع داخل الجزائر لم تتجاوز بضع عشرات من المصنفات مما كان له الأثر البالغ في تهميش الدور الحضاري للجزائر والثقافة العربية الإسلامية المتجذرة.

ورغم هذه الجهود المبذولة- في اعتقادنا- إلا أنها لم ترق الى ما قام به الباحثون المغاربة في جمع آثار وتراث علمائهم و نخصّ بالذكر مؤسسة التميمي بتونس في جمع تراث علمائهم و التعريف بهم. وعليه، يعتبر القرن التاسع الهجري من أوفر القرون خصوبة في المجال المعرفي بفضل ظهور العلماء الذين فاق عددهم القرون الثلاثة نظرا لغزارة المؤلفات والتدوين التاريخي، بينما عرف القرن العاشر انحطاطا ثقافيا كبيرا بسبب هجرة العلماء الذين تركوا البلاد إلى غير رجعة نحو البلاد المغاربية الأخرى نتيجة إهمال الحكام العثمانيين للعلم والعلماء وسيطرة ظاهرة التصوف وشيوع الدروشة و الجمود العقلي و التخلف السياسي، فالطرق الصوفية زادت انتشارا وتفرعا حتى بلغ عددها اثني عشرة طريقة معظمها ينتمي إلى الطريقتين القاديرية و الشاذلية، كما أن الحكم العثماني لم يشجع العلم و العلماء بالعطايا و الامتيازات.

والى جانب التخلف السياسي والجمود العقلي وشيوع الدروشة، نظر علماء القرن التاسع الهجري إلى علماء القرون المتأخرة نظرة إعجاب و تقديس فعكفوا يشرحونها و يكررونها بإضافة الحواشي الفقهية والعقائدية، كما ذكر هؤلاء الطوائف و النوادر و الأخبار و الحكايات و الاستطرادات المتنوعة. وما يمكننا استخلاصه، أن ثقافة علماء الجزائر العثمانية عربية إسلامية بامتياز، مشتركة في عالمنا الإسلامي في مناهجه العلمية، و معاهده التعليمية، و طرقه الصوفية الغيبية المنتشرة بالشرق والمغرب الإسلاميين<sup>1</sup> ذلك هو التراث الحقيقي للشعب الجزائري بمحاسنه و مساوئه، أشارك فيه الجزائريون بكل أطيافهم وخصوصية مناطقهم الجغرافية من ريف و مدن، وهذا التراث الثقافي هو الذي نستمد منه ذاتنا و شخصيتنا، وعلى حد قول الدكتور أبو القاسم سعد الله-رحمه الله-: " فالجزائري اليوم يجب أن يعتز بهذه الثقافة و الانتساب إليها لأن الشعوب التي ليس لها ثقافة ليس لها وجود"<sup>2</sup>.

أسباب اختيارنا للموضوع:

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص21.

<sup>2</sup> نفسه، ص24.

من الأسباب التي دفعتنا تناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل نذكر ما يلي:

- أولاً: رصد التراث الثقافي لعلماء الجزائر العثمانية وذلك من خلال الرجوع إلى مخطوطاتهم واستنطاقها ونبض الغبار عنها و التعريف بهؤلاء ومختلف علومهم وشهاداتهم خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين الحافل بالأحداث السياسية والتاريخية وهي إلى يوم هذا - للأسف الشديد- مازالت مادة خام بمختلف المخازن والمكتبات والرفوف داخل البلاد وخارجها تنتظر من ينبض عنها غبار النسيان، الأمر الذي شجعنا للبحث في هذا الموضوع.

- ثانياً: إظهار طبيعة الحياة العلمية والثقافية في الجزائر و العلوم السائدة، ومحاولة منا الوقوف على الأسباب الحقيقية وراء هيمنة العلوم النقلية على العلوم العقلية.

- ثالثاً: محاولة فهم بنية المجتمع الجزائري العوامل المتحركة فيه من خلال التعريف بالكتابات المتنوعة والمخطوطات المختلفة التي خلفها لنا علماء الجزائر العثمانية.

-رابعاً: إعادة الاعتبار لعلماء الجزائر خلال الفترة العثمانية من خلال التعريف بمخلفاتهم العلمية و ظاهرة التواصل الحضاري والثقافي بين الأقطار المغاربية التي استمرت رغم الخلافات السياسية القائمة.

-خامساً: توضيح و التعريف بموقف العثمانيين من الحياة العلمية و الحضارية التي لم تكن تحظ بالأولوية، فهؤلاء لم يكن تهمهم الثقافة ورجالها بقدر اهتمامهم برد العدوان الصليبي وتلجيم مخاطره، وجمع المزيد من الضرائب و الدنوش لمواجهة حاجيات الدايات والإنكشارية، غير أن الحكم عليهم جميعاً بعدم الاهتمام بهذا الجانب يكون غير موضوعي ويكون ظلماً في حق بعض بايات الذين شجعوا حركة التأليف و عملية النسخ وقربوا إليهم العلماء.

### طرح الإشكالية:

-ما هي مجالات الإبداع في العلوم النقلية؟- وما هي المحاور الأساسية بهذه العلوم؟

-وهل أوجدت العلوم النقلية مناخاً حيوياً للعلوم العقلية؟- وما هي حدود العلاقة بينهما؟.

- وما هي الإضافات خلال الفترة العثمانية؟ وما هي مظاهر التراجع والانحسار في تثبيت وتطوير مناهج العلوم النقلية؟. فهذه مجموعة من التساؤلات رأينا أنه من الضروري علينا أن نتطرق إليها ضمن عناصر الموضوع لعلنا نتمكن من تغطيتها حسب المادة العلمية المتوفرة.

ولتحقيق الغاية من هذه الأطروحة، جاءت المذكرة في خطتها الإجمالية تتكون من مقدمة وقسمين، و كل قسم يتكون من فصلين، كل فصل يتكون من مجموعة من العناصر بالإضافة إلى وخاتمة تتضمن استنتاجات عامة حول الموضوع، وألحقناها بعدة ملاحق و فهارس.

المصادر العربية:

تحتوي هذه المصادر المعتمدة على معلومات تاريخية و بيبلوغرافية قيمة لا يمكن للباحث الاستغناء عنها نذكر منها:

-مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر و التي حققها المرحوم أحمد توفيق المدني، وتعتبر مصدرا مهما عرفنا من خلاله العديد من الأولياء و العلماء رغم طابع سرد المعلومات الذي يميّزه.

-الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني للعالم ابن سحنون الراشدي وحققه المهدي البوعبدلي، وهو عبارة عن أرجوزة في فتح وهران الثاني، و يعتبر من المصادر الرئيسية التي نقلت لنا الأحداث أثناء وبعد الفتح الثاني لوهران، و من المصادر التي وقد أفادني كثيرا في التعرف بدور بالدور الرئيسي للباي محمد بن عثمان الكبير في نشر العلم و الثقافة من خلال بناء المدرسة المحمدية بمدينة معسكر والإنفاق عليها و على علمائها و طلبتها و مدّها بالأوقاف في إطار مشروعه الحضاري ببايليك الغرب. -منشور الهدايا في كشف حال من أدعى العلم و الولاية للعلامة عبد الكريم الفكون يتضمن هذا المصدر معلومات قيّمة تتصل بالحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية خلال القرنين 10/هـ و 11/هـ وكل ما يتعلق بدور الزوايا و العلماء و أدعياء العلم الذين يستغلون أملاك ضعاف العقول، و ذكر الفكون الوسائل التي كان بعض أدعياء العلم والولاية من الدجالين الكذّابين والمبتدعة يستخدمونها ليلا ونهارا للاستيلاء على أرزاق الناس بمختلف الحيل، و يعتبر هذا المصدر من أهم الكتب التي ساعدتني في التعريف بطبيعة الثقافة بالمدن و الأرياف بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.

-الرحلة القمرية في السيرة المحمدية لصاحبه: محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة فقد ذكر فيه تفاصيل حصار و فتح وهران الثاني 1792م و تسجيلها بعدما كلفه الباي محمد بن عثمان الكبير بهذه المهمة، و دور الطلبة و العلماء الذين تركوا الدراسة بالزوايا ثم توجهوا إلى وهران للمرابطة والمشاركة في تحرير وهران من الأسبان، فقد ذكر الرغبة في الجهاد، وحذر من يتغافل عنه، كما ذكر مآثر الباي محمد الكبير الحربية، ويعتبر الكتاب من المصادر الرئيسية التي لا غنى عنها للباحث في التعرف بكل تفاصيل وحيثيات الفتح الثاني لمدينة وهران من برائين الصليبيين الأسبان، و دور الطلبة في الفتح ثم إقلاع الباي نحو مدينة وهران.

-عجائب الأسفار ولطائف الأخبار للعلامة أبوراس الناصري العسكري ويعتبر كتاب: يعتبر مصدرا أساسيا ومستودعا للأخبار التاريخية رغم كونه لم يشمل جميع أخبار المتعلقة بفتح وهران الثاني، فجاء تأليف الكتاب أقرب إلى الرحلة بحيث تقاطعت المباحث الأدبية بالمباحث التاريخية، ذكر صاحب الكتاب: أنساب القبائل، وتطور فتح وهران وانجازات محمد الكبير، المآثر الجهادية والثقافية للباي محمد الكبير، وتطرق لأخبار بلاد السودان والحياة التجارية بها، وتاريخ الثعالبية في المدينة والمنتجة، كما يعرض أخبارا مفصلة عن رحلته لما كان عائدا من حجته الأولى، طلب الأسبان للصالح.

-رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي لصاحبه ابن هطال التلمساني، ذكر فيه:- التعريف بالباي محمد بن عثمان الكبير. اسمه-كنيته-لقبه، دوره في الحكم، استعداد الباي لفتح وهران، أعماله وانجازاته وهو بذلك من المصادر الرئيسية التي وقفت على عملية غزو بالباي محمد بن عثمان للصحراء والغرامات التي فرضها على أهلها والضرائب التي تحصل عليها ورجع بها.

-التحفة المرضية في الدولة البكداشية، لصاحبه محمد ابن ميمون الذي ألفه في سيرة الداوي "محمد بكداش" تقديرا ومحبة للداوي، ورغبة في التقرب إليه.ذكر ابن ميمون بشكل دقيق جميع أحداث الفتح الأول لوهران ليلة النصف الأول من شهر ربيع الأول سنة1119هـ النصف الأول من شهر جوان 1707م ، كما ذكر بروجها "برج العيون"، "برج بن زهوة".

- الرحلة الورثلانية، لصاحبه الحسين الورتيلاني ذكر على وجه الخصوص مكانة و عظمة المتصوفة الذين زارهم، وقد نعتهم بالصالحين وأصحاب العلم و المعرفة، مسلما ببركاتهم وكرامتهم، والكتاب صورة صادقة على ظاهرة التصوف في الجزائر العثمانية، و استفدت من الكتاب في معرفة تجربة الرحلة عن قرب بما ذكره صاحبها من طرق و مزارات و مساجد و عيون و قرى و مدن و طرق صحراوية و غيرها.

-المرآة، لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة و من خلاله تمكنا من معرفة على طبيعة النظام السياسي والقضائي بإيالة الجزائر، فالسلطة القضائية تشمل: حكمين، قاضيين، مفتيين، أحدهما مالكي وآخر حنفي ينظران في القضايا المحلية المختلفة وأحكامهما لا رجعة فيها.

-محدد السنان في نحر الإخوان، لصاحبه ابن الفكون في النوازل وعالج من خلاله مسألة الحشيشة و شرب الدخان التي انتشرت المسلمين. كان موقف شيخ الفكون معارضا وهاجم بشدة العلماء المتساهلين في المسألة كما ذكر صاحب الكتاب العلماء عارضوا شرب الدخان و علماء تسامحوا شربه بذرائع مختلفة.

- مقدمة ابن خلدون، لصاحبها عبد الرحمن ابن خلدون وهي من المصادر التي لا غنى عنها في معرفة و فهم حركية التاريخ و العمران وقيام الدول، عرف التاريخ على أنه:"فن عزيز و شريف"، وكثيرا ما وقع للمؤرخين مغالطات على الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل.

-رحلة ابن حمادوش المسماة: لسان المقال في لنبا عن النسب و الحسب و الحال، لصاحبه ابن حمادوش الذي يعد من المصادر الرئيسية في موضوع الرحالات التي قام بها الرحالة و من خلالها تعرفنا عن تفاصيل الرحلة لأنهم نقلوا لنا بعين يقظة الجوانب الاجتماعية و الثقافية للبلاد التي مروا بها نحو البقاع المقدسة من خلال ذكره للمدن التي مر بها ركب الحجيج وغيرها من المواضيع المتنوعة في الرحلة من تاريخ خروجهم من مسكنهم حتى وصول الركب إلى "ربغ" و دخول مكة المكرمة.

- الحاوي لنبذ من التوحيد و التصوف والأولياء و الفتاوي" لصاحبه-أبو راس الناصري المعسكري- قام بتحقيقه و تصحيحه عابدين بن حنيفة، وأبدى رأيه من موقف شرعي في كثير من قضايا التي يقوم

عليها الفكر الصوفي الممزوج بالعقائد الفلسفية الفاسدة و التي-في رأينا تتعارض- صراحة مع النظرة السليمة للفكر الإسلامي مثل:الاستغاثة بالأولياء، تصرف الأولياء في الكون، التضيق على النفس، رؤية النبي صلى الله عليه و سلم و غيره من المسائل و القضايا الحساسة في ميدان التصوف.

-أما في موضوع الأنساب فقد استعنت بمجموعة من المصادر التي لاغنى عنها في التعريف بهذا الموضوع الحساس والشيق في نفس الوقت نذكر منها: مجموع الحساب و النسب و الفضائل و التاريخ والأدب لصاحبه الهاشمي بن بكار، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس لصاحبه أحمد بن محمد التوجيني، مخطوط أبوراس الناصري في النسب، و من خلال هذه المصادر القيمة تمكنت من الإلمام بموضوع الشرف و مكانته عند أهل غريس و الراشدية، و من جهة أخرى هؤلاء مكانة الأشراف اجتماعيا و مكانتهم السياسية عبد الحكام الأتراك.-تاريخ الجزائر الثقافي ج1 و ج2، للباحث أبو القاسم سعد الله و يعتبر بحق موسوعة أخبار و معلمة تاريخية لا غنى عنها في معرفة مصادر و علماء الجزائر العثمانية، استفدت كثيرا من المرجعين في التعرف على الكثير من علماء وأخبارهم و سيرهم بما في ذلك علومهم النقلية التي اشتهروا بها، الأولياء و التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1530-1830م للدكتور عبد القادر الصحراوي، و يعتبر من المراجع الرئيسية في التصوف خلال العهد المذكور و استفدت من الكتاب في التعرف على الظاهرة و ذكر أسبابها و أهم رجالها المتصوفة بالجزائر.

العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن 10ه/16م للدكتور عمار بن خروف، وهو من المراجع الهامة في التعريف بطبيعة العلاقات بين الجزائر و المغرب خلال الأسر المغربية الحاكمة، كما ذكر أسباب الخلاف القائم بين البلدين رغم عوامل التقارب التاريخية و الاجتماعية و الحضارية،للدكتورة عائشة غطاس حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر الأساسية في التعرف على الوقف الأهلي بالجزائر بكل خصوصياته و تفرعاته و دوره في تقديم يد العون لكل محتاج و فقير،الجزائر في التاريخ العثماني، ج4للدكتور الباحث ناصر الدين سعيدوني- المهدي البوعبدلي، وللكتاب أهمية كبيرة في التعريف بثقافة الجزائر العثمانية، دور المساجد و الكتاتيب والأوقاف في نشر التعليم في الريف و المدينة.أوقاف مليانة و المدينة في العهد العثماني للدكتور ودان

بوغوفالة ويعتبر من المراجع الأساسية في التعرف على الوقف ودور الواقفين من الرجال و النساء في تنمية هذه المؤسسة الوقفية التي كانت عاملا رئيسيا في خدمة المجتمع الجزائري، إلى جانب عدد من الأطروحات الجامعية ذات قيمة علمية كبيرة مكنتني من التزود بكم هائل من المعلومات من الدراسات الأكاديمية التي خدمت الموضوع بشكل كبير نذكر منها:

- بلبروات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001/2002.

- بوجلال قدور: العلم و العلماء في بايليك الغرب 1711-1830م معسكر أنموذجا-مذكرة ماجستير، جامعة معسكر، 2008/2009.

- عبو ابراهيم: ثقافة المقاومة عند العلماء والمتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني 1815-1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2011-2012م.

- بوكعبر تقي الدين، مخطوط في الرد على أبي راس الناصري في قضية نسب أسرة المشارفة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، قسم التاريخ و علم الآثار، 2006/2007.

- مصدق سومية، أشرف غريس من خلال مصادر النسب ما بين القرنين السابع عشر و التاسع عشر للميلاد 17/19م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015/2016.

- **الفصل الأول جاء بعنوان: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني 1518/1830م** بينما من خلاله انتشار المراكز الثقافية من زوايا ومساجد وكتاتيب ورباطات والمكتابات وخرائن الكتب التي والتي لعبت دورا أساسيا في نشر العلم بالحواضر والأرياف والمناطق الداخلية المنعزلة وكان بناؤها يقوم بالدرجة الأولى على تبرعات المحسنين، ولا يتعدى مجهود الحكام في هذا الجهد مجهود الأفراد، وتعددت مهامها إلى مهام تعليمية تنقيفية، وظل الوضع الثقافي في الجزائر العثمانية يتميز بطابعه الصوفي وبجمود العلوم الشرعية واقتصارها على الفروع والشروح، وذكرنا أن المساجد لا تخلو منها مدينة أو قرية أو حي ولم يقتصر دورها على العبادة، بل تنشط الحياة العلمية ومنبرا للمناظرات

ومعالجة مشاكل السكان ومن أبرزها مساجد مدينة الجزائر، قسنطينة، بجاية، وهران، تلمسان، معسكر، واتخذنا من الجامع الأعظم بمدينة الجزائر "أنموذجاً". أما المدرسة فهي مؤسسة للتعليم يجمع مستواها بين الثانوي والعالي وتتعدد تخصصاتها بين العلوم الشرعية وبعض العلوم العقلية وهي بدورها انتشرت في مختلف الحواضر الكبرى واتخذنا من المدرسة المحمدية بمدينة معسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير "أنموذجاً"، كما أبرزنا مظاهر التأليف عند علماء المدرسة المحمدية، إلى جانب إسهامات الوقف في الحياة الاجتماعية مثل إسعاف الفقراء والمحتاجين وبذلك لم يترك الوقف كبيرة ولا صغيرة إلا وأدرجها ضمن اهتماماته نذكر منها أوقاف الحرمين الشريفين، مؤسسة سبل الخيرات، أوقاف أهل الأندلس.

- **الفصل الثاني جاء بعنوان:** اهتمامات علماء الجزائر وعلاقتهم بالسلطة السياسية خلال العهد العثماني. ولقد أبرزنا أن العلماء خلال العهد العثماني ثلاثة أصناف: صنف العلماء الموظفين والفقهاء المستقلين ثم العلماء المتصوفة الذين يرفضون المناصب وأخيراً المتصوفة دعاة العلم والمرابطين (الولاية).

حظيت طبقة العلماء في العالم الإسلامي بمكانة اجتماعية وروحية مرموقة، لما تميّزت به من احترام وتقدير في بلدانها وأوطانها، لذا سعى الحكام من اتقاء شرهم بسبب مكانتهم عند السكان، وسد الفراغ في المسائل الشرعية والدينية على أنهم حماة الدين والاستعانة بهم في رد الهجمات الأجنبية على البلاد تحت راية الجهاد، وبالإضافة إلى دورهم الروحي والتربوي كان لهم دور في المسائل الإدارية و القضائية، ومن جهة ثانية مارس العلماء وظيفة الإفتاء والتدريس بفضل مكانتهم الدينية و العلمية وهؤلاء أصبحوا من حيث لا يعلمون يبتعدون عن الأهالي وينظرون إليهم نظرة فوقية بسبب نمط حياتهم الرفيعة.

ومن جهة أخرى، ذكرنا مستوى وأخلاق علماء الجزائر العثمانية كنفسي ظاهرة الحسد، الوشاية، النفاق الاجتماعي، الرشوة للحصول على المناصب الدينية بما في ذلك الاستيلاء وبيع أملاك الأوقاف.

أشرنا إلى طبيعة العلاقات السياسية المضطربة بين الجزائر ومحيطها ( مملكتي بني وطاس، السعديين-تونس) وهذا الواقع السياسي لم يمنع التواصل الثقافي بفضل تنقل المغاربة والجزائريين

أفرادا وجماعات بصفة دائمة أو مؤقتة في هذا البلد أو ذلك. ومن جهة ثانية، كما تحولت مدينتي الجزائر وقسنطينة إلى أحد المحطات التي تشد إليها الرحال من طرف العلماء المغاربة بفضل علمائها الجهابذة مثل سعيد قدورة، علي الأنصاري، عبد القادر الراشدي.

رفض العلماء والمتصوفة السياسة الضريبية والقتل والنفي ومصادرة الأملاك التي انتهت بسلسلة من الثورات قادها هذه المرة العلماء والمتصوفة ذكرنا منها ثورة ابن الأحرش والثورة الدرقاوية.

- **الفصل الثالث** جاء بعنوان: العلوم النقلية عند علماء الجزائر، وقد حاولنا من خلال هذا الفصل التعرض لأهم العلوم النقلية التي خاض فيها علماء الجزائر ونخص بالذكر علم الكلام: ويعرف كذلك بعلم التوحيد و هو من أهم العلوم الإسلامية و أشدها حساسية لأنه يهتم بدراسة العفائد الإسلامية الحقة والدفاع عنها، مقابل آراء أهل البدع والشبهات ومن أبرز العلماء الذين ساهموا في هذا العلم وأضافوا إليه الشيخ محمد السنوسي التلمساني، الذي اتخذناه- أنموذجا- في التعريف بهذا العلم الشرعي من خلال كتبه المتعددة واهتماماته الموجهة نحو هذا الجانب من خلال من مؤلفاته: شرح العقيدة الوسطى و العقيدة الصغرى المشهورة بالسنوسية أو أم البراهين، وعلم تفسير القرآن الكريم. أهتم علماء الجزائر بعلم تفسير القرآن لأنه أساس العلوم النقلية و العقلية و في حياة المسلمين و نظامهم في الفقه و التشريع، وذكرنا أبرز علماء التفسير منهم: أحمد بن علي يوسف بن تقي الدين أبو العباس البوني. من خلال كتابه: إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن، سعيد بن أحمد أبو عثمان المقري من خلال كتبه: تأليف: "إعراب القرآن-. تفسير كبير و صغير- تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: " ثم أورتنا الكتاب"، -عيسى بن سلامة البسكري. له تفسير: - اللوامع والأسرار في مناقب القرآن والأخبار. أما علم الحديث ذكرنا من خلاله اهتمام علماء الجزائر العثمانية لهذا العلم رغبة منهم في محاولة معرفة وفهم أكثر الجوانب المختلفة للنبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة حتى تتجلى الصورة المشرقة للإسلام كما عاشها وفهمها النبي الأعظم وبقية الرعيل الأول من الصحابة الكرام، و من أبرز هؤلاء العلماء ذكرنا:

-العلامة أبو راس الناصري من خلال مؤلفاته و ذكرنا منها على وجه الخصوص:

- الآيات البيّنات في شرح دلائل الخيرات.- مفاتيح الجنة وأسناها في الأحاديث التي اختلف في معناها. السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى.-النور الساري في شرح صحيح البخاري، في ستة أسفار. **علم القراءات الأنصاف القرآنية** وبيّن أن علماء الجزائر اشتهروا بتدريس علم القراءات وظهر على إثرها عدة مراكز علمية لتدريس هذا الفن وذكرنا منها: منطقة زواوة التي كانت مقصدا لكثير من طلبة وعلماء المغرب الإسلامي. أما علم الأنصاف القرآنية فهو لا يقل أهمية عن العلوم الشرعية الأخرى وانتشر في العديد من الحواضر الكبرى، ويساعد هذا الفن في حفظ القرآن الكريم وإتقان رسمه وضبطه.

-**علم السيرة النبوية المطهرة** ويقصد بها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو العلم المختص بجميع ما ورد من وقائع حياة نبي الإسلام محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم، وصفاته الخلقية والخلفية، مضيفا إليها غزواته وسراياه، وذكرنا أبرز علماء الذين ساهموا في هذا العلم ذكرنا:- أبو العباس ابن القنفذ القسنطيني من خلال مؤلفه الموسوم:- وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، -أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري من خلال مؤلفه:-حاشية على الخفاجي المصري، - أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني، من خلال مؤلفاته:

-الثمار المتصهرة في مناقب العشرة- رضي الله عنهم-إعلام الأعلام بشفاء الآلام في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم.-**علم الفقه**: يعد من أهم العلوم النقلية التي كتب فيها علماء الجزائر كما ونوعا لأنه مرتبط بالعبادات و المعاملات، ذكرنا من هؤلاء العلماء:

-عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الأخضرى من خلال مؤلفه:مختصر في فقه العبادات: هو متن اشتهر باسمه" مختصر الأخضرى"، يتعرض فيه للطهارة وأقسامها، وللصلاة وفرائضها وشروطها ويختتمه بباب السهو، وهو على فقه الإمام مالك، احمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني من خلال مؤلفه:

- جامع الاختصار والتبيان.-الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، والعالم احمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي.من خلال مؤلفه:-نظرة الإخوان إلى احتجاج الفقهاء

بالبرهان، احمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، من خلال مؤلفه: رسالة في مسألة الوقف، محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد العنابي. وله: شرح الدر المختار. رسائل فقهية في الزكاة والفطر. علم النحو: فقد ألف علماء الجزائر العديد من المؤلفات التي ما زالت مخطوطة في المكتبات المختلفة ومن أهمها نذكر: أبو العباس أحمد الشماخي، ومن مؤلفاته ذكرنا: رسالة في الأسم والمسمى - إعراب مشكل الدعائم - والعالم احمد الطيب بن محمد الصالح العيساوي الزواوي ومن مؤلفاته ذكرنا: مفيد الطلبة. احمد بن قاسم محمد بن ساسي البوني: من مؤلفاته ذكرنا: نظم الأجرومية. مخطوط يقع في تسعين بيتا.

-الفصل الرابع: جاء بعنوان العلوم الاجتماعية عند علماء الجزائر، و هي مجموع العلوم التي خاض فيها علماء الجزائر بالكتابة و التصنيف وتركوا لنا تراثا هائلا ضم على وجه الخصوص:

النوازل و التي عرفها العلماء بأنها: المسائل و المستجدات الطارئة على المجتمع بسبب توسع الأعمال، وذكرنا منها:

-مسألة تعاطي الحشيشة وشرب الدخان التي انقسم حولها العلماء بين رافض ومخالف وأشرنا إلى آراء كل من العلامة الفكون، أبو راس الناصر، الورثياني، أحمد المقرئ التلمساني-نازلة: شرب القهوة، وأشرنا إلى آراء العديد من العلماء ومنهم الورثياني، أحمد المقرئ التلمساني.

علم التاريخ: ذكرنا أن التاريخ لم يرق إلى مستوى علم له ضوابطه العلمية والمنهجية مثلما هو عليه الحال اليوم لذلك طرحنا عدة أسئلة لتفسير الظاهرة التاريخية بالجزائر و حاولنا الإجابة عليها بالتحليل التاريخي و السرد للحوادث التاريخية الرئيسية التي عرفت الجزائر و أبرز المؤرخين الفترة العثمانية ذكرنا منهم: مسلم بن عبد القادر الوهراني، عبد القادر المشرفي، محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني، محمد بن ميمون الجزائري، أبوراس الناصري المعسكري، ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، كما ذكرنا أن بعضهم كان من الفقهاء، والقضاة، والمدرسين، حملوا على عاتقهم إحياء التاريخ.

علم الأنساب: بيّن أنه من المواضيع الحساسة والشائكة في الوطن الراشدي نظرا لتركيبية السكان واهتمام العام والخاص به، إن المكانة السامية التي تمتع بها أشرف غريس عبر العصور جعلت السلطات العثمانية تعتمد عليهم و مشاركتهم في حل الكثير من مشاكل، و من أهم المؤلفات التي اعتمدنا عليها في دراستنا المتخصصة في العائلات الشريفة نذكر:

-جوه العقول في ذكر آل الرسول لعبد الرحمان بن محمد الفاسي:- - روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار لمحمد بن علي الشريف التلمساني،- سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول لعبد الله بن محمد بن الشارف ابن سيد علي الحشلاف، -إثماد الأبصار في الاختصاص بالأشراف الأخيار،-مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب لبلهاشمي بن بكار.

-التصوف. ذكرنا أنه جزءا أساسيا من التراث الإسلامي وأنه ليس ظاهرة إسلامية بل أن جذوره يمتد إلى الفكر الديني، ومن أبرز العلماء الجزائري ذكرنا كل من: عبد الرحمن بن عامر الأخضرري، أحمد بن ثابت البجائي، محمد بن السعيد الورثيلاني، أحمد بن العطار القسنطيني، ومن جهة ثانية اتخذنا من كتاب: "الحاوي" للعلامة أبو راس الناصر أنموذجا.

الرحلات: يعد أدب الرحلات من بين الحقول الخصبة التي نبع فيها العرب قديما، قام علماء الجزائر برحلات متعددة خارج ديارهم أو داخلها وطافوا بأنحاء شتى من بلدان العالم ولا سيّما نحو المشرق العربي و كان هؤلاء فقهاء وقضاة وأدباء، أي أنهم كانوا بمثابة الطبقة المتقفة في عصرهم فكانوا حريصين كل الحرص على تدوين وتوثيق دقائق رحلاتهم ومجرياتهما وذكرنا منها الرحلات العلمية و منها:

1/رحلة ابن حمادوش الجزائري.

2/رحلة أبو علي بن فكون القسنطيني.

3/رحلة عاشور بن موسى القسنطيني.

4/رحلة محمد المصطفى بن زرفة-.

و من جهة ثانية ذكرنا الرحلات الحجازية وهي أكثر وفرة من الرحلات العلمية ومنها:

- عبد الرزاق بن محمد أبو محمد ابن حمادوش الجزائري، عاشور بن موسى القسنطيني، أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني، سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، ابراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني المصعبي.

الشعر. عرف العهد العثماني ظاهرة إهمال الشعر و رجاله وأن دواوين شعراء الجزائر ما زالت مجهولة و مطمورة ولم تعرف بعد الجمع و التحقيق، كما بيّنا من خلال المراجع أن الشعر ارتبط بالسياسة والمناسبات مثل تحرير المدن أو صد الغارات المسيحية ضد الجزائر، ومن جهة أخرى أن باشاوات الأتراك لم يكونوا يتذوقون الشعر ولم يشجعوا الشعراء عليه وذكرنا من هؤلاء سعيد المنداسي، سليمان بن علي التلمساني، المقري، ابن عمار، ابن سحنون، الذين لهم دواوين في الغزل، المدائح النبوية، الفخر، الوصف، مدح الأمراء غير أن هذه الدواوين ما تزال مخطوطة، ومن جهة ثانية أنتشر بين الشعراء ظاهرة الشعر الملحون (العامي) على الفصيح.

وأنهينا موضوعنا بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة للموضوع، وإعطاء تقييم شامل للموضوع.

وفي الأخير لا يفوتنا أن نرفع شكرنا إلى كل من قدم لنا يد العون و المساعدة على إخراج هذه الرسالة إلى النور من قريب أو بعيد، وأخص بالذكر أستاذي المشرف البروفسور: محمد بوشنافي" الذي كان خير عون و مساعد على إنجاز هذا الموضوع الصعب و المتشعب بتوجهاته و نصائحه القيّمة، ولا يفوتها التنويه بعمال المكتبة البلدية الذين قدموا مختلف المراجع و المصادر التي كنا في حاجة إليها والوصول بهذا البحث إلى غايته.

### الصعوبات:

في مثل هذه البحوث والدراسات التاريخية الأكاديمية، واجهتنا مجموعة من العراقيل والصعوبات التي كانت متصلة بالمادة وجمعها من خلال الأرشيف والمصادر المتعلقة بالموضوع وخصائصه نذكر منها:

\* صعوبة الموضوع وتشعبه ومعلوماته الغزيرة التي يصعب التحكم فيها.

\*قلة المؤلفات والأبحاث المتخصصة في فترة دراستنا بسبب تشعب الموضوع .

\*أن أصحاب ومالكي المخطوطات لا يتعاونون مع دارسي وباحثي المخطوطات خوفا عليها وتوجسا من طالبها.

\* لا تزال أغلب المخطوطات بالمكتبة الوطنية والمكتبات الخاصة تنتظر من ينفذ عنها الغبار وما زالت مادة خام.

ورغم هذه الصعوبات والعوائق تمكنت من جمع وحصر قدر معتبر من المادة التاريخية وبعض المخطوطات والتي كانت كافية بتحديد الأفكار الرئيسية في الرسالة، وبالتالي تمكنا من التغلب على هذه المصاعب وتذليلها بفضل التوجيهات الهادفة للأستاذ المشرف البرفيسور" بوشنافي محمد" الذي لم يبخل علينا بنصائحه في سبيل انجاز هذه الرسالة وإتمامها على أحسن وجه.

القسم الأول

الظروف السياسية و الثقافية  
في الجزائر

# الفصل الأول

التعليم في الجزائر خلال العهد  
العثماني

الفصل الأول

التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني 1518/1830م.

1/ المراكز الدينية.

2/ المراكز العلمية.

3/ دور الوقف في نشر التعليم بالجزائر العثمانية

خلال العهد العثماني انتشرت المراكز الثقافية بالجزائر و نعني بها الزوايا و المساجد و الكتاتيب و الرباطات و التي كان لها دورا محوريا في نشر التعليم و تطويره في المدن و القرى في ظل غياب معاهد كبرى و جامعات على غرار ما كان موجودا في البلدان الإسلامية الأخرى.

إن التعليم في الجزائر العثمانية لم يقتصر على مكان واحد أو منطقة جغرافية محددة، بل أنتشر في مراكز علمية مختلفة حسب طبيعة كل منطقة جغرافية وسكانية من المغرب الأوسط وكذلك بفضل تلة من العلماء العاملين منهم من شد الرحال إلى عواصم العلم مكة والمدينة وبغداد ودمشق والقاهرة ثم رجع إلى وطنه يبتث العلم، ويصلح أحوال الناس ومنهم من بقي بالمشرق يجول عواصمه تارة طالبا للعلم، وتارة ناشرا له حتى وفته المنية، ومنهم من لم يغادر بلده و بقي منزويا بها، بالإضافة إلى البيوتات العلمية التي توارثت العلم والإمامة و التدريس والقضاء نذكر من بينها: عائلة المشارف، عائلة ابن تهمي، عائلة الخروبي، عائلة مصطفى بن المختار، عائلة المقري، عائلة آل الفكون، عائلة ابن باديس، وغيرهم كثير من العائلات الشريفة التي أولت عناية خاصة لتأسيس الزوايا و معاهد العلم و مدارس التعليم و يوظف بها أجل العلماء و المدرسين ليقصدها الطلبة من كل الآفاق و الأمصار<sup>1</sup>.

يعود انتشار المدارس إلى مطلع القرن الثامن الهجري خصوصا بالحواضر الكبرى التي كانت توفر المأوى والإطعام للطلاب الغرباء، ولا يلتحق بها إلا من بلغ العشرين من العمر وله نصيب من العلم يؤهله لحضور المجالس العلمية ومواصلة مشواره التعليمي<sup>2</sup>، في هذا الباب يشير الونشريسي: " أن النشاط التعليمي كان يزاول في مؤسسات مختلفة من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا، وأن التعليم يتم عبر مراحل تتم أولها في الكتاب، وكان غير مسموح للصبيان بالتعلم داخل المساجد حفاظا عليها

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص229.

<sup>2</sup> الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، ج7، تحقيق محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، المغرب، 1981، ص266.

من النجاسة<sup>1</sup>... كما أجزى للمعلمين تقاضي أجور حتى يتفرغوا لوظيفة التعليم دون سواها، علما أن الانتصاب للتعليم لم يكن يتطلب إجازة من الشيخ بل هو ميسر لكل من عرف عنه العلم<sup>2</sup>.

وقبل ذكر هذه المراكز قمنا التعريف بها وفعاليتها داخل الوسط الاجتماعي، وما مدى تأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية، وكيف ساهمت بشكل فعال في نشر العلم و المعرفة بحواضر وريف الجزائر العثمانية.

### أولاً: المنشآت الدينية:

لا تكاد المؤسسات الثقافية في الجزائر العثمانية تخرج عن نطاق المسجد و الزاوية و المكتبة، كما لم يكن بين هذه المؤسسات جامعة أو معهد عال، وتعد الأوقاف أكبر مؤسسة تغذي هذه المراكز الثقافية.

#### 1/ المساجد :

كلمة المسجد في المعنى اللغوي مأخوذ من مادة: "السين و الجيم و الدال"، ومن فعل سجد، سجود أي وضع جبهته على الأرض.

يقول ابن منظور: "سجد بمعنى خضع، و منه سجود الصلاة والخضوع أعظم منه"<sup>3</sup>، و المسجد بكسر السين المهملة يطلق على الحصير الصغير<sup>4</sup>.

المساجد ظاهرة بارزة لا تخلو منها مدينة أو قرية أو حي في الجزائر، وكانت مدن الجزائر العثمانية تشمل على مسجد يطلق عليه اسم "الجامع الكبير" الذي يمثل معهدا للتعليم<sup>5</sup>، ولم يقتصر دورها على العبادة وأداء الصلاة، بل في تنشيط الحياة العلمية والثقافية بوصفه المهد الأول للتعليم منذ فجر الإسلام،

<sup>1</sup> نفسه الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع .... ج7، مصدر سابق، ص36.

<sup>2</sup> الونشريسي، المعيار العرب.... ج5، مصدر سابق، ص331.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج4، ط8، بولاق، 1900، ص187.

<sup>4</sup> أبو الحسن العسكري، كتاب التصحيف و التحريف، ج1، القاهرة، 1808، ص167.

<sup>5</sup> مسعود العيد، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني" سيرتا، العدد3، مايو 1980، ص64.

ومنبرا للمناظرات العلمية إضافة إلى معالجة مشاكل السكان ومشاكل الحياة اليومية للمجتمع<sup>1</sup>، والتحريض على الجهاد، ومركزا قضائيا ومقرا للمفتي الحنفي والمجلس العلمي<sup>2</sup>.

واشتهرت المساجد بتسميات متعددة خلال العهد العثماني، بعضها يرجع إلى التوزيع الحرفي المنتشر في المنطقة أو إلى أسماء الحرفيين الذين يرتادونها مثل مسجد: الشماعين، والخياطين، والحلفاويين، والكبابطية... والبعض الآخر هو الغالب يرجع إلى أسماء الأشخاص، إما أنهم يكونون من مؤسسي هذه المساجد كعلي بتشين، و عبد الله صفر، أو رجال صالحين كسيدي عبد الله، و سيدي محمد الشريف، و بعض الأحيان إلى اسم المجدد، و تارة تكون تسمية المسجد حسب موقعه المميز، كمسجد "البراني" الذي يقع خارج الحصن القصبة، و مسجد "كتشاوة" نسبة إلى الهضبة التي كانت تنتشر بها المعز<sup>3</sup>

عرفت هذه المنشآت الدينية التعليمية انتشارا واسعا و عمّت جميع المدن تقريبا شرقا و غربا، فأقليم قسنطينة الذي اشتهر بالعلم و العلماء اشتمل على عدد كبير منها، و تختلف الإحصاءات حول مساجد قسنطينة ففي عهد صالح باي الذي اعتنى بإحصاء المساجد وترميمها وتشبيدها، بلغت كما جاء في السّجل الذي أمر به خمسة وسبعين مسجدا أو جامعا، بالإضافة إلى سبعة مساجد تقع خارج المدينة<sup>4</sup>.

أما مدينة بجاية فقد اشتهرت هي الأخرى بكثرة المساجد القديمة والحديثة، ومن أحدثها الجامع الكبير الذي أمر ببنائه مصطفى باشا سنة 1212هـ/1797م<sup>5</sup>، وقد اهتم الحكام العثمانيون ببناء المساجد والعناية بها وخصّصت لها أوقاف لتكون المورد الرئيسي لهذه المساجد<sup>6</sup>، فالمسجد هو أصل العلم و التعليم في الإسلام، ومنه تفرعت بقية معاهد التربية والتعليم كالمدارس والرباطات والزوايا، وكانت المساجد أكبر معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة، وأصبح الكثير منها عبر العصور أكبر معاهد للثقافة والحياة العلمية.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، مجلة الثقافة، العدد 63، 1981، ص12. - أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص12-13.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص244.

<sup>3</sup> مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر و زواياها و أضرحتها في العهد العثماني، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص74.

<sup>4</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص248.

<sup>5</sup> نفسه، ص249.

<sup>6</sup> نفسه، ص244.

وبغرض قيام المساجد بوظائفها المتعددة من عبادة و تعليم و تربية، ساهم الكثير من المحسنين في تقويتها من خلال أموالهم الموقوفة على القائمين بها من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقائمين على رعايتها وتظيفها وإضاءتها، إذ يسروا للجميع أسباب السكن و المعيشة<sup>1</sup>، و غالبا ما يكون وكيل المسجد من يقوم بالإشراف على هذه الأملاك والأموال الموقوفة من حيث إدارتها وإنفاقها على أوجه البر، من تعليم و ممارسة للشعائر الدينية والقيام بمراسيم الزواج و الطلاق و غيرها من مسائل أخرى خدمة ومنفعة لأهل البلدة.

انتشرت المساجد بكثرة بالمدن و القرى التلية و الصحراوية على السواء بفعل التضامن بين الأهالي و العثمانيين ، ولم يقتصر دور المساجد على التعليم الديني بل كان ملتقى العباد و مجمع الأعيان و منشط الحياة الاجتماعية، و من أبرزها نذكر:

أ- مساجد مدينة الجزائر.

-مسجد ستي مريم المعروف بمسجد بن نيقرو.

-مسجد علي بتشين.

-مسجد القشاش: ذكره أبو رأس الناصري في عجائب الأسفار ولطائف الأخبار عندما زاره لأول مرة سنة1204هـ، وهو في طريقه إلى الحج.

-مسجد باب الجزيرة أو مسجد شعبان خوجة.

-مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

-مسجد كتشاوة: يعد من أشهر مساجد الجزائر، يقع بقلب مدينة الجزائر، وينتصب كقلعة أثرية شامخة قبالة ساحة حي القصبة حيث انتهى من بنائه وتصميم صومعته الضخمة في ربيع سنة 1021هـ/1792م<sup>2</sup>، و يعتبر المسجد الوحيد الذي أمدنا الأرشيف الفرنسي بمخططاته المعمارية، ورسومه الداخلية التي كانت مطابقة للوصف الذي تركه لنا العالم "التمغروطي" في كتابه: النفحة

<sup>1</sup> أبو العباس بن يحيى الوئشريسي، المعيار المغرب والجامع.....، ج7، مصدر سابق، ص334.

<sup>2</sup> L.CH.Féraud."Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine". R.A. volume12.année1868.pp121-130.

"المسكية في السفارة التركية" بالرغم من أن المظهر الخارجي بسيط جدا، وهو ملاصق لقصر حسين باشا، وقد قامت الإدارة الفرنسية ببناء كاتدرائية مسيحية بعد أن حولته إلى كنيسة قبل تهديمه نهائيا في السنوات الأولى من الاحتلال<sup>1</sup>.

#### 1-2: مساجد قسنطينة:

تساهم الكتابات الأثرية مساهمة في غاية الأهمية في تأريخ المنشآت المعمارية والأعمال الفنية، وبمدينة قسنطينة منشآت معمارية يرجع لها الفضل في تحديد تاريخها، ومن أبرز المساجد:

#### \*الجامع الكبير:

يعد أقدم مسجد بقسنطينة والذي ما زال قائما إلى يومنا هذا، وتختلف الروايات التاريخية حول تاريخ بنائه، فحسب المؤرخ<sup>2</sup> Charbonneau فإن بناء المسجد كان مع نهاية القرن 7هـ/13م مستندا على كتابة شاهدة عثر عليها في الجامع نفسه، غير أن الأستاذ بورويبة يؤكد أن المسجد يرجع تاريخ بنائه إلى سنة 530هـ/1134م<sup>3</sup>

\*جامع سوق الغزل: حول إلى كنيسة بعد الغزو الفرنسي.

#### \*الجامع الأخضر:

\*جامع سيدي الكتاني:

1 / المسجد الكبير.

2 / المسجد الكبير وهو تابع للوقف الإسلامي.

4 /مسجد الكتاني وهو تابع للوقف الإسلامي.

5 / المسجد الكبير لرحبة السوق حول إلى مستشفى بعد الغزو الفرنسي.

6 /مسجد سيدي مفرج.

<sup>2</sup> Op. cit.P118..

<sup>2</sup> Charbonneau. A .inscriptions arabes de la province de Constantine. In annuaire de la société archéologique de la province de Constantine.1856-1857. P81.

<sup>3</sup> رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص71.

7/ مسجد سيدي مخلوف.

8/ مسجد سيدي عبد القادر.

9/ مسجد سيدي أحمد بن الأناس.

10/ مسجد سيدي وارد.

3-1 مساجد مدينة عنابة.

1/ مسجد عنابة الذي أنشأ سنة 1212هـ/1797م من طرف مصطفى باشا، وهو أكبر مسجد في

ظل الوجود العثماني.

-جامع الكبير، سيد موهوب، صافية، بريدجا، السوق، لالة فاطمة، أحمد النجار، إليس.

4-1: مساجد مدينة وهران.

1 / مسجد خنق النطاح. يعرف كذلك بمسجد "كاركانطا" تم تحويله إلى كنيسة "st croix" سان

كروا سنة 1844. أما المسجد الذي بناه مصطفى بوشلاغم فقد حوّل بدوره إلى كنيسة "سان أندري"، و

هو مسجد البرانية أو بني عامر وهو حاليا يحمل اسم مسجد عبيدة ابن الجراح سنة 1844<sup>1</sup>.

2/ مسجد سيدي الهواري.

3/ مسجد الباشا، أنشأ نهاية القرن 18م.

4/ مسجد محمد بن عثمان الكبير.

5-1: مساجد مدينة تلمسان.

1/ المسجد الأعظم (المسجد الكبير): يقع في قلب مدينة تلمسان العتيقة إلى غرب من قلعة المشور

المشهوره بعلوها وضخامة أسوارها، أسس سنة 530هـ/1136م بأمر من المرابطي علي بن يوسف بن

<sup>1</sup> أنظر يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر. 2009، ص29.

تاشفين، وأشرف على بنائه القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي، و تحول الجامع الكبير إلى شبه جامعة إسلامية حيث تلقى فيه الدروس تضاهي تلك التي كانت تلقى بجامع القرويين بفاس و الزيتونة بتونس.

2/ مسجد سيدي أبي الحسن التنسي: يقع قرب المسجد الأعظم، وقد أسسه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 1296/696م وظل المسجد يؤدي رسالته العلمية والحضارية إلى غاية الاحتلال الفرنسي حيث حول إلى متحف للفن الإسلامي.

3/ مسجد المشور: يقع داخل قلعة المشور الضخمة وليس هناك تاريخ محدد لبناء هذا المسجد ويبدو أنه أسس سنة 1123/517م.

4/ مسجد العباد: المسجد كان عبارة عن رباط سيتعبد به المتعبدون و المتزهدون برابط فيه المجاهدون و المدافعون عن البلاد و المدينة. في نهاية القرن 6/هـ 12م قصد إليه الولي الصالح أبو مدين شعيب الأشبيلي الذي دفن به عام 1197/596م فاشتهر الحي به وأصبح يعرف بعباد" سيدي بومدين".

5/ مسجد سيدي الحلوي: ينسب إلى الشيخ العالم أبي عبد الله الشوذي قاضي إشبيليا سابقا والذي لقب بالحلوي عندما استقر بتلمسان لأنه كان يوزع الحلوى على أبناء الحي الذي يعيش فيه، في سنة 1353/754م أمر السلطان المريني أبو عنان بتشديد مسجد تكريما لهذا العالم.

6/ مسجد السلفية: شيد المسجد خلال العهد العثماني يقع شمال ساحة المدرس(ساحة الشهداء) بحي سيدي اليدون الولي الصالح المدفون بإحدى زوايا المسجد و يعرف باسم ابن حمادوش.

### 1-6: مساجد قصور جنوب غرب الجزائر:

تتميز هذه المساجد بأنها بسيطة و متواضعة في بنائها و متقشفة في أثائها وتجهيزها، فهي مبنية أساسا من الطوب و الحجر، صوامعها منخفضة و فراشها بسيط من الحصير و الزرابي، كما أننا نجدها

قد اختلفت من حيث الحجم و الاتساع بسبب" أن مساجدهم تدل على عددهم من قلة أو كثرة، لأن الناس لا تبني إلا على قدر عددها غالبا"<sup>1</sup>، و من أبرز هذه المساجد نذكر:

-المسجد العتيق الذي يعود تأسيسه سنة520هـ/1514م.

-مسجد سيدي محمد بن أبي زيان بالعوينة.

- مسجد سيدي أمحمد بن موسى الكرزازي بأكدال.

-مسجد زاوية كنتة، أسس سنة999هـ/1590م<sup>2</sup>.

-مسجد قصر تتلان، أسس سنة1058هـ/1648.

ومما يمكننا استنتاجه أن المساجد بالجزائر أدت دورا في غاية الأهمية من حلق الذكر ودروس العلم وإقامة الصلاة والتدريس اللغة وقواعدها والحديث والفقہ و غيرها من العلوم الدينية، ومن جهة أخرى نذكر الأعمال غير الأخلاقية وغير الشريفة للإدارة الفرنسية التي تنكرت مبكرا للوعود التي قطتها على نفسها لسكان الجزائر على حرية العبادة و العقيدة الإسلامية لمجموع السكان، كما نص عليه صك الاستسلام الذي وقعه الداوي حسين والجنرال De Bourmont "دو بورمون" الفرنسي، ولقد نددت الصحف الفرنسية نفسها بهذه الحماسة وهذه البربرية واعتبرته: actes de vandalisme، حيث صرح رئيس المجلس الفرنسي أن المساجد لا يمكن نقلها أو تدميرها"<sup>3</sup>.و على خلاف السخط العام للجزائريين على سياسة الإدارة الفرنسية اتجاه المؤسسات الدينية و الثقافية وتبني خيار الهدم الهتمي للمقومات الحضارية، ها هو الكاتب:"كاموسات camusat يذكر ما يلي:"أن الأهالي تنازلوا عن بعض

<sup>1</sup> محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح فرج محمود فرج، د.م.ج.الجزائر، 1977، ص24.

<sup>2</sup> مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن12هـ، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص132.

<sup>3</sup>قبتالي هوارى، السياسة الفرنسية اتجاه الدين الإسلامي ومؤسساته بالجزائر1830-1962، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم، جامعة وهران-1، الجزائر، 2016، ص50.

المساجد عن طيب خاطر و دون معارضة تذكر لكي تتحول إلى كنائس في كل من سكيكدة، والبليدة، والمدية، ولقد تم استبدال الهلال بالصليب معلنا سيادة الصليبية في هذه البلاد<sup>1</sup>.

إضافة إلى ماسبق، ذكر *venture de paradis* فانثير دي برادي<sup>2</sup> أنه وجد بمدينة الجزائر اثني عشرة جامعا كبيرا<sup>3</sup> والعديد من المساجد و منها: جامع السيدة الحنفي: يقع بجوار قصر الجينية، يصلي به كبار موظفي الدولة، لذلك هو متميز عن الجوامع الأخرى بهندسته و جمال زخرفته وشاعته، وكانت مؤسسة سبل الخيرات هي التي تموله<sup>4</sup>. جامع السلطان - الجامع الجديد الحنفي: يقع بالقرب من باب البحر قبالة ساحة الحواتين، وبنى سنة 1660م-. جامع كتشاوة الحنفي: يقع على طريق الديوان بحي كتشاوة. قام الداوي حسن باشا بإعادة بنائه سنة 1209هـ/1794م، جامع ميزومورطو الحنفي: يقع بطريق باب عزون سنة 1097هـ/1685م على يد الحاج حسين باشا المعروف ب: ميزومورتو.

جامع باشا خضر: بني على أنقاض مسجد صغير سنة 1005هـ/1596م على يد الخضر باشا، ويقع هذا الجامع بحي السكاكين .

1/ الجامع الأعظم المالكي: "نموذجا".

هو جامع مالكي و يعرف كذلك بالجامع الكبير واللفظ الأخير هو أكثر تداولاً وانتشاراً، وهو المسجد الذي أشتهر بين الناس إما لقدمه أو لسعته ويعود بناؤه إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أي خلال عهد المرابطين<sup>5</sup>، و قد ظلت شهرته منحصرة في قدمه و حجمه و أوقافه و مركزه

<sup>1</sup> Charles Camusat De Riancey. La situation religieuse de l'Algérie. La librairie centrale

<sup>2</sup> Jean Michel de paradis. **TUNIS ET ALGER AU 18EME SIECLE**. Édition sindbad. Paris.1983.p73.

<sup>3</sup> الجامع اصطلاحاً أكبر من المسجد، ففيه تؤدي الصلوات الجامعة و الجمعة و الأعياد إضافة إلى الصلوات الخمس، و قد يسمى المسجد الجامع، و بعض هذه الجوامع كانت تسمى بالمسجد الكبير أو المسجد الأعظم، و بعض الباحثين يذكرون المساجد فقط ثم يفصلون كبيرها عن صغيرها، و ماله صومعة و ما ليس له صومعة عالية، و ما له قبة أو نحوها. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص245

<sup>4</sup> لا يعرف تاريخ تشييده بالضبط سوى أنه ورد اسمه في إحدى الوثائق الضبطية سنة 1564م، و من خلال رسمين حفظتهما لنا الإدارة الفرنسية نلاحظ في أحدهما يتكون من الاتجاهات المتعامدة، أو ما يعرف بالاصطلاح الأثري بصفوف من الأساكيب الموازية لجدار القبلة وأخرى عمودية عليه.

<sup>5</sup> Pierre Boyer. La vie quotidienne Alger a la veille de L'intervention Française. Librairie. Hachette. Paris.1963. P.77.

القضائي باعتباره المركز الذي كان ينعقد فيه المجلس الفتوى كل أسبوع، كما أنه مقر مفتي المذهب المالكي".<sup>1</sup>

وذهب الباحث عبد الجليل التميمي إلى أن الجامع الأعظم اكتسب بفضل إحاق الجزائر بالدولة العثمانية مكانة رائدة، خاصة وأن الرسالة الأولى التي حررت إلى السلطان العثماني كانت من طرف الفقهاء والأئمة والأمناء وكافة الأهالي كانت بداخل هذا المسجد العريق مما جعله يلعب دورا متزايدا خلال العهد العثماني سواء في الجانب القضائي والديني والتعليمي والاجتماعي وسبق بذلك جميع الجوامع التي بناها الولاة العثمانيون كالجامع الجديد، القصبية، كتشاوة، شعبان باشا، سفر"،<sup>2</sup>

و لم تقتصر وظيفة الجامع الأعظم إلى بث العلوم الدينية، وتنظيم الدروس وتقديم المساعدات إلى الفقراء والأندلسيين المعوزين، بل انفرد عن غيره من المساجد وتمثل ذلك في أن الأهالي الذين تمكنوا من أداء فريضة الحج إلى البقاع المقدسة يتحولون مباشرة إلى الجامع الأعظم".<sup>3</sup>

يتمتع الجامع الأعظم بضخامة أوقافه و بعدد موظفيه، و بالإضافة إلى المفتي و الوكيل يوجد إمامان للصلوات الخمس، مساعدان للمفتي وتسعة عشر أستاذا وثمانية عشر مؤذنا وثمانية حزّابين لقراءة القرآن الكريم وثلاثة وكلاء أوقاف واحد منهم نائب للمفتي الذي هو الوكيل الرئيسي، و الثاني وكيل أوقاف المؤذنين و الثالث وكيل أوقاف الحزّابين و ثمانية منظمين و ثلاثة موظفين للسهر على الإضاءة، أما خطبة الجمعة و العيدين فكان يتولاها المفتي نفسه".<sup>4</sup>

و بناء على ما سبق، يمكننا استنتاج الدور المحوري و الرئيسي الذي قام به هذا المسجد العريق عبر تاريخه الطويل والدور التوعوي لصلح السكان المحليين بفضل العدد الهائل للمدرسين والحزّابين

<sup>1</sup> أسعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص246.

<sup>2</sup> عبد الجليل التميمي، من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 19، 1980، ص157.

<sup>3</sup> نفسه، ص158.

<sup>4</sup> أسعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص257.

و مداخل الأقباس وإدارته المستقلة التي كانت تساعد المسجد في أداء وظائفه العلمية و التربوية على أحسن وجه،" و هذه الأقباس التي تشير الوثائق بأنها سجلت بكل دقة ابتداء من سنة 947هـ/1540م<sup>1</sup>.  
و مما ينبغي ذكره الإقبال الكبير ممن حبسوا أملاكهم لصالح المسجد الأعظم من أتباع المذهب الحنفي و المالكي على السواء، وهذا الإقبال جعل مداخله أكثر حجما إذا قيست بغيرها من الجوامع الأخرى وهذا بفضل تعدد وظائف الجامع الأعظم بتصريف مداخل الأقباس على المدرسين و الطلبة والمفتين والمؤذنين وبقية الموظفين الذين يقومون بجلب الماء وإشعال فناديل الجامع و تنظيفه وتأنيثه" وتخصيص مداخل لدفن الطلبة و العلماء، وجزء من المداخل يوزع على مؤدبي الصبيان و على فقراء الجزائر".<sup>2</sup>

و نظرا للأهمية أوقاف مؤسسة الجامع الأعظم أسند الإشراف عليها لثلاثة وكلاء:

- وكيل الأول : يشرف على أوقاف المسجد بوجه عام، وهو بذلك يخضع مباشرة إلى المفتي المالكي الذي كان مقره الجامع الأعظم.

-الوكيل الثاني : يشرف على أوقاف المؤذنين،

-الوكيل الثالث: الثالث فتحت إشرافه أوقاف الحزابين وهو الذين يقرؤون الحزب بالجامع

الأعظم".<sup>3</sup>

و من المهام الموكلة لناظر الوقف، الحرص على جميع المداخل النقدية و العينية للحبس و التحكم في النفقات و مراقبة الحسابات الخاصة بالمؤسسة الوقفية، و هي من الأعمال التي توكل لأعوانه و منها ما يتصل بجمع المحاصيل و صرف المرتبات و صيانة الوقف والأنفاق على التأثيث و شراء زيت المصابيح و الشموع و السجاد و نسخ المصاحف و كتب الحديث النبوي الشريف، بالإضافة إلى أن الناظر ملزم بتقديم عرض مفصل و دقيق عن كل ما يقوم به من أعمال وإجراءات وخدمات مهما كان نوعها للمجلس العلمي وذلك نظرا للحرص الشديد على المحافظة على عوائد الحبس، ثم يتم الاحتفاظ

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، من أجل كتابة... مرجع سابق، ص160.

<sup>2</sup> نفسه، ص166.

<sup>3</sup> عائشة غطاس، الحرف و الحرافيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، مقارنة اجتماعية اقتصادية، الجزائر، منشورات ANEP، 2007،

ص84.

بسجلات تثبت ذلك، تسلم نسخ منها للمفتي و القاضي انتقاء لما قد يطرأ عليها من لبس أو تحريف أو ضياع".<sup>1</sup>

و بفضل هذه التنظيمات القضائية، أصبح الناظر، أو الوكيل العام الموظف الرئيسي بمصلحة الأوقاف المسؤول على الأنفاق عليها و مراقبة دفاتر حساباتها و تقديم العروض عن نشاطها اعتمادا على ما يقدمه له الأعوان و الشواش من معلومات، وعادة ما ينظر في هذه القضايا بمحضر وكيل بيت المال و شيخ البلد و المزوار وذلك قبل أن يرفع تقريره النهائي إلى المجلس العلمي".<sup>2</sup>

و عادة ما كانت تتم محاسبة حتى المفتي المالكي الذي هو أحد أعضاء المجلس العلمي دوريا عن الأوقاف سواء ذلك عند توليته مفتي جديد أو في حالة ما إذا طالته شبهة الاعتداء على هذه الأوقاف، لهذا الغرض تم محاسبة المفتي "سعيد قدورة" على الأوقاف عندما تولى الإفتاء، و بعد ثمانية سنوات على توليته الخطة طلبه أرباب الدولة وأهل البلد للمحاسبة، فأطلعهم على الحساب وعلى ما اشترى من الكتب للجامع وعرفهم على الإصلاحات وعلى بناء أماكن بليّت و تلاشت، والكل عنده عليه وثائق بخط العدول الثقات"<sup>3</sup>

المجلس العلمي:<sup>4</sup> هو هيئة أشبه بديوان المظالم يلتقي فيه المفتي<sup>5</sup> المالكي بالمفتي الحنفي لتدارس القضايا المتعلقة بالسكان، يعقد اجتماعاته مرة كل أسبوع ( يوم الخميس) إذ تعتبر هذه الوظيفة من أرقى الوظائف الدينية والسياسية معا حيث يستمع صاحبها شكاوي الناس و تظلماتهم في المسائل التي عجز القضاء حلها، لذلك فالمجلس العلمي أشبه بالمحكمة العليا التي تفصل في القضايا الشائكة<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص211.

<sup>2</sup> سعيدوني، دراسات تاريخية...مرجع سابق، ص 213.

<sup>3</sup> ابن المفتي، تقييدات في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها، جمعها و اعتنى بها: فارس كعوان، الجزائر، العالمة، بيت الحكمة، 2009، ص97.

<sup>4</sup> لعبت هذه المؤسسة(المجلس العلمي) دورا بارزا في الحياة الاجتماعية إلا أن جل المصادر المحلية لهذه الفترة لم تتحدث عنها كمؤسسة قضائية شرعية فاعلة في إدارة و توجيه المجتمع، بل ركزت أكثر على مواضع القضايا التي كانت تطرح عليها و التي شكلت عملية التجبيس جزءا هاما منها والذي روعي فيه أسبقية المفتي و القاضي الحنفيين على نظيريهما المالكيين. أنظر، حمدان بن عثمان خوجة، (المرأة). تعريب و تحقيق الزبير محمد العربي، ش. و . بن. ت. الجزائر .

<sup>5</sup> هو الفقيه الذي تعينه الدولة ليجيب على ما يشكل على الناس من المسائل الشرعية والتي يقدمونها إليه لأخذ رأيه فيها.

<sup>6</sup> محمد صالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، د. م. ج.، الجزائر، 1983، ص265.

وكذلك يسميه v.de paradis بالمجلس الشريف، إذ يضم الديوان كل من: الحماة و الأعوان. - القضاة والحكام - الفقهاء - الكتاب - الشهود. وتتنظر المحكمة في قضايا مختلفة و أحكامها لا رجعة فيها<sup>1</sup>، كما أن الباشا والمفتي والقاضي الحنفيين كان بإمكانهم تلقي هدايا وهيبات من السلطان العثماني<sup>2</sup>. لا يعرف على وجه التحديد متى ظهرت هذه المؤسسة للوجود، لكن يمكن القول أنها تعود إلى أواخر القرن السادس عشر، كان مقرها في البداية بضريح عبد الرحمن الثعالبي ثم تحول إلى دار الإمارة وأخيرا إلى الجامع الأعظم، وقد تضاربت الآراء حول أقدم وثيقة تخص مرافعات نظرت فيها هيئة المجلس العلمي بالجامع الأعظم حيث يرى الباحث حنفي هلايلي أن مقر المجلس العلمي انتقل من الضريح إلى دار الإمارة كان سنة 1036هـ/1636م، وانتقل مقره إلى الجامع العظم سنة 1099هـ/1670م، "كما قيل أن هناك عقد مؤرخ في صفر عام 1087هـ/1676م يوضح انعقاد المجلس العلمي بالجامع الأعظم"<sup>3</sup>.

يتشكل هذا المجلس من ممثلي الهيئة الدينية بشقيها الحنفي والمالكي، إذ يحضره المفتيان الحنفي و المالكي والقاضيان<sup>4</sup> الحنفي والمالكي كما يحضره أحد رجال الجيش الانكشاري برتبة باش آيا باشي وينظر في القضايا العالقة التي لم يفصل فيها القاضي "وهي متنوعة كالوقف و البيع والشراء، وهو بمثابة محكمة استئناف أو ديوان للمظالم"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب و تحقيق الزبيري محمد العربي، ش. و .ن. ت. الجزائر، ص129.

<sup>2</sup> بوشناق محمد، القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني 16-19م، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2008، ص32.

<sup>3</sup> لطيفة حمصي، المجتمع و السلطة القضائية بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: عائشة غطاس، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص85.

<sup>4</sup> يتولى القاضي كل الشكايات المعروضة على محكمته إلا ما تعلق منها بالأوجاق، ويستعين القضاة في كثير من الأحيان بأهل الخبرة الذين يعاينون المواقع ويقدمون رأيهم التقني للقاضي عندما تعرض عليه المنازعات العقارية.

<sup>5</sup> عائشة غطاس، الوثائق المحلية وأهميتها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي: مثال مدينة الجزائر، ندوة العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية و المتوسطة، مراكش، مايو 2013، ص164.

ترفع للمجلس الطعون التي ينظر فيها كل يوم خميس في مقره بمدينة الجزائر وينظر فيها داخل المسجد للمسلمين، أما إذا كان المتخاصمون من غير المسلمين فإن قضاياهم تكون خارج الجامع<sup>1</sup>، و يعمل المجلس على حصر الخلاف في المسائل المطروحة وإصدار الحكم الذي يناسبها<sup>2</sup> وبذلك تكون هذه المؤسسة سببا للتعاشيش بين أتباع المذهبين المالكي والحنفي بالجزائر العثمانية.

## 2 المدرسة:

هي مؤسسة للتعليم يجمع مستواها بين الثانوي و العالي وتتعدد تخصصاتها بين العلوم الشرعية و بعض العلوم العقلية إن وجد من يدرسها لمعرفة علوم الفرائض و المنطق لبناء العقيدة على البراهين، أما علوم الطب و الفلك فقد كانت نادرة<sup>3</sup>.

انتشرت المدارس في الحواضر الكبرى مع تباين عددها وأهميتها، فقد أصبحت تدرس فيها مختلف العلوم العصرية (كالفقه والحديث والتفسير واللغة والتاريخ ..)، وتم تزويدها بمرافق لأداء وظيفتها مع توقيف دكاكين وحدائق...، وتجهيزها بخزائن من أنفس الكتب والمخطوطات التي لا تقدر بثمن. استخدم نظام المدارس كمؤسسات جديدة تضطلع بمهمة التعليم ونشر الثقافة الإسلامية وبعث الحركة التعليمية ابتداء من القرن الثالث عشر ميلادي على يد المرينيين والزيانيين وتمسكهما بالمذهب المالكي في الفقه و العقيدة في التوحيد لغرض حماية العقيدة الرسمية للدولة، فلقد كثرت المدارس حتى كادت لا تخلو منها منطقة من الجزائر، وكانت الأوقاف تلعب دورا رئيسيا في انتشارها، و جرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد، نظرا للصلة الوثيقة بين المدرسة والمسجد، كما كان لكل مدرسة مسجد.

<sup>1</sup> عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص70.

<sup>2</sup> عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر... مرجع سابق، ص89.

<sup>3</sup> هاينريش، فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976،

ج1، ص15.

و يرى المقريري في أصل المدرسة الإسلامية، أن التعليم كان مقتصرًا على المساجد، فجاءت المدرسة لإعطاء دفع للحركة العلمية والثقافية تشرف عليها الدولة وتتولى أعباء مصاريف الطلبة الوافدين عليها وإيوائهم، وتتكفل بأجور المدرسين، والقائمين على شؤونها المختلفة.

يجري نظام التعليم في هذه المدارس على قبول طلبة غرباء عن المدينة، ثم تجري لهم منحة يتقاضونها في شكل مواد غذائية، ويلتزمون الدروس إما متخصصين في علم واحد، أو مشاركين في عدة علوم، ويكونون مع طلبة المداومين من أهل المدينة طائفة الطلبة الرسميين وحلقات الدروس مفتوحة مع هذا لكل من يريد أن يكتسب معارف دون قصد الإجازة للتدريس أو التوظيف<sup>1</sup>.

وللأستاذ (المعلم) أن يشاهد تقدم طلبته، فهو الذي يقرر من يستحق الإجازة فيرخص له بالتدريس، ومما يلاحظ في النظام التعليمي أنه مبني على التدرج والمرونة مراعيًا بالدرجة الأولى القدرات الخاصة لكل متعلم وأحواله الشخصية، لذلك يجاز بعضهم في سنتين و منهم من يجاز خلال عدة سنوات، أما الإفتاء فهو أعلى منصب علمي فلا ينتصب فيه إلا العالم القادر على الاجتهاد، واستتباط الأحكام، وبعد أن يتفق العلماء على مقدرته العلمية وتفوقه في الميدان<sup>2</sup>.

إن النصوص التاريخية تشير إلى أن نظام المدارس في المغرب الإسلامي تشير إلى وجودها منذ عهد حكم الخليفة الموحي يعقوب المنصور 555/595هـ/1160/1198م، ومن جهة أخرى عرفت الجزائر العثمانية ظهور مدارس حظيت بشهرة كبيرة نذكر منها مدينة بتلمسان التي كانت حسنة التصميم، ومدينة بجاية التي انتشرت بها العديد من المدارس، أما مدينة بمدينة قسنطينة فكانت أكثر عناية بالمدارس العلمية، نظرا لاستقرارها السياسي وقربها من تونس<sup>3</sup>، ومن أهم المدارس نذكر ما يلي:

\*مدرسة الجامع الكبير، تمتعت بأوقاف كبيرة ومكتبة غنية.

\*مدرسة جامع القشاش، امتلكت أوقافا محترمة.

<sup>1</sup> بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و. ن. ت.، الجزائر، 1979، ص200.

<sup>2</sup> نفسه، ص200

<sup>3</sup> مسعود العيد، حركة التعليم في الجزائر.....، مرجع سابق، ص118.

\*مدرسة الرحبة القديمة: موجودة بمدينة الجزائر، و مدرسة جامع باب الجزيرة، وبعد الاحتلال قام الاحتلال الفرنسي بهدمها سنة1840.

\* مدرسة جامع ميزومورطو: تعد مدرسة لتعليم المذهب الحنفي.

\*2 أن المدارس و المؤسسات الدينية الإسلامية في طريق الزوال بسبب تحويلها إلى غير مهمتها الأصلية، أو بسبب توسيع المدينة خاصة الأحياء الأوروبية<sup>1</sup>.  
المدرسة المحمدية بمعسكر: "أ نموذجاً".

أصبحت مدينة معسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير تتبوأ مكانة مرموقة و طارت شهرتها حتى ارتحل إليها العلماء وقصدها التجار، وغدت مركزا تجاريا هاما لعبور القوافل شرقا وغربا. قام الباي محمد بن عثمان الكبير ببناء المسجد الكبير (الذي سمي باسمه) وبنيت إلى جانبه المدرسة المحمدية<sup>2</sup> سنة1160هـ/1747م وهي السنة توليته الإيالة الغربية، وهو ما تثبته اللوحة التأسيسية الموجودة على أعلى المدخل الرئيسي الأصلي، الذي أدمج مع الزيادة التي أدخلت على بيت الصلاة، وقد وضعت خصيصا للتعريف به وبصاحبه، كما جرت العادة في العالم الإسلامي أن المساجد تتبع إلى جانبها بناء المدارس فاختر لإدارتها أحد مدارس قسنطينة: ذكر "فيرو"بلغ عدد مدارس مدينة قسنطينة ثلاثة و ثلاثون مدرسة خلال العهد العثماني، وأكد هذا الأخير علماء الراشدية ورئيس رباط إيفري بوهران الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي، والتي قال عنها أحمد بن سحنون: "إن العلم يتفجر من جوانبها"<sup>3</sup>.

ويعد المسجد الكبير بمعسكر من أهم معالم النهضة الفكرية والثقافية، وكان للمدرسة المحمدية صدى كبيرا في الجزائر و العالم العربي الإسلامي، يذكر الشيخ المهدي البوعبدلي، أن الباي قد عيّن

<sup>1</sup>L.CH. Ferault.op.cit.p121.

<sup>2</sup>أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ... ج2، المراجع السابق، ص:281

<sup>3</sup>ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تقديم و تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص127.

لها مدرسين أكفاء وعلماء أجلاء كالشيخ الطاهر بن حوا والشيخ محمد المصطفى بن زرفة والشيخ أبو راس الناصر الذي تولى التدريس بالمدرسة لسنتين<sup>1</sup>.

يعد المسجد الكبير بمعسكر النموذج الوحيد الذي لم تتسرب إليه يد الاستعمار الفرنسي بالطمس والتخريب والهدم وتحويله إلى كنيسة وبقي على حالته الأصلية<sup>2</sup>، وبالمقابل حظي المسجد برعاية خاصة من طرف الولاية والمسؤولين ببايليك الغرب، فقد قام الباي محمد بن عثمان بتجديده وتوسيع مساحته، كما جلب إليه المياه وبني خمسة أحواض للوضوء، واستبدل منبره بمنبر أحسن من ذي قبل.

كان المخطط الأصلي للجامع الكبير على شكل شبه مربع، لكنه اتخذ الشكل المستطيل بعد الزيادة التي أحدثت عليه في الفترة المعاصرة، فقد زاد مفتي معسكر الراحل بكارة بلهاشمي فيه جزءا كبيرا من الجهة الجنوبية الشرقية أين كان المدخل الرئيسي والقبة التي كانت ضريحا للبايات الثلاث، وكذلك بالجهة الشمالية أين كانت المقصورة الأصلية للإمام<sup>3</sup>

وإلى جانب المسجد الكبير قام الباي محمد بن عثمان بتشديد العديد من المساجد الأخرى، كجامع عين البيضاء الذي يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة بعدما قام بشراء أرضه من أربابها بأعلى الثمن، سنة 1195هـ/1180م، وجامع الكرط الذي يقع في الجهة الغربية من قرية الكرط ملتصقا بضريح سيدي يوسف بن عيسى، أما تاريخ بنائه فهو مجهول لانعدام أية وثائق تاريخية أو أدلة آثارية نتحدث عن تاريخ تأسيسه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المهدي البوعبدلي، المراكز الثقافية وخزائن الكتب بالجزائر عبر العصور، مجلة الأصالة، العدد 11، الجزائر، 1972م، ص 41..

<sup>2</sup> محمد قرمان، المؤسسات الدينية والتعليمية لمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني، معهد الآثار، أعمال الملتقى الوطني الثالث، عدد خاص، 2013، ص 78.

<sup>3</sup> نفسه، ص 79.

<sup>4</sup> في ظل غياب الأدلة التاريخية القطعية، فإن الولي الصالح سيدي يوسف بن عيسى هو مؤسس جامع الكرط، لقد قدم من فجيح بالجهة الشرقية من "المملكة المغربية" تحديدا من "وادي أغير"، إذ تجتمع فيه أشرف المشارف وهم ينسبون إلى سيدي مشرف الملائط نسبة بإدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، أستقر سيدي يوسف بمنطقة الكرط، وهناك أقام زاويته المعروفة، وأسس إلى جانبها الجامع الذي أضحى قبلة علمية للإرشاد والتوجيه تشد إليه الرحال من مختلف مناطق المغرب الأوسط، وقد توارث عنه أبناؤه وأحفاده العلم، واهتموا بأمر التعليم بعده، فتخرج على أيديهم الكثير من العلماء، من بينهم العالم مصطفى الرماصي، أنظر، بن بكار الهاشمي: كتاب مجموع الحساب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، د. م. ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص 387.

إن شهرة المدرسة المحمدية ترجع أساسا إلى علمائها الجهابذة الأكفاء من جهة وإلى منهجية التدريس التي اتبعوها، فأبو راس الناصر أتبع الطريقة الجاحظية فكان يذكر أثناء درسه لطائف مهمات وترتيبات عجيبات وحكايات ونوادر لتنشيط القلوب الفواتر على حد تعبيره، ولما رأى الباي كثرة الطلبة وازدحامهم عنده عملوا له كرسيا، فاستعان به على الدرس غاية الاستعانة<sup>1</sup>.

### 1- الحركة العلمية بالمدرسة المحمدية.

تبوأ المدرسة المحمدية مكانة مرموقة في مجال نشر العلم بين الطلاب بفضل حرص الباي محمد بن عثمان الكبير على أن تكون المدرسة المحمدية منارة لتحقيق ذلك الغرض.

أدرك الباي محمد بن عثمان الكبير أن هذه المؤسسة العلمية لا تقوم بوظيفتها إلا إذا توفرت على موظفين أكفاء وعلماء أجلاء لتحقيق الهدف المنشود، فقد حرص الباي محمد الكبير على تعيين موظفين يتقاضون رواتبهم من مداخل الأوقاف، وكان من هؤلاء إمام خطيب الجمعة، إمام الصلوات الخمس، وأربعة مؤذنين، وسماع، وأربعة أساتذة، ومقدم للطلبة<sup>2</sup>، وكانت مخصصات رواتبهم تجري لهم على النحو التالي<sup>3</sup>:

- الطلبة الذين يحضرون درس البخاري يتلقون أربعة سلطانية في كل سنة.
- الإمام الخطيب وإمام الصلوات الخمس، يتقاضى كل منهما أربعين ريالا.
- المؤذنين الأربعة ويتقاضون ثمانين ريالا، أي بمعدل 20 ريالا لكل واحد منهم.
- الحزابين ويتقاضون أربعة وأربعين ريالا.
- مدرس صحيح البخاري ويتلقى أربعين ريالا.

<sup>1</sup> أبو راس، فتح الإله...، مصدر سابق، ص23..

<sup>2</sup> أحمد بن هطال، رحلة الباي محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى جنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 1969، ص28.

<sup>3</sup> LECLERC. Inscription Arabe De Mascara.in. R.A.N 04.1860.P44.

- المدرسون الثلاثة ويجري لكل واحد منهم ستون ريالاً، ويقدمون دروساً في الفقه وغيره.
- وكيل خزانة الكتب ويعطى له خمسة عشر ريالاً، ولا يسمح بإخراج الكتب خارج الجامع.
- الراوي ويتقاضى عشر ريالاً.
- مصلح المطاهر "الخاصة بأماكن الوضوء"، خمسة عشر ريالاً.
- وكيل الحبوس، أربعين ريالاً.
- نصف ريال شهرياً تصرف على بيوت الطلبة العامرة، حق شراء الزيت للإنارة، وتستثنى البيت الخالية من الطلبة من هذه النفقة.

وفي هذا الصدد أشار أحمد بن سحنون الراشدي "... ورتب له خطيباً وإماماً وأربعة مدرسين أحدهم للتفسير والحديث والثلاثة لغيرهما وتب لكل بيت في المدرسة المحمدية ما يكفي لشراء الزيت في كل شهر، ولمقدم الطلبة راتباً معلوماً، ولمن يصحح ألواحهم كذلك، وكذا لمن يقرؤون الحزب داخل المسجد صباحاً ومساءً، ولمن يروي للناس حديث اللغو يوم الجمعة، ومن يقرأ لهم تنبيه الأنام"<sup>1</sup>.

وبفضل جهود العلماء ورعاية الباي محمد الكبير أصبحت المدرسة المحمدية من بين المعاهد العلمية الكبرى في بايليك الغرب خاصة والجزائر عامة، تدرس بها مختلف العلوم النقلية التي ميزت العصر ونذكر منها، الفقه، التفسير، السيرة المطهرة، اللغة والتاريخ.

و إلى جانب المدرسة المحمدية شجّع الباي محمد بن عثمان عملية تأليف الكتب ونسخها بالخط الأندلسي الذي تغلب على الخطوط الأخرى وهو المعروف اليوم بالخط المغربي<sup>2</sup> أو شرائها وكان يجيز كل واحد منهم بسخاء حسب عمله، فقد أمر كاتبه الخاص محمد المصطفى بن زرفة بتقييد

<sup>1</sup> ابن سحنون، الثغر الجماني... مصدر سابق، ص132.

<sup>2</sup> ميلود حجاج، محمد بن عثمان محرر مدينة وهران، المتحف الوطني زيانة، العدد الثالث، وهران، ص28.

حوادث الجهاد التي كانت تجري بين الجزائريين والأسبان" وكثيرا ما كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها ويستسخ ما لم تسمح نفس مالكة ببيعه"<sup>1</sup>.

و من جهة ثانية خصّص الرواتب الشهرية للمعلمين والعلماء بقطع النظر عن الأوقاف بعدما كان العلماء لا ينتفعون من ميزانية البايليك إلا من كان مستعملا في خدمة أو متوليا لخطه"<sup>2</sup>.

البرنامج الدراسي المعتمد في المدرسة المحمدية، الفقه مثل حواشي الشيخين الزرقاني والخرشي وحاشية الشيخ مصطفى الرماصي وكتب النحو مثل شرح الشيخ المكودي<sup>3</sup> وعلم التوحيد الذي كانت كتبه تلقى رواجاً في أوساط علماء وطلبة العلم الذي اصطلح عليه بعلم الكلام، وانبرى الشيوخ لتدريسها وقراءتها وشرحها، وخاصة كتب السنوسي ومنها " العقيدة الصغرى " المسماة " أم البراهين" التي حظيت بشهرة كبيرة وإعجاب بالغ، و من جهة ثانية أسهم العالم مصطفى الرماصي بدوره مساهمة فعّالة في علم التوحيد، بل كان من الذين حثوا على تعلمه، ومعرفا إياه بقوله: " علم الكلام أوثق العلوم دليلاً، وأوضحها سبيلاً، وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته، وقد شرف كل علم بحسب معلومه، وقد صنف في ذلك ما لا يحصى كثرة من الدواوين والمختصرات، وقد أعتنى في هذا الزمان بمقدمة محمد بن يوسف السنوسي، المسماة بصغرى السنوسي، لعظم فوائدها وبركة مؤلفها"<sup>4</sup>. و لعل من أهم المباحث التي تطرق إليها الشيخ مصطفى الرماصي ضمن حاشيته، تلك المتعلقة بصفات المعاني<sup>5</sup> كالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وصفات الكمال لله تعالى كثيرة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن هطال التلمساني... مصدر سابق، ص: 26.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص: 24 - 28.

<sup>3</sup> المكودي: ت. 1405/807م، هو عبد الرحمن بن علي بن صالح-المكودي- أبو زيد، عالم بالغة العربية، مولده ووفاته بفاس. من تصانفه: شرح ألفية بن مالك في النحو، شرح مقدمة ابن آجروم، يبظر: شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ج4، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ/1797م، ص97.

<sup>4</sup> محمد بن عبد الله بن مؤمن مصطفى الرماصي، حاشية الرماصي على صغرى السنوسي، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر، و: 1.

<sup>5</sup> المراد بها تلك الصفات الموجودة في نفسها، وهي بالنسبة للذات العلية، كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى، تستلزم حكماً معيناً له، كقيام القدرة بالذات، فإنه يوجب كونه قادراً. مصطفى الرماصي، حاشية الرماصي على صغرى السنوسي، و: 15 يظهر.

<sup>6</sup> ينظر: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2002، ص58.

وبفضل المؤسسات الفكرية والثقافية و جهود الباي محمد بن عثمان الكبير غدت معسكر حاضرة علم وعاصمة إقليمية لا تقل شأنًا عن مدن الجزائر، وتلمسان، وقسنطينة، وأصبحت مقصد العلماء ومعبر الحجاج في طريقهم إلى المشرق العربي<sup>1</sup>.

مظاهر التأليف عند علماء المدرسة المحمدية.

1- مصطفى الرماصي: ت. 1136هـ/1724م "أنموذجاً".

هو مصطفى بن عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد المومن الرماصي، وكان يدعى عند بعضهم بأبي عبد الله محمد بدل مصطفى<sup>2</sup> ويعد أحد علماء الوطن الغريسي الرّاشدي ممّن تخرّجوا من مدرسة مازونة الفقهية، ولد بقرية رماصة إحدى قرى بلدية القلعة، وحاليا فهي تابعة لولاية معسكر بالغرب الجزائري -بلدية المناور، دائرة البرج-، وهي بذلك تبعد عن مقر ولاية معسكر ب33كلم، وعن ولاية غيليزان بحوالي 40كلم.

أشتهر الشيخ الرماصي بسعة علمه وحفظه وتضلّع في علم الفقه حتّى أُعتبر من أشهر فقهاء المالكية بدليل ما وُصف به من طرف الشيخ عبد الرحمن الجامعي<sup>3</sup> الفاسي قائلاً: "حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره...".

<sup>1</sup> استقر بمدينة معسكر لبعض الوقت ولي العهد المغربي "مولاي عبد الرحمن بن السلطان" محمد بن عبد الله، كما قصدها الشاعر الحاج أحمد بن علال القرومي، والمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني صاحب الترجمانة الكبرى الذي نزل بمعسكر بعضا من الوقت وهو في طريقه إلى المشرق. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 139.

<sup>2</sup> اختلف كل من ترجم لهذه الشخصية، فهذا مخلوف يذكره على النحو التالي: مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي وكناه بأبي الخيرات، وتبعه في ذلك الكتاني، وأضاف قوله: بأنه قلعي معسكري، وعلى الرغم من أن البعض الآخر قد أتفقوا معها في التسمية إلا أنهم اختلفوا في تسمية الجد، بدلا من موسى ذكروا "مومن". أنظر: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة-ط2، 1985، ص 578.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الجامعي: (1087-1144هـ/1676-1731م)، هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجامعي الفاسي، أديب علامة قرأ بفاس على عبد الرحمن بن علي الفاسي ومحمد الكماد القسنطيني. ليّر حل بعدها إلى تونس أواخر دولة المولى إسماعيل في الثالث الأول للقرن الثاني عشر، أين تلقى العلم على جلة من العلماء القرويين أمثال: محمد العراقي وإبن زاكور والحسين بن رحال وغيرهم. وبعد تقوية معارفه عمل مُدرّسا في الزيتونة... وأجنى المدرسة الشنتمرية، كما مدحه العديد من العلماء الجزائريين. أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (بيروت: مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، 1980، ص 152).

-شيوخه:

أشارت المصادر التي ترجمت للشيخ الرماصي أنه أخذ عن شيوخ مازونة الفقهية وعلماؤها التي كانت بمثابة حاضرة للعلم و العلماء ببابليك الغرب ثم رحل إلى مصر وأخذ من كبار علمائها، كما رحل إلى فاس، حيث يقول الشيخ المهدي البوعبدلي: "وختم رحلته بفاس ثم القاهرة"، ومن أبرز علمائه في الجزائر:

1- والده عبد المؤمن، الذي يعتبر من فقهاء عصره.

2- الشيخ محمد بن علي الخروني القلعي، والذي أخذ عنه العقائد السنوسية.

3- الشيخ محمد بن شارف المازوني، وهو الذي أسس المعهد الفقي لمازونة، و روت عنه الشيخ

الرماصي صحيح البخاري.

4- الشيخ أبو زيد عبد الرحمن التوجيني الراشدي.

5- الشيخ محمد الصحراوي دفين القلعة.

6- الشيخ عمر التراري بن أحمد المشرفي.

ب. شيوخه في مصر:

1- الشيخ أبو محمد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني. فقيه مالكي. ت. 1099هـ/1687م، وله

عدة مؤلفات منها:

- شرحه على المختصر الذي حشاه البناي.

- شرح العزية وحاشية على شرح اللقاني على خطبة الشيخ خليل.

2- الشيخ الخرشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي، نسبة لبلدة خراش، شيخ المالكية في

عصره، وانتهت إليه رئاسة الفقه بمصر، ت. 1105هـ، وله شرح كبير على المختصر وهو من الكتب

غير المعتمدة فيما انفردت به في النقل.

-تلاميذه:

نظرا للمكانة العلمية التي تبوأها الشيخ الرماصي فإنه أشتغل بتدريس الطلبة وإقراءهم، فكان له بذلك تلامذة معروفون أخذوا عنه واستفادوا منه، نذكر منهم:

1- الشيخ محمد بن عبد الله بن أيوب، المعروف بالمنور التلمساني، توفى بمصر بعد رجوعه من الحج في شوال 1173هـ.

2- الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الشريف الجعدي، من عمالة الجزائر و قد أجازته الشيخ الرماصي.

3- الشيخ علي والد الشيخ أبي طالب المازوني الذي أخذ عن الشيخ الرماصي عن الخرخشي و الزرقاوي وإن كان أهل مازونة يظنون أن الشيخ الرماصي من تلاميذة أبي طالب خطأ.

أشتغل الشيخ الرماصي بالتعليم بقرية "الرماصة" وبعض المناطق المجاورة لها غير أنه عرف بقلّة تلامذته و ذلك لأسباب عديدة نذكر منها:

أ- علاقته بالعثمانيين التي كانت متوترة حتى قيل: أنه كان يمارس التعليم في الخفاء، ومن الذين تحدثوا عن الشيخ الرماصي، الشيخ محمد بن حواء في كتابه "سبيكة العقبان فيمن بمستغانم من العلماء والأعيان"، و وصفه بأنه شيخ شيوخ العصر، و أنه نزل الوادي الواقع برماصة حيث سكن الشيخ ومدرسته.

و يذكر أبو محمد العربي بن علي المشرفي أن مصطفى الرماصي هو شيخ هذا القطر العربي واليه المرجع في تصحيح النقول، وعزوها لأهلها وانفرد في أهل عصره بالتحقيق، فلا تجده في نهاره إن لم يكن هناك عدو يحضر في جهاده، إلا معتكفا على كتب الأقدمين يطالع في خلافتهم، ويرجح ما ظهر له من ترجيحه، و كان رضي الله عنه ينص على أعيان المسائل واجتهادات المجتهدين، و كانت

القضاة والحكام تعتمد على نقوله، وإذا بلغه عن احدهم أنه جار في حكمه وبخه بعلمه، ويحذر الناس منه<sup>1</sup>.

أنتشر صيت العلامة مصطفى الرماصي في الآفاق بفضل حاشيته على شرح العلامة التتائي على مختصر أبي الضياء خليل بن إسحاق المالكي، المتوفى سنة: 776هـ، و كانت هذه الحاشية محل عناية وحفاوة من مختلف العلماء، أما الشيخ محمد بلقندوز المستغامي شيخ أبي راس الناصري و تلميذ الشيخ الدردير أنه يعتبر الشيخ الرماصي من المحققين، ويقول: "أن حاشيته تغني<sup>2</sup>".

#### -آثار الشيخ الرماصي العلمية.

إن ما تركه العلامة الرماصي من مؤلفات يعد زهيدا مقارنة بمكانته العلمية التي تبوأها، وشهرته العلمية التي تجاوزت حدود الجزائر، ولعل قلة مؤلفاته سببها أنه كان لا يميل إلى التأليف وإنما يهتم بالتدريس و تكوين العلماء كمعظم علماء الجزائر الذين تبحروا في مختلف العلوم العقلية والنقلية مع عزوفهم عن الكتابة والتصنيف والاكتفاء بالتدريس والنقل المعارف، و أما ما نقلته كتب التراجم عن مؤلفات الرماصي لا يزيد عن بعض المؤلفات و منها:

-كفاية المرید في شرح عقيدة التوحيد: في العقيدة.

-حاشيته على التتائي في الفقه.

وله مؤلفات أخرى كـبعض الرسائل و الأجوبة ومنها:

1-حاشيته على التتائي لمختصر خليل المسمى بـ"جواهر الدرر"، أو"صغير التتائي " وهي من أهم مؤلفاته وبها أشتهر، ونالت هذه الحاشية الشهرة و التقدير في الأقطار والأمصا، وتسابق العلماء على اقتنائها، وتوجد منها نسخ خطية كثيرة في خزائن ومكتبات عالمية بالجزائر، المغرب، السعودية مصر، بريطانيا.

<sup>1</sup>مخطوط لأبي محمد العربي بن علي المشرفي، لوحة:27.

<sup>2</sup> ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص171

- 2- حاشية على شرح الخرشي على مختصر خليل، وتوجد منها مخطوطة بالجزائر، السعودية.
- 3- كفاية المرید في شرح عقيدة التوحيد، فرغ منه سنة 1124هـ، شرح فيه متن السنوسي أم البراهين.
- 4- رسالة في العتاب بخصوص مسائل فقهية: تقع في ورقتين، وتاريخ نسخها يعود إلى سنة 1254هـ، منها نسخة مخطوطة بالمغرب.
- 5- أجوبة فقهية تقع في 21 ورقة، أولها: هذا ذكر ما وقع التشكيك فيه لبعض من قضر باعه و ندر اطلاعه من كلام صاحب المختصر"، أجاب فيها على أسئلة عالم تيطوان الشيخ "سيدي علي بركة" عن مسائل في مختصر الشيخ خليل، منها نسخة مخطوطة بالمملكة المغربية والمملكة السعودية.
- 6- تأليف في المنطق، نسبه إليه الشيخ أبوراس في كتابه "فتح الإله...".
- 7- رسالة في إثبات انتساب المشارف إلى الأشراف، وقد تحدث عنها أبو محمد العربي ن علي المشرفي، فقال: " و للشيخ مصطفى هذا رسالة لطيفة في ذكر نسب المشارف واتصالهم بسيدي يوسف بن عيسى البوخليلي الشريف الحسني مختط زاوية الكرط، ذكر فيها ما وقف عليه من خطوط فقهاء الراشدية المشهورين بالعدالة و التبريز والضبط و الإلتقان"<sup>1</sup>.
- 8- خطبة في الاستسقاء، يظهر أنه أملاها على بعض تلاميذه بطلب منه، وهي من المخطوطات مكتبة الشيخ البشير محمودي-رحمه الله-.
- 9- و من فتاويه المعروفة: الرد على أحد قضاة قلعة بني راشد حين أفتى لبعض جبابرة غريس بجواز الجمع بين المرأة و خالتها. (وهو مذهب الإباضية).

<sup>1</sup> مخطوط لأبي محمد العربي بن علي المشرفي، لوحة 20.

- عناية العلماء بحاشيته:

لما عرف العلماء قدر هذه الحاشية النفيسة اشتغلوا بالنظر فيها و كتب بعضهم تقييدا عليها، فقد جاء في ترجمة الشيخ ( محمد بن حين الجنوبي: ت.1220ه) أن له تقييدا مهما على حاشية مصطفى الرماصي، وهذا التقييد لخصه الرهوني واستمد منه في حاشيته على الزرقاني.

قال الشيخ الحجوي: واستعان أيضا الشيخ الرهوني بطرر شيخه أبي عبد الله محمد الجنوبي الحسني الوزاني ثم التطواني، ت.1200ه، وهذه الطرر<sup>1</sup> كانت له على الزرقاني و الحطاب و المواق والشيخ مصطفى الرماصي والشيخ بناني، فلخصها الرهوني على حاشيته المذكورة.

كما أعتى من تأخر عن الرماصي بخاشيته من جهة النقل منها ولم يسلموا له في كل ما قال، بل صدر منهم النقد له، كما هو الحال عند البناني والرهوني مثلا.

وانتصر البناني للرماصي في مواطن منها قوله: "وقول بعضهم، أن المصنف جار على ما في النوادر"، واعتراضه على(طفى) بذلك غير صحيح، لأن كلام النوادر ليس فيه ذكر لمن عادتھا الحيز ولم تحض كما يدل عليه نقله، و المصنف إنما خالف بظاھرہ المشهور في هذه الصورة، فتأمله، والله أعلم<sup>2</sup>.

و للبناني تقولات من (أجوبة) الرماصي على إشكالات وقعت في مختصر خليل، وينقل أيضا من طرر الرماصي على المختصر، ولعلها تقييد على الخرشي<sup>3</sup>.

و تبرز مكانة العلامة الرماصي أيضا في كون المغاربة اعتمدوا على حواشيه على المختصر واستمدوا منها في تصحيح أغلاط الأجاهرة- ومنهم الزرقاني- على المختصر- الذي كان يحظى باهتمامهم، يقول العلامة الحجوي: " إن الذي أدخل مختصر خليل إلى المغرب هو عمر بن فتوح

<sup>1</sup> الطرة: بضم الطاء المهملة، ثم الراء مشددة، هي حاشية الكتاب، قال في (القاموس): بالضم جانب الثوب الذي لا هذب له وشفير النهر والوادي، وطرف كل شئى وحرفه.

<sup>2</sup> مصطفى بن حسان، حاشية الرماصي على التتائي على خليل، للعلامة مصطفى الرماصي المعسكري الجزائري، ج1، حقق نصوصه ووثقها، مصطفى بن حسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، 2015، ص30

<sup>3</sup> نفسه، ص31.

التلمساني المكناسي...فحصل إقبال المغاربة عليه وعلى شرح الزرقاني لما في زيادة فروع و الاختصار في الشروح...وقد وقع للزرقاني أغلاط في النقل وغيره، فاعتنى المغاربة بتصحيحها ووضعوا عليه حواشي مستمدة من حواشي الشيخ مصطفى الرماصي على التتائي و غيرها، منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن بناني، وشيخ شيوخنا سيدي محمد بن المدني جنون اختصر حاشية الرهوني<sup>1</sup>.

#### -مكانة الرماصي الفقهية:

قال أبو العباس الهلالي في نور البصر: "و من الحواشي المعتمدة حاشية ابن غازي، والشيخ أحمد بابا، والشيخ المصطفى، والطخي<sup>2</sup>".

قال النابغة الغلاوي في ذكر الكتب والمصادر المعتمدة في المذهب المالكي:

واعتمدوا حاشية للمصطفى \*\*\*\*\* على التتائي كسراج ما انطفا

إن الشيخ الرماصي ألف حاشيته على التتائي في السنوات العشر الأخيرة من حياته، وهذا يدلنا أن مؤلفها سيضع فيها ثمرة عمره وزبده علمه وعصارة تحقيقاته، وقد سلك منهاجا متميزا في حاشيته، تميز بالدقة العلمية في تحرير المسائل، واختيار الأقوال والآراء، و تدل على تضلعه في أصول المذهب و فروع، وسعة اطلاعه على أمهاته ودواوينه، مع إلمام بعلم الشريعة أصلها ومساعدتها، من تفسير وحديث وسيرة وشمائل وتاريخ إسلامي وتراجم رجال وعلوم لغة وأصول فقه وحديث ومواقيت ومنطق وحساب...<sup>3</sup>.

وما يمكننا استخلاصه أن الشيخ مصطفى الرماصي الراشدي حظي باحترام و تقدير من الولاة و الحكام فقد استوصى به خيرا باشا الجزائر، وكتب له وصية ينوّه فيها بمكانته وخصاله، و ينزله مراتب العلماء و أكابر القوم، و العالم أحمد المقرّي التلمساني صاحب نفح الطيب، الذي قال في

<sup>1</sup> مصطفى بن حسان، حاشية الرماصي على التتائي على خليل....، مصدر سابق ص29.

<sup>2</sup> نفسه، ص35.

<sup>3</sup> نفسه، ص32.

حاشيته على صغرى الإمام السنوسي المسمّاة: "إفادة المغرم المغراء بتكميل شرح الصغرى" ما يلي: "أنّ سنده في علم التّوحيد يتّصل بعلماء الراشدية العارفين بهذا الشّان"<sup>1</sup> كما قال: "وقد كنت قيّدت عن أشيائنا بتلمسان قبل هذا الأوان وغيرهم من علماء الرّاشدية العارفين بهذا الشّان..."<sup>2</sup> و قاضي مدينة مراكش الشيخ العالم عيسى السّكتاني الذي قال بدوره في حاشيته على الصّغرى: "أنّ سنده في هذا الفنّ يتّصل بعلماء الرّاشدية" واصفاً الراشدية بأنّها منبع علم التّوحيد.<sup>3</sup>

أما من العلماء المتأخرين الذين نقلوا من حاشية الرماصي واعتمدها نذكر الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة في وقته، والشيخ الحجوي الثعالبي، كما نقلت عنه الموسوعة الفقهية الكويتية وأثبتت ترجمته ضمن الفقهاء و العلماء، كما اعتمده هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية، و مجلة البحوث الإسلامية التي تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية.

#### 5/ الزوايا:

تعني الزاوية الركن أو المكان المعزول، وهي بقعة من الأرض جاءت من انزوائها بعيدا عن بقية المناطق المتقاربة من بعضها، فهي تشبه الدير أو المدرسة، فنجد فيها الأمور البسيطة مثل الغرف المخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين وللطلبة<sup>4</sup>.

تعد الزوايا من ضمن أبرز المراكز الإسلامية والتي قدمت إسهامات كبيرة في نشر العلم والمعرفة المتنوعة في بلاد الإسلام وبين المسلمين، شأنها في ذلك شأن المساجد، وقد حافظت هذه الزوايا منذ نشأتها على القرآن تعليما وقراءة وتلاوة وحفظا، كما حافظت على نظمها التربوية، ولعبت دورا رائدا عبر تاريخها المديد من حيث هيبتهما بما كانت تقوم به من مهام تربوية ودينية واجتماعية، وفي الإرشاد

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ...، ج4"مرجع سابق"، ص ص 170، 171.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ...، ج4"مرجع سابق"، ص 171.

<sup>3</sup> نفسه"، ص 171.

<sup>4</sup> E.LAMBERT.Les édifices Religieux de l'Ancien Alger. R.A.1864.p401

والتوجيه والتعاون في حل المشاكل والتغلب على الصعاب في ظل العصبية والجهل والعروشية والرواسب العرقية، والتخلف العقلي والحضاري<sup>1</sup>.

و تعتمد الزوايا على تبرعات وزكاة المحسنين، والهدايا وبواسطتها تتولى مؤسسة الزوايا الإنفاق على طلبة العلم وحفظ القرآن الكريم والقائمين على خدمتها من الوكلاء والمقدمين والمؤذنين والأئمة، ومن جهة ثانية كانت تعتمد على الإعانات التي يقدمها السكان وخاصة الأغنياء منهم، سواء كانت عينية أو مادية والتي تمثل موردا من موارد تمويل و تمويل الزوايا.

تتفق الكتابات و البحوث أن الزوايا كانت منتشرة وبعدها كبير "... وهي عبارة عن بنايات مربعة تحتوي على غرف صغيرة، يدرس الطلبة في هذه المدارس القراءة والكتابة و الحساب، ويجري التعليم في الهواء الطلق، والمعلمون عادة هم أئمة المساجد، و يتلقون منحة سنوية من الحكومة، إلى جانب هبات و الهدايا التي تصلهم في المناسبات من أولياء أمور التلاميذ وأصدقائهم وكثير من هؤلاء الطلبة يعيشون في أماكن تقع بعيدا عن المدينة<sup>2</sup>.

انتشرت الزوايا بتساعد التصوف وانتشاره، بحيث كان كل شيخ طريقي صوفي يؤسس لطريقته زوايا في أنحاء متفرقة من البلاد، فهذا "الشيخ محي الدين" يصف زاويته بأنها "مقام ابراهيم من دخله كان آمنا" تتوسط في النزاعات والخلافات الفردية والجماعية، كما كانت دورا للعبادة والدراسة بالإضافة إلى تقديم يد المساعدة للفقراء والمحتاجين ومأوى لعابري السبيل وملجأ للمضطهدين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> قامت الزوايا بنشر العلم في المدن و القرى و المناطق الجبلية إلى جانب نشر النزعة الجماعية داخل المجتمع ابتداءا بمبدأ حلقة الذكر التي كانت تجمع الشيخ بالمريد كان يتشكل مفهوم النزعة الجماعية و التوحيد القائم على أساس الرابط الديني الصوفي، فأصبح الانتماء الطريقي و الصوفي هو المحدد المركزي الأفراد بغض النظر عن قبيلتهم وأصولهم العرقية والصوفية من خلال مبادئ طريقته التي تبحث عن مبدأ الانتشار في المجتمع و تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية، فأنتاب الطرق الصوفية كانوا و لا يزالوا لحد اليوم لا يعترفون بالحدود الجغرافية ولا حتى الحدود السياسية، و تمكن التيار الصوفي من عملية نشر الإسلام في مختلف المناطق و حتى البعيدة منها، و في شمال إفريقيا كان للتيار الصوفي دورا بارزا من حيث إيصال الدين الإسلامي إلى الفئات التي لم تصل إليها الدعوة الإسلامية. أنظر: "سردوك رشيدة: علاقة السلطة الجزائرية بالمؤسسة الدينية-دراسة سوسولوجية لعلاقة الديني بالسياسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة معسكر، 2015/2016، ص61

<sup>2</sup> كثر كارت لياندر، مذكرات أسير الداوي كاتكارت فنصل أمريكا بالمغرب، ترجمة و تعليق و تقديم إسماعيل العربي، د. م . ج . الجزائر، 1982، ص98.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص113.

<sup>1</sup> يذكر الباحث: E. Lambert "أدمون لامبارت" أن الزوايا كانت تقدم تعليماً متنوعاً على الشكل التالي:

. - تحفيظ القرآن الكريم عن ظهر قلب

- تعليم البلاغة العربية.

- تعليم الفقه على شرح خليل.

- تلقين صحيح البخاري.

- دراسة سبعة أو ثمانية تفاسير للقرآن الكريم.

- تدريس الهندسة والفلك.

- دراسة الشعر والأدب العربي.

ومن أبرز هذه الزوايا نذكر:

1-1\* زاوية الجامع الكبير:

شيدت هذه الزاوية سنة 1093هـ/1629م من طرف المفتي المالكي سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم، وتضم مدرسة وزاوية بها حجرات موزعة على طابقين وهي مخصصة لإيواء العلماء الفقراء ومبيت موظفي الزاوية كما يتوفر بها مراحيض عمومية وعيون ماء. تقع بالقرب من باب الجزيرة بالقرب من الجامع الكبير المشتملة على مسجد بدون منارة ومدرسة للصغار، كما تضم طابقين يضمان عدد من البيوت المخصصة للعلماء وعابري السبيل و الفقراء الذين لا مأوى لهم وعدة محلات للذين يعملون بالجامع الأعظم.

1-2\* زاوية الأشراف:

تقع هذه الزاوية بزققة الجنيينة، بناها الداوي محمد بكداش سنة 1121هـ/1709م، والأشراف هم الذين يثبتون بعقود قضائية ينحدرون من سلالة آل البيت وأنهم يتواجدون بمدينة الجزائر بأعداد كبيرة حتى شكلوا جماعة متميزة داخل مجتمع المدينة، ولهم مؤسسات خاصة بهم، وضع هؤلاء الأشراف شروطاً لها نلخصها فيما يلي:

<sup>1</sup>Edmond Lambert .op. Cit. p36..

\* لا يسكن الزاوية إلا الشريف غير المتزوج.

\* لا يتم اختيار موظفي الزاوية من إمام ومدرس ومقدم وقارئ و شواش إلا من طرف أشرف المدينة، وإذا لم يتمكن أحد الأشراف العمل بأعباء التدريس، فيعهد الأمر إلى أحد الفقهاء.

\* يتكفل وكيل الزاوية باستغلال مداخل الزاوية، لتوفير مستلزمات الزاوية أولا ثم الإنفاق على الأشراف الفقراء المولودين بمدينة الجزائر ثانية، ويمنع الوكيل أن ينفق على نفسه من مداخل الزاوية.

\* يستفيد من مداخل الزاوية، الأشراف سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا.

\* يمنع على نقيب الأشراف أن يستغل منصبه للتدخل في شؤون الزاوية، ولا يتعامل معها إلا بصفة فرد من أفراد الطائفة.

\* تحتضن الزاوية مرة واحدة في كل سنة اجتماعا يضم كبار طائفة الأشراف لتقويم مهام وكيل الزاوية.

\* كل تعيين وظيفي يتعلق بالزاوية يصدر عن جمعية الأشراف.

\* يمكن للوكيل وأفراد عائلته أن يدفن بمقبرة الأشراف أوصى بذلك.

\* ينظم الوكيل إطعاما بالزاوية في اليوم الثالث من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

1-3\* زاوية محمد الشريف: توفي 948هـ/1542م.

تقع في مفترق ثلاث طرق، تضم مقهى و حوانيت يرتادها الكثير من السكان، و تضم هذه الزاوية ساحة تضم عدة أضرحة، و مراحيض ومضيات وغرفة مربعة الشكل يتربعها ضريح الولي المذكور، و مسجدا صغيرا له مئذنة مئذنة القاعدة، ودهليزا يضم أضرحة و غرفتين إحدهما يضم ابن الولي المذكور، و هي في نفس الوقت مكتب وكيل الزاوية، و مقبرة و مدرسة بنيت حديثا إحدى واجهتها تقع على شارع "بالمي" قريبا من المدخل، و في الأخير ثلاث غرف تستعمل للسكن<sup>1</sup>.

يتكون موظفو الزاوية من الوكيل الذي هو دائما من سلالة الولي، و من إمام، و مؤذن، و من الحزابين اثنين، و من شواش، و شعال، و كناس، و قائم على المضيات. و قد كانت للزاوية مدا خيل تصرف

<sup>1</sup>مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2010، ص113.

على صيانتها و إدارتها وإطعام الفقراء يوم المولد النبوي، و قد بقيت الزاوية على حالها أثناء الاحتلال الفرنسي، وأدخلت عليها إصلاحات و ترميمات أثناء بناء مدرسة بجانبها<sup>1</sup>.

1-4\* زاوية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي:

شيدت هذه الزاوية سنة 1696م، و هي تحتوي على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمثة الزوايا وهو الشكل الذي أستورده الأتراك إلى الجزائر، أما المحراب فإنه مرين بالخزف المستورد من آسيا الصغرى و لجانبه ساريتان صغيرتان من الرخام، و عدد من البيوت و مرافق و سكن للوكيل متصلة بالمسجد، كما أن حجرة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي يحتوي على عدة قبور دفنت فيه شخصيتان تمثل قير الحاج أحمد باي قسنطينة<sup>2</sup>.

1-5\* \* زاوية عين الحوت:

عرفت الزاوية كمركز للعبادة و العلم بظهور دولة بني عبد الواد ونظرا لدورها الحضاري أصبحت تلقب بالأزهر الأصغر لكثرة توافد العلماء و الطلبة عليها من جميع المناطق القريبة و البعيدة، و بعد وفاة سيدي عبد الله بن منصور تولى الزاوية ابنه محمد بن محمد علي بن العربي بن حموي بن عبد الله بن منصور. ت. 1160هـ/1761م

وبناء على ما سبق، يمكننا أن نستنتج أن الزوايا بالجزائر العثمانية قدمت خدمات جليلة للثقافة المحلية وكانت سندا قويا للغة العربية و طلابها، "وبفضلها تخرج أجيال من المتعلمين الذين نشروا الوعي الديني"<sup>3</sup>، بما في ذلك حفظ القرآن و نشر تعاليم الدين الإسلامي من الاندثار، لذلك فهي شكل من أشكال المقاومة ضد الجهل و الأمية و نشر العلم و الحفاظ على اللغة العربية و الثقافة الإسلامية، و هي مخزنا للكتب و المخطوطات في مختلف العلوم و انتشار النسخ و التأليف و النقل و الجمع.

فتحت الزوايا أبوابها لكل أبناء القبائل القريبة والبعيدة الذين كانوا يصطحبون معهم الأغذية والملابس لأن التدريس بالزاوية مجانيا يأكل الطلبة جماعة من المؤونة التي تصل المرابط في زاويته من القبائل

<sup>1</sup> نفسه، ص 114.

<sup>2</sup> مصطفى حموش، مساجد مدينة... مرجع سابق، ص 129.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ... ج 4، مرجع سابق، ص 165.

المحلية المجاورة في شكل صدقات وزكاة، ويتعلم الطلاب فيها أساسا العلوم الشرعية المختلفة، وبعد عدة سنوات من التعلم يرجعون إلى قبائلهم ثم يفتحون كتاتيب صغيرة لتعليم أطفال القبيلة، كما نقلت الزوايا تعاليمها إلى أنحاء إفريقيا الغربية<sup>1</sup>.

و بناء على ما سبق، ظلت الزوايا تحمل ثقافة الزهد و عقلية الخرافة و قدسية المرابط و الشيخ و الزهد في الدنيا و علومها و الاهتمام بعلوم الآخرة بعيدا عما كان يجري من تطورات علمية خطيرة في العالم و أوروبا، و في هذا الصدد يرى صاحب تاريخ الجزائر الثقافي: " أن انتشار الزوايا و الاعتقاد في الشيخ أدت إلى نتيجتين خطيرتين، ذلك أن نقل التعليم إلى الزوايا أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه بطريقة جافة ريفية ضيقة... و كانت النتيجة تدهور مستوى التعليم بالجزائر و مدنها التاريخية<sup>2</sup>، من جهة ثانية

يذكر شيخ الفكون أن انتشار الزوايا في الأرياف و المدن بشكل ملفت لم تكن كلها لإطعام الطعام و نشر العلم، بل كانت في معظمها مصيدة لجلب الأنصار و إشاعة الخرافة و إعطاء الورد والاتصال بالشيخ المرابط.<sup>3</sup>

- ثانيا: المراكز العلمية.

1/ الكتاتيب:

عرفت الكتاتيب منذ زمن مبكر على أنه المكان الذي يتلقى فيه أبناء المسلمين وخاصة الصبيان منهم يتعلمون مبادئ القراءة و الكتابة و القرآن الكريم و الأحاديث النبوية و القصص التاريخية و بعض المسائل الدينية و المنظومات الشعرية و شيئا من النحو و العروض، و لا شك أن طبيعة العلوم التي تدرس هي العلوم الدينية أو المرتبطة بها كاللغة العربية و الوسيلة الوحيدة لقراءة القرآن و حفظه.

وكان التلميذ يكتب على الألواح و يمحي بالغسيل عندما يحفظ ما عليها، و ما زالت هذه الوسيلة مستعملة إلى يومنا هذا، و لا تخلو منها منطقة بالبادية أو الحاضرة في الجزائر.

<sup>1</sup> سعيدوني و المهدي البوعبدلي، الجزائر... مرجع سابق، ص 166.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص 48.

<sup>3</sup> عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تقديم و تحقيق و تعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987، ص 142.

وعموما يقوم المدرسون على تلقين الأطفال الأخلاق الفاضلة وحضهم على طلب العلم وتقريب فهمهم على المسائل المستعصية وتكوين ملكة الحفظ و الفهم لديهم، وفي بعض الأحيان التشدد معهم. إن المهمة الرئيسية للكتاتيب هي تزويد الطلاب ببعض العلوم و المعارف الأساسية لكل مسلم، التي يحتاجها أثناء تأدية الشعائر الدينية، وفي الحياة اليومية مثل حفظ بعض سور القرآن الضرورية لتأدية الصلوات الخمس، والإمام بأركان الصلاة وشروطها ومبطلاتها، وحسن المعاملة مع المسلمين كافة وأداء الأمانة والأخلاق الكريمة، ولذلك تعتبر الكتاتيب اللبنة الأولى للتعليم والثقافة في كل المغرب الإسلامي.

## 2/ المكتبات و خزائن الكتب:

تعتبر المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي يفتخر بها المسلمون و التي كان دورا رئيسيا في نشر الثقافة و جميع أصناف المعرفة<sup>1</sup>، و تحتوي هذه الأخيرة على ما دونه العلماء الإسلام من كتب دينية و الأشعار و الأخبار و الأمثال وكتب قيمة في مختلف العلوم تمكن الطلبة من الاطلاع والاستفادة العلمية منها والحصول على أنذر المؤلفات في جميع العلوم<sup>2</sup>.

وخلال عهد بني زيان تحولت مدينة تلمسان إلى منارة للعلم و العلماء و إلى ركيزة مهمة في بناء الحياة العلمية و الثقافية بفضل موقعها المنفتح الذي يعتبر همزة وصل بين التل والصحراء الكبرى ببلاد السودان الغربي، و معبرا هاما لقوافل التجارة الصحراوية وقوافل الحجاج القادمين من الجنوب الجزائري والمغربي.

ساهمت حركة نسخ الكتب و التأليف و المطالعة ووضع الكتب في مكتبات عامة في التحصيل العلمي و المعرفي للطلبة إذ كانت من بين الوسائل التعليمية الهامة، وإدراكا منهم بأهمية الكتاب في دفع الحركة العلمية و الثقافية بادر مملوك بني زيان بإنشاء مكتبات داخل قصورهم وجلبوا إليها مختلف

<sup>1</sup> راغب السرحاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، إسهامات المسلمين في الحضارة الإسلامية، ط2009/1430، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع والترجمة، القاهرة، ص223.

<sup>2</sup> بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 10/هـ، ط1، دار المدار الإسلامي، ص407.

الكتب ونفائسها من مختلف الأمصار وغالبا ما يكون تابعة للمساجد و الزوايا وكان لها بالتالي دور بالغ في تعميق و ترسيخ التعاليم الإسلامية في البوادي و الحواضر، إذ تنوّعت كتبها بتنوع العلوم التي كانت تدرّسها من علوم القرآن الكريم، كالفقه، والحديث، التفسير، اللغة، وغيرها من العلوم و الفنون الأخرى كالتصوف والتاريخ والتراجم والسير والرياضيات و الفلك".<sup>1</sup>

لقد أصبحت المكتبات إحدى الركائز الأساسية للحركة الفكرية بالمغرب الأوسط، و تحولت مدينة تلمسان إلى عاصمة علمية مزدهرة بفضل الجامع الكبير الذي به مكتبتان عامتان حافظتان بالكتب النفيسة التي كان يستفيد منها الطلبة بالمطالعة في وقت الفراغ<sup>2</sup>، كما بلغت فيها صناعة الكتب تأليفا و نسخا و جمعا درجة عالية<sup>3</sup>، و في هذا الصدد قام سلاطين و أمراء بني زيان و العلماء و الفقهاء بتزويد مكتبات تلمسان بمجموعة نفيسة من أمهات الكتب، و لم يقتصر الأمر على إنشاء المكتبات الخاصة التي كان يملكها العلماء و الفقهاء و البيوتات العلمية ذات الشهرة الواسعة، و بالإضافة إلى ذلك اهتم الوراقون بجمع الكتب و نسخها في دكاكين خاصة يبيعون فيها السلع و ينسخون فيها المصاحف و الكتب<sup>4</sup>. كان الخطاطون و الوراقون الممولون الرئيسيون لسوق الكتب بالمغرب الأوسط، فكثير تداول الكتب المغاربية و الأندلسية و المشرقية مما مكّن الطلاب و العلماء من مزاولة نشاطهم العلمي و التعليمي<sup>5</sup>.

ومن جهة ثانية كان لكل زاوية على الأقل خزانة كتب خاصة بها، وقد ذكر سالم العياشي " أنه التقى مع الشيخ محمد بن إسماعيل المسناوي القراري أثناء رحلته الحجية أنه كانت له مكتبة عامرة قلّ نظيرها"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية... مرجع سابق، ص 408.

<sup>2</sup> محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصادرها، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ص 5.

<sup>3</sup> نفسه، ص 33.

<sup>4</sup> أبو العباس أحمد المقرئ، رحلة المقرئ إلى المغرب و المشرق، تحقيق محمد بن معمر منشورات مكتبة الرشاد للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص 140.

<sup>5</sup> عبد العزيز الفلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، الجزائر، 2002، ص 449.

<sup>6</sup> هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي توفي سنة 1090هـ/1679م خلفا وراءه تصانيف عديدة منها: مسالك الهداية- إظهار المنة على المبشرين بالجنة. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للمغرب الإسلامي" تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص 376.

ولقد ساهم شيوخ الزوايا في غنى هذه الخزائن وراثتها اجتهدوا في اقتناء عدد من الكتب جلبوها في رحلاتهم إلى الحج أو أوصوا بشرائها منه، ليزودوا بها خزائن كتب زواياهم؛ ، ولنا في هذا نموذجا في الشيخ عبد الكريم بن أحمد<sup>1</sup> في إثراء خزانة المخطوطات البكرية بمؤلفاته؛ وهي المساهمة نفسها لبعض التلامذة والمريدين في هذا المجال، كاليقوبي<sup>2</sup>.

أن عملية شراء الكتب لم تكن حكرا على زاوية دون أخرى بل مسّت جميع الزوايا بغرض توفير الكتاب لطلبتها والاستفادة منه، وجهة أخرى كان شيوخ الزوايا يكلفون مريديهم وطلبتهم بنسخ الكتب وبصفة خاصة منهم أولئك الذين عرفوا بجودة خطّهم وحسن ضبطهم وإتقانهم؛ فكانت تدفع إليهم المؤلفات ينسخون منها نسخة أو أكثر يُزودون بها خزائن زواياهم و اتبعوا في ذلك ضوابط في النسخ بقصد الإخراج الحسن للكتاب؛ كنوعية الورق والحبر وعدد الأسطر في كل ورقة، وغير ذلك من قواعد وشروط؛ وهذا ما يؤكده اليقوبي الذي قال عن نفسه: "...كنت قدمت عليه ( أي الشيخ محمد بن أبي زيان ) بنسخة الإمام البخاري - رضي الله عنه - في سبعة أسفار؛ فلما قرأتها عليه ناولني رزمة من الكاغط، وقال لي: أكتب لي نسخة أخرى تكون غليظة بينة في عشرين سفرا.وجعلنا الكاغط وقطعناه؛ وجعلناه عشرة كراريس في كل سفر..."<sup>3</sup>.

و إضافة إلى ما سبق، تشير العديد من الدراسات أن الجزائر كانت تملك عددا كبيرا من المكتبات حتى قبل و A.Berbrugger مجئ العثمانيين، وهذا ما يؤكده الباحثون الفرنسيون مثل بربروجر الذين رافقوا الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م بأنهم اندهشوا من كثرة الكتب والمخطوطات التي وجدوها بالمساجد و الزوايا و المكتبات في تنوعها و جمالها و العناية بها في كل من مدينة الجزائر، قسنطينة، تلمسان، معسكر.

<sup>1</sup> من علماء قصر تمنطيط، ولد سنة 1597/994هـ من أبرز شيوخه سعيد قدورة، أحمد بابا التتوكتي، الشيخ علي الأجهوري المصري الذين اعترفوا له بالفضل واجزوه علميا وأذنوا له بالدرس و الفتوى. ترك العديد من المؤلفات في شتى الفنون. توفي سنة 1042/1633م.أنظر: عبد الكريم بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9/14هـ، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2007، ص148.

<sup>2</sup> هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد مزبان من بلدة أرشيدة بناحية"قاس" والده الشيخ سيدي محمد بن أبي زيان، من تألفه: فتح المنان. كان حيا حتى سنة 1145/1733م.أنظر: عبد الله حمادي الأدرسي، حاضرة قنادسة وزاويتها الزيانية الشاذلية بهذه الصحراء الجزائرية تاريخيا و مناقب، ج1، ط1، دار بوسعادة للنشر و التوزيع، 1434/2013، ص220.

<sup>3</sup> عبد العزيز الفلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2...مرجع سابق، ص377.

و يذكر سعد الله في هذا الصدد: " أن شراء الكتب لم يكن مقتصرًا على الأغنياء والأمراء فقط، بل شمل حتى فقراء العلماء الذين كانوا يؤثرون الكتاب على ملء المعدة و اللباس الفاخر و الفراش الوثير...و لا نجد عالما إلا وله قائمة قصيرة أو طويلة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة"<sup>1</sup>.

و عموما يمكننا تقسيم المكتبات في الجزائر إلى عامة و خاصة، فالمقصود بالمكتبة العامة هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد و الزوايا و المدارس و التي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا ثم إلى لمجموع القراء مثل مكتبة مدينة تلمسان كانت تحتوي على مكتبة عامة خلال القرن 11م، أما المكتبات الخاصة فهي كثيرة و ليس بوسعنا حصرها لأنها كانت تابعة للعائلات و البيوتات العلمية المعروفة و نخص بالذكر أسرة الفكون، ابن باديس، المشارف، ابن سحنون الراشدي، وأبي راس الناصر التي حبسها عليه أحد بايات وهران و سماها "بيت المذاهب الأربعة"، كما ذكر العالم الورثياني أنه كان لوالده خزانة كتب عظيمة بحيث لا توجد عند غيره، و كان وقف الكتب يتم بنفس الطريقة التي تتم بها الأوقاف الأخرى، فالواقف عادة ينص على أن الكتاب موقوف في سبيل الله على طلبة الجامع

أو الزاوية أو المدرسة مثل الباي محمد بن عثمان الكبير الذي أوقف نسخة من صحيح مسلم و غيره من الكتب على مدرسة مازونة سنة 1212هـ<sup>2</sup>.

و من جهة أخرى احتوت المساجد و الزوايا و المدارس خزائن الكتب التي تعتبر بمثابة مكتبات العصر منها العامة و الفردية و بها أغلى و أنفوس الكتب و المخطوطات التي عمل العلماء و بعض الحكام و الأسر العريقة على جمعها و نسخها ثم تحبسها لصالح الطلبة.

ولم يقتصر وجود هذه النفائس من الكتب على المناطق النائية فحسب، إذ يذكر التمغروطي أنه في القرن 10هـ / 16م كانت مدينة الجزائر غنية بالكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا<sup>3</sup>، إضافة إلى تلمسان و معسكر و مازونة و قسنطينة، كما كانت المناطق الجنوبية بدورها تزخر

<sup>1</sup> عبد الله الإدريسي، حاضرة قنادسة... مرجع سابق، ص 286.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص 292.

<sup>3</sup> علي أبو الحسن التمغروطي، النفحة المسكية في السفارة التركية، بدون دار النشر و سنة الطبع، ص 139.

بكنوز من الكتب والمخطوطات في كل من الميزاب التي عرفت بمكتباتها، خاصة منطقة بني يزقن<sup>1</sup>، كما نشير أن خزانة كتب كاملة أوقفها الباي محمد الكبير على الجامع الأعظم بمعسكر، وأهدى نسخة من صحيح مسلم وغيره من الكتب إلى مدرسة مازونة التي أمر ببنائها إكراما للعالم المجاهد الشيخ محمد بن علي أبو طالب، وجزاء له ولطلبته على مشاركتهم في تحرير وهران.

### 3/الرباطات:

الرباطات هي عبارة عن قلاع وزاويا ومدارس متقلبة<sup>2</sup>، وهي تشبه الزاوية من بعض الوجوه و هي مثلها في خدمة الدين إلا أنها تمتاز بقربها من المواقع الأمامية للأعداء الصليبيين بهدف الجهاد وحماية الثغور.

كانت الرباطات في العهد الأول منتشرة على السواحل التي نزل فيها الأعداء أو التي كانوا يهددونها، فكان العلماء والطلبة والمجاهدون يجتمعون فيها و ينطلقون منها ويأوون إليها للزاد والسكن<sup>3</sup> كان العلماء و الطلبة جنودا يجتمعون بها وينطلقون منها و يأوون عندها كلما قضت الضرورة، و بسبب المناوشات التي وقعت بين القبائل العربية القاطنة بأحواز وهران والأسبان الصليبيين قرر الباي محمد بن عثمان الكبير تجميع القبائل لغاية تحقيق الفتح، ووصل الأمر إلى منع التدريس بالمدن واقتصاره على الرباطات، فشكل الطلاب و العلماء جيشا و فرقا عسكرية، كما أعفى كل من يلتحق بالرباط من الضريبة، ومن أبرز علماء الذين التحقوا برباط وهران نذكر مصطفى الرماصي، محمد بوجلال خلال الفتح الأول 1119هـ/1708م، أما خلال الفتح الثاني 1205هـ/1792م اشتهر من العلماء: القاضي الطاهر بن حوا، محمد بين عبد الله الجلاي الذي كلفه الباي برئاسة الرباط، محمد بن علي الشارف المازوني، محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي صاحب "الرحلة القمرية"، عبد

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص 313.

<sup>2</sup> المهدي بوعبدلي، "الرباط والفدى في وهران والقبائل الكبرى" مجلة الأصالة، العدد 13، 1973، الجزائر، ص 19-37. مختار فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الجغرافي للطباعة والنشر، باتنة -الجزائر، 1976، ص 27.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر....ج1، مرجع سابق، ص 272.

القادر بن عبد الله المشرفي صاحب: "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب كبني عامر" فكانوا جنودا وعلماء في آن واحد<sup>1</sup>.

و بناء على ما سبق، لم يكتف العلماء بالفتاوى الدينية ضد المتعاونين مع الأسبان وإنشاد القصائد الشعرية، بل لجأ هؤلاء إلى حمل السلاح وإحياء فريضة الجهاد، و لعب العلماء و الطلبة دورا محوريا في فتح وهران بحكم أنّ وهران ثغر من ثغور المسلمين، علاوة على أنّها كانت على مرّ العصور دار جهاد وموطن رباط، وأن علماء الناحية الغربية هم أدرى الناس وأخبرهم بفريضة الجهاد، كما يذكر ابن زرفة: " بأن فاعلماء قاطبة أولى من غيرهم في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في الجهاد واستيعاب مدلولاتها"<sup>2</sup>، بالإضافة إلى تعبئة المواكب و التدريب على الأساليب القتالية وطرق الدفاع والهجوم و الرمي".... أعلم أنّ الرمي وتعليمه بنية الجهاد في سبيل الله تعالى والمسابقة به ممّا ندب به صلّى الله عليه وسلم وخطّ عليه لأنّ قوة الرمي أول القوة تقوية لقلوبهم وزيادة لنشاطهم وترغيبا لهم..."<sup>3</sup>.

و بفضل لمشاركة العلماء في الجهاد العسكري ضد الأسبان و متابعتهم لسير العمليات الحربية على جبهات القتال، فقد عرض بعضهم للأحداث عبر رسائل وانتقادات، بل وحتى تقارير فاجتهدوا في تحليل دقائقها وتفسير تطوراتها، فهذا العلامة ابن سحنون الراشدي وهو الكاتب في قصر الباي وقف معارضا لبعض قادة الجيش الذين شكّوا في نجاح الرباط الذي أحيّاه الباي محمد الكبير، ناقدا إياهم بقوله: "ولقد كان الناس حين أمر بجمع الطلبة بيفري مستبهمين للأمر طانين أنه مما لا فائدة فيه، فلما رأوا نجاح تدبيره بتضييق الطلبة على الكفرة وقتالهم إياهم أينما رأوهم حتى عجزت عنهم طاقة الكفار واحتاجوا إلى طلب المسالمة بتسليم البلاد، وصرحوا بأنهم أذوهم أشر الإذاية ونكوهم أكبر النكاية،

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج1، مرجع سابق، ص272.

<sup>2</sup> الداوي بن زرفة، الرحلة القمرية في الدولة المحمدية-تحقيق د. مختار حسني، جامعة الجزائر، مخبر المطبوعات، 2003، ص.356.

<sup>3</sup> ابن سحنون، الثغر الجماني...مصدر سابق، ص104.

تبين للمعترضين أنهم كانوا في أودية الضلال يهيمنون وأن اعتراضهم معترض بل هم قوم لا يفهمون....<sup>1</sup>.

ذكر ابن سحنون التعبئة للقتال فأشار إلى أهمية صنع البارود قائلا: "... والبارود هو هذا التدبير العجيب الذي أبطل آلات القتال منذ قعقت رعوده في مواطن الحروب وتلاعبت بندقه ورننت فأوقفت الأرواح على شرف الغروب، فياله من تراب يهشم الحديد فلا تمنع الدروع المضاعفة من سهمه السديد ولا بقى منه الترس الشديد، يهدم الجبال ويقتل الأسود والأفيال ويخرب الحصون ويفتك كل حرم مصون...<sup>2</sup>".

وتمكن الطلبة و العلماء من تضيق الخناق على الصليبيين الأسباب ومقاتلتهم وإحداث أكبر الخسائر بجنودهم وذلك من خلال نصب الكمائن"... صاروا في ملازمتهم ذلك الجبل يراقبون النصارى فمتى خرجت طائفة لجهتهم بادروا إليها وتركوها بين قتيل و جريح أو فار بنفسه<sup>3</sup>.

#### - ثالثا: دور الوقف في نشر التعليم بالجزائر العثمانية.

يعد-الوقف- أهم المظاهر التي جاءت بها الحضارة الإسلامية، فهو الذي يعبر عن الخير المستشري في الإنسان المسلم ويبرز مدى الإحساس الإنساني اتجاه الآخرين، وتعددت إسهامات الوقف في الحياة الاجتماعية لمجتمع المغرب الإسلامي، حيث مست مختلف جوانب الحياة مثل إسعاف الفقراء والمحتاجين، ورعاية المسنين والاعتناء بالمرضى، وبذلك أصبح نظام الوقف مصدرا لقوة الدولة، وشريكا لها في خدمة المجتمع ورعاية شؤونه، حيث خفف على الدولة الكثير من الأعباء، وجعل تحت تصرفها موارد ضخمة أعانتها على الاضطلاع بأعبائها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 357

<sup>2</sup> ابن سحنون، الثغر الجماني...مصدر سابق،، ص 356.

<sup>3</sup> نفسه، ص 239.

<sup>4</sup> عبيد بوداود، الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين 15/13م ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص531.

وبناء على ما سبق، ما هو الدور الذي قام الوقف في توفير و بناء المرافق و المنشآت التعليمية للسكان المحليين؟ وهل كان دور الوقف مقتصرًا على بناء المنشآت التعليمية أم تتوع نشاطاته إلى الميادين الاجتماعية و الاقتصادية الأخرى؟.

لقد قدم الوقف خدمات اجتماعية جلية لشريحة اجتماعية واسعة من السكان بما في ذلك توفير و بناء المؤسسات التعليمية و الثقافية منها المساجد و الكتاتيب و الزوايا "و توفير السكن للمحتاجين للأسر الفقيرة فتحصل على السكنى بالمجان أو بالكرام الرمزي"<sup>1</sup>، بل أن الوقف والواقفين لم ينسوا حتى الأموات من الضعفاء والغرباء، وخصصوا لهم أوقافا تعمل على مواراتهم التراب.<sup>2</sup>

اعتنت الأوقاف بكل مصالح المسلمين، ولم تترك كبيرة ولا صغيرة إلا وأدرجتها ضمن اهتماماتها، وبذلك كانت سندا حقيقيا للمجتمع والراعية لمصالحه، وكذلك مصدر قوة لكل من المجتمع والدولة<sup>3</sup>، بوظائفها الأساسية في حفظ الأمن والقيام بواجب الدفاع، هذا فضلا عن أن احترام الدولة لنظام الوقف ومشاركة رموزها وممثليها في دعمه والمحافظة عليه، كان من شأنه أن يقوي من شرعية سلطة الدولة نفسها، ويوثق علاقاتها بالمجتمع و كانت مؤسسة الأوقاف مصدر قوة مزدوجة لكل من المجتمع والدولة "فأما كونه مصدرا لقوة المجتمع بما وفره من مؤسسات وأنشطة أهلية ظهرت بطريقة تلقائية، وقامت بتلبية حاجات محلية عامة وخاصة، وأما كونه مصدرا لقوة الدولة، فبما خفف عنها من أعباء القيام"<sup>4</sup>.

الوقف أو الوقوف لغة هو خلاف الجلوس، وقف بالمكان(بفتح القاف) وقف(بسكون القاف) ووقوف، فهو واقف، والجمع وقف(بضم الواو، سكون القاف)، ويقال: وقفت دابة تقف ووقفا، ووقفتها أنا واقفا، ووقف الدابة جعلها تقف<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد زنيبر، الحبس كمظهر من مظاهر السياسة الاجتماعية في تاريخ المغرب، ندوة مؤسسة الأوقاف في العلم العربي الإسلامي، 143هـ/1983م، ص201.

<sup>2</sup> نفسه، ص202.

<sup>3</sup> نفسه، ص203.

<sup>4</sup> ابراهيم البيومي غانم، "تحو تفعيل دور نظام الوقف في توثيق علاقة المجتمع بالدولة"، المستقبل العربي، العدد 266، أبريل 2001، ص45.

<sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، المجلد15، نسق وعلق عليه، ووضع فهارسه، علي المشيري، ط1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص373.

والوقف اصطلاحاً هو قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها و صرف المنفعة لجهة الغير<sup>1</sup>

و الوقف في الشرع حبس الأصل وتسبيل المنفعة، أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله، ولهذا التعريف أصل في الحديث الشريف، فعين سفيان بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري عن نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر بن خطاب ملك مائة سهم من خيبر، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني أصبت مالا لم أصب مثله قط، وقد أردت أن أتقرب به إلى الله عز وجل فقال: "حبس الأصل وسبل الثمرة"<sup>2</sup>.

و من هنا يرى راشد القحطاني أن الوقف وجه من وجوه البر و الخير التي أَرادها الواقف وأراد لها الاستمرار في حياته و بعد مماته ابتغاء مرضاة الله مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو هريرة: "إذا مات لبن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"، ويعد الوقف من أهم صورها"<sup>3</sup>.

وقد تطور نظام الوقف الإسلامي من حيث التشريعات الخاصة به والمعاملات المتعلقة باستغلاله وأصلح اجتهاد الفقهاء والعلماء وانتشر في البلاد الإسلامية انتشاراً واسعاً حتى أضحت ظاهرة اجتماعية واقتصادية وثقافية ذات أثر بالغ في حركية المجتمعات الإسلامية"<sup>4</sup>.

عرفت الجزائر كغيرها من البلدان الإسلامية نظام الوقف غير أننا لا نملك إلا القليل من النصوص حول وضع الأوقاف قبل التحاق الجزائر بالدولة العثمانية نذكر منها أوقاف تلمسان التي يعود تاريخها إلى عهد الملك أبي الحسن المريني 1331-1351م وما حبسه على المسجد المعروف

<sup>1</sup> أبو زهرة محمد، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، القاهرة، 1972، ص7.

<sup>2</sup> مغلي محمد البشير الهاشمي، "التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي"، مجلة المصادر، العدد:6، ص157.

<sup>3</sup> القحطاني راشد سعد راشد، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الرياض، 1994، ص20.

<sup>4</sup> عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، إعداد: أ. زكية زهرة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 45، ص256.

بجامع العباد والزاوية والمدرسة المتصلين به<sup>1</sup> وهذا ما يسمح لنا بالقول بأن الوقف كتنظيم له إجراءاته الخاصة وهيكله المنظمة ومؤسساته المتميزة، ولم يقتصر الوقف على الرجال فقط بل شمل النساء أيضا، كما ضم الأغوات والحكام ومتوسطي الحال والتجار وكل واحد حسب إمكانياته الخاصة حتى أضحت ظاهرة عامة في حياة الجزائر العثمانية، وهذا الوضع يدفعنا إلى التساؤل عن الأسباب التي كانت وراء انتشار هذه الظاهرة بهذا الشكل الواسع؟.

وحسب الأستاذ سعيدوني فيرجعها للأسباب التالية:

- ميل السكان إلى التدين والنقش، ونلمس ذلك في إتباع الطرق الصوفية والزوايا والتنافس على فعل الخير وذلك ما يرد من عبارات في وثائق الوقف: "قصد بذلك وجه الله العظيم ورجاه ثوابه الجسيم إن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر من أحسن عملا".

-الوضع الأمني الذي عاشته البلاد آنذاك والمتميز بالأمن من خلال الهجمات والاعتداءات الخارجية والاضطرابات الداخلية المتتالية، وتزايد الكوارث الطبيعية واستخدام الباشاوات للدين بغرض إحكام سيطرتهم على السكان، فلجأوا إلى وقف الكثير من ممتلكاتهم لإظهار التقوى والتقرب من المرابطين ورجال الدين، وقد يكون خوف هؤلاء من مصادرة أملاكهم دافعا لذلك<sup>2</sup>.

و للوقف نظام داخلي دقيق، فالوكيل أو الناظر هو المشرف الرئيسي عليه، وهو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط، و هو المسؤول على تنمية الوقف واستعماله في الأوجه المعينة له و من مواصفاته الأخلاق الفاضلة و النزاهة و العلم والسمعة الطيبة بين الناس، و من الممكن تغيير الوكيل عندما تشتهر عنه أمور مخلة بنظام الوقف أو بالأخلاق العامة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص257.

<sup>1</sup> محمد بوشنافي، "أوقاف الموظفين والجنود بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الأول، مختبر الجزائر و الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، جامعة سيدي بلعباس، 2015، ص284.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...مرجع سابق، ص229.

و في مدينة الجزائر اشتهر نوعان من الوقف<sup>1</sup> ، الوقف الذري أو الأهلي والوقف الخيري<sup>2</sup> وتفيد عقود التحبب المحفوظة ضمن سلسلة المحاكم الشرعية بوجود اختلافات عديدة في أحكام الحبس بين المذهبين، المالكي والحنفي وأبرز اختلاف هو عدم جواز التحبب الذري عند المذهب المالكي، وجوازه عند الحنفي، وهذا ترغيبا للناس في الخير<sup>3</sup> وفي هذا الشأن يقول بن حمدان خوجة: "...لقد أنشئت حسب قوانيننا مؤسسات خيرية وأوقاف تهدف كما ذكرنا إلى تحسين أوضاع الفقراء والتخفيف من مصائبهم وهناك طرق متعددة للتصرف في هذه الأملاك وفقا لمبادئ القضاء المالكي، إن الذي يهب ملكا ما يتعهد بأن يسمح للمؤسسة المهدي لها أن تشرع حينما بالتمتع بذلك الملك، وحسب مبادئ القضاء الحنفي فإن إرادة الواهب تصبح بدورها قانونا وبمقتضى هذه القوانين أجمع الفقهاء على أن يطبق المذهب الحنفي على كل الهبات المشروطة، ولذلك لرفع الموارد الخاصة بالطبقات المعوزة"<sup>4</sup>، وبالتالي فمعظم عقود التحبب الموجودة في سلسلة المحاكم الشرعية هي عقود على المذهب الحنفي، ولعل ذلك راجع إلى أن معظم الواقفين كانوا من أتباع هذا المذهب، من أتراك و كراغلة وبعض الحضرة، ويظهر هذا الأخير تساهلا فيما يخص قضية الوقف ومن ذلك أنه كان يجيز انتفاع الواقف وعقبه من عوائد الحبس الذي لا يحول إلى الغاية التي أوقف من أجلها إلا بعد انقراض الأقباب أو الورثة الذين ورد ذكرهم في عقود التحبب"<sup>5</sup>، ينتفع بغلة ذلك مدة حياته مقلدا في ذلك بعض أئمة مذهب أبي حنيفة.

أما فيما يخص المذهب المالكي فإنه يظهر تشددا في قضية صرف الوقف للغاية التي أوقف من أجلها، أي صرف عوائده للمصلحة العامة بل تردد أو إرجاء إلى وقت آخر، وانتشر هذا النوع من الوقف داخل البلاد أين كان سكانها من أتباع هذا المذهب ثم أصبح يتعمم بفحص مدينة الجزائر نتيجة

<sup>1</sup> Mercier.E. le code de hobous ou ouakf. Selon la législation musulmane. Constantine.1899.

<sup>2</sup> فراج أحمد حسين-محمد كمال الدين، نظام الإرث والوصايا وأوقاف في الفقه الإسلامي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2002، ص188.

<sup>3</sup> بن حموش مصطفى، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني، 1830-1549، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2000م، ص188.

<sup>4</sup> حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص57.

<sup>5</sup> عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة...مرجع سابق، ص256.

انقراض الورثة والأعقاب بسبب الجوائح التي كانت تضرب البلاد كالأوبئة والمجاعات، ومن أهم مؤسسات الوقف في الجزائر نذكر مايلي:

1/ أوقاف الحرمين الشريفين:

إن تنظيم الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين بالجزائر ليس معروفا على وجه التحديد، بحيث لا نعرف متى أضحت المدينتان مكة المكرمة والمدينة المنورة تنتفعان بعائدات الأوقاف المخصصة لهما، وتشير أقدم الدفاتر المتعلقة بحسابات كراء الأوقاف المخصصة لمرجع الحرمين الشريفين التي تعود إلى عامي 1648-1649م<sup>1</sup>، أن تأسيسها سابق لمطلع القرن السابع عشر.

احتلت مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين الصدارة عن باقي مؤسسات الأوقاف القائمة بالجزائر، ويظهر ذلك جليا من الكم الهائل من الوثائق العائدة إلى تلك الفترة، إذ تشير عقود سجلات المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر على سبيل المثال، عقود التحبيس الذرية أو الأهلية<sup>2</sup> أي الحبس على العقب<sup>3</sup> التي حددت مرجعها مؤسسة الحرمين الشريفين، مما يؤكد أن مؤسسة أوقاف الحرمين فازت بأهم قسط من العقارات الموقوفة<sup>2</sup>.

وضمن هذا المعطى، لاحظ قنصل فرنسا بالجزائر "فيليب فالير" مدى اتساع أوقاف الحرمين الشريفين بقوله: "...أوقاف الحرمين واسعة الانتشار بمدينة الجزائر وسيأتي اليوم الذي ستستحوذ مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين على جميع العقارات"، وأضاف قائلاً: "...و تكاد تكون جميع دور المدينة و البساتين المنتشرة بالضواحي تابعة لمرجع الحرمين"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> شهاب الدين، الفهرس التحليلي للوثائق العثمانية، مركز الأرشيف الوطني، بئر خادم، الجزائر.

<sup>2</sup> عائشة غطاش، "حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر"، أعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر و التاسع عشر دراسات إنسانية، عدد خاص 2002، ص146

<sup>3</sup> EMERIT M., Les aventures de the denat esclave et ministre d'un bey Afrique; R.A. 1948.p25.

و سجل التميمي بدوره ما نصه "...إن هناك خطأ تصاعديا لعملية التحبيس ففي حين تم تسجيل 159 عقدا باسم الجامع الأعظم خلال 210 سنة من 1540 إلى 1750م نلاحظ من جهة أخرى تأسيس 384 وقفية خلال الفترة الممتدة من 1750 إلى 1841م وعلى الخصوص تأسيس 227 وقفية خلال أواخر حكم الدايات"<sup>1</sup>، بالإضافة إلى الإقبال الواسع على عملية التحبيس أو الوقف فإن المشرفين على مؤسسات الأوقاف عملوا على تطويرها من خلال إضافة عقارات عن طريق الشراء.

- المساهمون في أوقاف الحرمين الشريفين:

ساهمت جميع شرائح المجتمع تقريبا في مجال الوقف من خاصة و عامة على السواء، فهناك الحكام و الموظفون السامون وموظفو الإدارة المحلية نذكر منهم: الداوي حسن باشا، الداوي علي باشا، الداوي مصطفى باشا، الداوي ابراهيم باشا بن رمضان، كما تطلعنا عقود المحاكم الشرعية بأسماء بايات آخرين أوقفوا عدة عقارات مثل بايات التيطري مصطفى باي 1781م وجعفر باي 1820م، بالإضافة إلى الكراغلة وشرائح من حضر وأتراك"<sup>2</sup>.

و بناء على ما سبق علينا أن نتساءل، هل كانت المرأة في الجزائر بمعزل عن ظاهرة الوقف؟، وهل كان لها ثروة مالية ودور اجتماعي تشترك من خلاله في الوقف الذي أنشأه الرجل؟.

إن المصادر المختلفة التي بحوزتنا تشير أن النساء ساهمن بأملكهن في تدعيم الوقف و المساهمة فيه من ميراثيهن وهو الشائع في المجتمع المتكون من مساكن و أراضي زراعية مسقية و أراضي البور المعدة للحرث و التي تنتشر في مختلف الفحوص و الأوطان، والأملك التي حبستها المرأة هي الأملك التي ورثتها على وجه الخصوص، سواء أكان ميراثها هذا من أبيها أو زوجها أو أخيها و هو

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، "وثيقة عن الأملك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1980، ص 19.

<sup>2</sup> عائشة غطاس، "حول الوثائق المتعلقة بالأوقاف...مرجع سابق، ص 148.

الشائع أو كان من أمها أو ابنها و هو الاستثناء<sup>1</sup>، وعادة ما كانت تشتري العقار لتحبسه كما كان يفعل الرجل، و كانت صكوك الأوقاف هي نفسها تصرح بمصدر هذه الأملاك، وهو تقليد دأب عليه العدول في تحريرهم للعقود وذلك بهدف إثبات الملكية و تأكيدها و نفي الشبهة عنها<sup>2</sup>.

من النساء اللواتي أسهمن في تأسيس الأوقاف لصالح الحرمين، فاطمة بنت محمد الفهري 1645م، وآمنة زوجة علي بن محمد، وعائشة بنت حسن رابيس 1656م، فاطمة بنت محمد الأندلسي 1666م والسيدة خديجة بنت الحاج يحي سنة 1208هـ/1793م حيث جاءت العبارات واضحة و صريحة، و نقلت بموجبها المحبسة ميراثها كله إلى فائدة أبنائها"...أشهدت أمة الله خديجة ابنة الحاج يحي من ذكر على نفسها، وهم يعرفونها ذاتا واسما وصفة، أنها حبست ووقفت جميع الورث الذي نابها من أبيها الحاج يحي المذكور، من الأرض الكائنة بهوارة المعلومة بأرض أولاد العربي على نفسها أولا مدة حياتها"<sup>3</sup>. و جاء في مثال السيدة أمة الله قمره بنت الحاج مصطفى أنها حبست جميع الجنان الكائن بكاف سليطن، نظر المدينة المحمية بالله تعالى الذي أخذته من زوجها الصاير إلى عفو الله محمد بن كاك محمد...لجميع منافعه و مرافقه و كافة حقوقه وما عد و عرف ونسب إليه قديما و حديثا...<sup>4</sup>

أما طبيعة الأوقاف التابعة لمؤسسة الحرمين فيمكن الحديث عن الأملاك العقارية بالمدن من دور ومحلات سكن، حوانيت وأفران وحمامات وفنادق ومحلات تجارية و غيرها، أما خارج المدن فنجد الضياع والحدائق والمساحات الزراعية.

<sup>1</sup> ودان بوغوفال، أوقاف مليانة و المدينة في العهد العثماني. دراسة في النشاط الاقتصادي و البنية الاجتماعية و الحياة الثقافية، جامعة

الجزائر، 2006/2007، ص.273

<sup>2</sup> نفسه، ص.173

<sup>3</sup> ودان بوغوفال، أوقاف مليانة و المدينة...مرجع سابق، ص.274.

<sup>4</sup> ودان بوغوفال، أوقاف مليانة و المدينة...مرجع سابق، ص.275..

لقد كانت لمؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين الصدارة على مؤسسات الوقف الأخرى القائمة بمدينة الجزائر وكانت لها مكانة روحية مميزة، كما كانت أحد أبرز مظاهر التواصل بين الجزائر وبلاد الحجاز.

ونظرا لانتساع مجال الوقف وتكاثر عائداته، أضحي وكيل أوقاف الحرمين الشريفين يحظى بمكانة مميزة، كما كان للوكيل مهمات عديدة ومتنوعة أهمها التكفل بحماية ورعاية ممتلكات التابعة للمؤسسة. وكانت الهيئة المشرفة على إدارة و تسيير أوقاف الحرمين تضم عددا كبيرا من الموظفين، يتصدرهم الوكلاء، ويليهما اثنان من العدول يعينهم القاضي لمساعدة الوكلاء و النظار، أما المشرف على الحسابات فيدعى الصبايحي أو العداد، بالإضافة إلى ذلك هناك عدد من الشواش يتصدرهم باش شواش، وكان الشواش يسهرون على مراقبة الممتلكات الموقوفة لصالح الحرمين، ومراقبة المداخل.<sup>1</sup> ونظرا لانتشار أوقاف الحرمين عبر مختلف المدن الجزائرية، منها المدية والبليدة وشرشال وعنابة وقسنطينة و وهران ومستغانم وتلمسان وغيرها من المدن، فقد أحدثت هيئة لإدارة ورعاية الأملاك الموقوفة لصالحها على مستوى كل مدينة.

ونظرا لإشراف مؤسسة الحرمين بمدينة الجزائر على جل الأوقاف العائدة لها، فقد كان النظار أو الوكلاء بمختلف أنحاء البلاد، ملزمين بتقديم الحسابات والعائدات إلى الإدارة المركزية على مستوى مدينة الجزائر.

<sup>1</sup> Bontemps; Manuel des institutions algériennes. p25.

ومما كان يجبي من مداخل أو عائدات تلك الأوقاف كان يوجه جزءا هاما منه سنويا كصدقة إلى فقراء الحرمين الشريفين وهو ما اصطلح على تسميته بالصدقة<sup>1</sup>. لكن توجيه الصدقة بشكل منتظم خضع للظروف المحيطة بحركة التنقل، كالأوضاع الأمنية والصحية وما إلى ذلك، مما جعل توجيهها يتأخر أحيانا لبضع سنوات، وكانت حصص الصدقة تقسم بمدينة الجزائر على مستوى هيئة المجلس العلمي بحضور النظار على الأوقاف وشيخ البلد وأمين الأمان و عدد من الأعضاء المؤسسة العسكرية، ويتم ذلك تحت رعاية الباشا أو الداوي، كما كان يحضر المجلس عدد من الأعيان و وجهاء المدينة ممن يتأهبون للرحلة إلى البقاع المقدسة<sup>2</sup>، و كلما كان في الوقف زيادة عن حاجة، " فبالإمكان صرفه في مجالات لم يوقف عليها كدفع أجور المعلمين، والوقف بهذا المظهر ينشئ الترابط بين أفراد الشعب الواحد ويحسن وضع المحرومين"، وقد تطور الوقف الإسلامي مع تطور الزمن، وأدى وظائف عديدة أهمها خدمة الدين والتعليم والتضامن الاجتماعي بين مختلف طبقات المجتمع.

و يستعمل الوقف عادة في العناية بالعلم و العلماء والطلبة الفقراء و العجزة والعناية بالمساجد والزوايا والأضرحة والطرق العامة والعيون والمياه الصالحة للشرب، وكذلك رعاية فقراء مكة والمدينة، فهي تقوم بإعانة أهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها بعد التثبيت من صحة انتسابهم للأماكن المقدسة و تتكفل بإرسال حصة من مداخنها إلى فقراء الحرمين الشريفين في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة أو بواسطة أمير ركب الحجاز، كما تقتطع من هذه الإعانات مبالغ لتسديد رواتب الموظفين وأخرى لصيانة العقارات الموقوفة، و كذلك يوكل إليها حفظ الإعانات و الإنفاق على ثلاثة مساجد حنفية داخل مدينة الجزائر يسيرها عدد هام من الموظفين بعضهم تركي والبعض أندلسي، وكانت مداخل الأملاك المحبسة تجمع وتضبط وتصفى جل الحسابات المتعلقة بها بالمجلس القضائي الأعلى الكائن مقره بالجامع الأعظم بحضور اللجنة المشرفة على مؤسسة الحرمين

<sup>1</sup> الصدقة هي تلك الأموال و الودائع التي كانت تذهب مع وفد الحجاج، يحملها أمير الركب أو رئيس البعثة إلى الحرمين الشريفين زمن الحج، و تتكون من هدايا و صدقات من مداخل للأوقاف تبعث لأمراء الحجاز والأشراف و العلماء و المجاورين و الفقراء و الجالية المغاربية المجاورة هناك التي كان لها وجود تاريخي خاصة في المدينة المنورة. و كانت الصدقة تمثل روابط الأخوة الروحية بين الجزائر و الحرمين الشريفين، و ظهرت كعادة عثمانية سنها السلطان محمد شلبي 1413/1421م لمساعدة فقراء الحجاز.

<sup>2</sup> الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974، ص 39-40.

وكذا المفتين المالكي والحنفي، والقاضيين المالكي والحنفي، وبحضور شيخ البلد وأمين الأمان، وممثل عن الجيش، ويتم كل ذلك تحت رعاية الداى<sup>1</sup>.

أصبحت مؤسسة الحرميين الشريفين بفضل النشاطات التي تقوم بها و السمعة التي تتمتع بها و المكانة التي تحتلها تشرف على حوالي ثلاثة أرباع الأوقاف كلها و هذا مما دفع أحد المسافرين الأوروبيين إلى القول بأن مساكن مدينة الجزائر و الحدائق القريبة منها تكاد تكون ملكا لمؤسسة الحرميين الشريفين، وهذا ما نستخلصه من التقارير الفرنسية التي تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال واعتمادا على الدفاتر الرسمية فان أملاك الحرميين الشريفين كانت توفر مدخولا سنويا يبلغ 4322270 فرنك فرنسي بالإضافة إلى ستة مطاحن خارج البلد توفر مدخولا قدره 57.509 فرنك .

## 2/ مؤسسة سبل الخيرات:

تختص هذه المؤسسة الوقفية بالأحناف، أسسها شعبان باشا سنة 1073هـ/1662م، وكانت تشرف على تسيير ستة جوامع حنفية ومسجدين لمدينة الجزائر وهي على التوالي:

\*الجامع الجديد.

\*جامع صفر.

\*جامع شعبان باشا.

\*جامع كتشاوة.

\*جامع حسين داى"ميزومورطو".

\*جامع علي خوجة.

\*جامع دار القاضي.

\*مسجد الشبارلية.

<sup>1</sup>الزهار، مذكرات... مصدر سابق، ص 159

و كان يشرف على هذه المؤسسة مجموعة من الموظفين أهمهم:

1/ ناظر الأوقاف.

2/ كاتب: يقوم بتنظيم العقود.

3/ شاوش: وهو موظف يسهر على أبنية المؤسسة و تسهيل عمل وراحة الطلبة وحفظ القرآن<sup>1</sup>.

وهكذا نلاحظ أن الدور الأساسي لهذه المؤسسة يكمن في بناء المساجد الحنفية وترميمها بما في ذلك الزوايا، وإقامة العيون، تهيئة الثكنات، مساعدة أشرف المدينة والتكفل بدفع أجور الطلبة المكلفين بتلاوة القرآن الكريم بالمساجد وتوزيع بعض الصدقات.

تأتي مداخل سبل الخيرات مباشرة من كراء واستغلال الأملاك الموقوفة لفائدتها، وقد بلغ عدد الأملاك الموقوفة على الجامع الأعظم 157 ملكية، منها 40 ملكية زراعية لفحص الجزائر حسب وثائق البايليك، كما امتلكت 331 ملكية منها 119 غير مستغلة في السنوات الأولى من تاريخ الاحتلال، وهذا ما وفر دخلا سنويا قدر بـ16000 فرنكا، صرف منها 14383 فرنكا على صيانة المساجد وإعانة الفقراء، وسد حاجة المشرفين عليها وذلك قبل أن تتخفف المداخل إلى 1363 فرنكا سنة 1873م بفعل السياسة الاستعمارية التي أضرت كثيرا بأوقاف سبل الخيرات.

3/ أوقاف مؤسسة بيت المال:

تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة في الإدارة الإسلامية بالجزائر التي تدعمت في العهد العثماني وأصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل و اليتامى والفقراء و الأسرى، و تتصرف في الغنائم التي تعود للدولة كشؤون الخراج و تحرص على شراء العتاد وإقامة المرافق العامة من طرق و جسور و تشييد أماكن للعبادة من مساجد و زوا، و تهتم بالأملاك الشاغرة التي ليس لها ورثة فتضعها تحت تصرف الإدارة والخزينة العامة باعتبارها أملاكا للجماعة الإسلامية بما في ذلك

<sup>1</sup> عقيل نمير، "أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية"، أعمال ندوة الجزائر، جمع و تقديم ناصر الدين سعيدوني، 2011، ص122.

التركات وأملاك الغائبين وبعض الأملاك الخيرية مثل دفن الأموات من الفقراء وأبناء السبيل و منح الصدقات للمحتاجين، ولهذه المؤسسة الخيرية موظف سامي يعرف ببيت المالجي<sup>1</sup> يساعده قاضي يلقب بالوكيل يتولى شؤون التسجيل يعرفان بالعدول كما يلحق بها بعض العلماء، وقد لاحظ الفرنسيون عند دخولهم مدينة الجزائر ضخامة مداخل مؤسسة بيت المال وهذا ما دفعهم إلى التدخل في شؤونها بحجة تنظيمها ليسهل عليهم الاستحواذ على مداخلها والتي بلغت أسبوعيا 180 فرنك ومصدر هذه الأموال يعود إلى بيت المال و من الزكاة و الأموال الشاغرة.

#### 4/أوقاف أهل الأندلس:

أصبحت مؤسسة خيرية ذات مردود مالي محترم يوزع على بعض العائلات الأندلسية<sup>2</sup>، يخصص المردود أساسا على التعليم والشعائر الدينية، بالإضافة إلى سد حاجيات أبناء السبيل والفقراء والمعوزين.

فالأوقاف التي كانت تسيرها كان من مردودها يقدر حوالي أربعة آلاف فرنك فرنسي قديم خلال السنة، يخصص الإنفاق على المكلفين بالتعليم والشعائر الدينية<sup>3</sup>، بالإضافة إلى ما كان يرصد لسد حاجيات أبناء السبيل والفقراء والمعوزين، كما خصصت بعض أملاكها الوقفية للإنفاق على الحرمين الشريفين تعبيرا على ارتباط الأندلسيين بالأماكن المقدسة روحيا<sup>4</sup>.

#### دور الأوقاف في مدينة الجزائر:

يستعمل الوقف في أغراض كثيرة ومنها العناية بالعلم والعلماء و الطلبة و الفقراء و العجزة و اليتامى وابن السبيل والعناية بالمساجد و المدارس و الزوايا و الأضرحة و بفقراء الأندلس و الأشراف

<sup>1</sup> وهو الموظف المشرف على الأملاك والثروات التي تتول إلى الدولة بعد موت أصحابها خصوصا من الأتراك العثمانيين الذين لم يتزوجوا وبالتالي ليس لديهم ورثة شرعيون من أخوة و أبناء أو أقارب، كما يشرف بيت المالجي على مراسم الدفن وأمور المقابر كما يبيع التراكات والأملاك التي صودرت من طرف السلطة الحاكمة في المزداد العلني.

<sup>2</sup> سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص141.

<sup>3</sup> موساوي فلة القشاعي، أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بعنوان الدراسات إنسانية\* الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جامعة الجزائر، 2001، ص169.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص167.

بما في ذلك فقراء مكة و المدينة و تدريس المذهب الحنفي وكذلك إصلاح الطرقات العامة و العيون و المياه الصالحة للشرب، كما لعبت هذه الأوقاف طول الفترات التاريخية دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع و ترابطه و توزيع ثروته على العلم ورجاله، على الفقراء، على المؤسسات الدينية، على عيون الماء، وكان بين هؤلاء الواقفين مدنيون و عسكريون و الوازع و راء الوقف الحماس للدين و العلم وإصلاح المجتمع .

و تعتبر أوقاف الجامع الكبير بمدينة الجزائر من المؤسسات الغنية في المجتمع الجزائري لذلك كانت وسيلة للنفوذ و الإثراء لمن يتولى وكالتها من العلماء و نحوهم،و كانت عائلة قدوره متولية وكالة أوقاف الجامع الكبير مدة طويلة ،و استطاع سعيد قدوره أن يبني زاوية و مدرسة من فائض أوقاف الجامع الكبير"<sup>1</sup>.

أما طبيعة الأوقاف التابعة لمؤسسة الحرمين فيمكن الحديث عن الأملاك العقارية من حوانيت وأفران و حمامات وفنادق ومحلات تجارية و غيرها، أما خارج المدن فنجد الضياع والحدائق والمساحات الزراعية.

لقد كانت مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين الصدارة على مؤسسات الوقف الأخرى القائمة بمدينة الجزائر ، كما كانت أحد أبرز مظاهر التواصل بين الجزائر وبلاد الحجاز.

ونظرا لانتساع مجال الوقف وتكاثر عائداته، أضحي وكيل أوقاف الحرمين الشريفين يحظى بمكانة مميزة، كما كان للوكيل مهمات عديدة و متنوعة أهمها التكفل بحماية ورعاية الممتلكات التابعة للمؤسسة.

و كانت الهيئة المشرفة على إدارة و تسيير أوقاف الحرمين تضم عددا كبيرا من الموظفين، يتصدرهم الوكلاء، ويليهم اثنان من العدول يعينهم القاضي لمساعدة الوكلاء و النظار، أما المشرف على

<sup>1</sup> سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر....مرجع سابق، ص140.

الحسابات فيدعى الصبايحي أو العداد، بالإضافة إلى ذلك هناك عدد من الشواش يتصدرهم باش شواش، وكان الشواش يسهرون على مراقبة الممتلكات الموقوفة لصالح الحرمين، ومراقبة المداخل.<sup>1</sup> ونظرا لانتشار أوقاف الحرمين عبر مختلف المدن الجزائرية، منها المدينة والبلدية وشرشال وعنابة وقسنطينة و وهران ومستغانم و تلمسان وغيرها من المدن، فقد أحدثت هيئة لإدارة ورعاية الأملاك الموقوفة لصالحها على مستوى كل مدينة<sup>2</sup>.

ونظرا لإشراف مؤسسة الحرمين بمدينة الجزائر على جل الأوقاف العائدة لها، فقد كان النظار أو الوكلاء بمختلف أنحاء البلاد، ملزمين بتقديم الحسابات والعائدات إلى الإدارة المركزية على مستوى مدينة الجزائر.

ومما كان يجبى من مداخل أو عائدات تلك الأوقاف كان يوجه جزءا هاما منه سنويا كصدقة إلى فقراء الحرمين الشريفين وهو ما اصطلح على تسميته "بالصرة". لكن توجيه الصرة بشكل منتظم خضع للظروف المحيطة بحركة التنقل، كالأوضاع الأمنية والصحية وما إلى ذلك، مما جعل توجيهها يتأخر أحيانا لبضع سنوات، وكانت حصص الصدقة تقسم بمدينة الجزائر على مستوى هيئة المجلس العلمي بحضور النظار على الأوقاف وشيخ البلد وأمين الأمناء وعدد من الأعضاء المؤسسة العسكرية، ويتم ذلك تحت رعاية الباشا أو الداوي، كما كان يحضر المجلس عدد من الأعيان و وجهاء المدينة ممن يتأهبون للرحلة إلى البقاع المقدسة<sup>3</sup> و يلحق هذه المؤسسات الوقفية الرئيسية عادة مؤسسات وقفية محدودة الأهمية من حيث عدد الأوقاف وهي جلها مؤسسات اجتماعية ونذكر منها: مؤسسة العيون(السواقي)، والطرق(السبل)، و الأسرى و الثكنات (القشلات)، و الجند(الإنكشارية).<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Bontemps; Manuel...op.cit. p25.

<sup>2</sup> سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي...مرجع سابق، ص 139.

<sup>3</sup> الزهار، مذكرات... مصدر سابق، ص39.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، "الأوقاف بفحص مدينة الجزائر: دلالات اجتماعية ومؤشرات اقتصادية"، أعمال ندوة الجزائر، 29/30 مايو، 2011، ص79.

بناء على ما سبق، يمكننا استنتاج أن الجو الثقافي ظل مفعماً بالروح التقليدية وغياب الاحتكاك والتواصل بين العالم الإسلامي والأوروبي وأصبح كل تجديد مرفوضاً، وهذا ما عبر عنه الباحث أحمد أمين بقوله "...عالم منغلق، فليس هناك بين الشعوب الإسلامية والأوروبية اتصال في الثقافة والعلم والصناعة ونظم الحكم، يمهّد لها الاستفادة منها والأخذ منها، فالعلم فيها كتاب ديني شكلي يقرأ، أو جملة تعرب، أو متن يحفظ، أو شرح على متن، أو حاشية على شرح، أما علوم الدنيا فلا شيء منها إلا حساب بسيط يستعان به على معرفة الموارِيث، أو قبس من قديم يستدل به على مواقيت الصلاة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979، ص7.

## الفصل الثاني

اهتمامات علماء الجزائر  
وعلاقتهم بالسلطة السياسية

الفصل الثاني

اهتمامات علماء الجزائر وعلاقتهم بالسلطة السياسية

خلال العهد العثماني

تمهيد.

لم تكن فئة العلماء ظاهرة وليدة العهد العثماني ولا هي ميزة خاصة بها، وقد تشكلت بالجزائر طبقة مميزة محترمة تقرب منها رجال السلطة بسبب قوة تأثيرهم على الأهالي وطبيعة العصر الديني الموسوم بالتصوف، لذلك أصبح العلم والدين صنوان يكمل بعضهما الآخر، وحسب لغة العصر فالعالم عليه أن يكون أو لا فقيها في دينه قبل أمور دنياه<sup>1</sup>، وهنا نستخلص أن فئة العلماء هي رجال الدين أو رجال الشريعة ورجال القضاء والتعليم ورؤساء الطرق الصوفية ونقابة الأشراف<sup>2</sup>، وكان رجال الدين هم العلماء بحق فكل محدث أو فقيه أو مفسر يعد في نظر العامة "عالما"<sup>3</sup>.

وحسب صاحب -تاريخ الجزائر الثقافي- فالعلماء خلال العهد العثماني ثلاثة أصناف. العلماء الموظفون، الفقهاء المستقلون لا صلة لهم بالتصوف، العلماء المتصوفة، المتصوفة دعاة العلم والولاية (المرابطون)<sup>4</sup>، هذا من الناحية العلمية. أما من الناحية الوظيفية فهم طبقتين: الطبقة الرسمية التي تشمل القضاة، المفتاي، المدرسون، ثم الطبقة الملحقة بها من رجال الزوايا والمتصوفة وسلالة الأشراف<sup>5</sup> المنحدرة من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم وهم على شكل مجموعات تحت رئاسة "نقيب الأشراف".

وحسب حمدان خوجة صاحب كتاب - المرأة - فقد وجد في كل مدينة نقيب للأشراف وهو بمثابة الحاكم الثاني للمدينة، ويختار من بين الأسر الشريفة وواجبه كلما حدث أمر هام يجتمع في بيته مع شيخ البلد وسائر الأمناء التابعين له من أجل اتخاذ التدابير اللازمة<sup>6</sup>.

1Raymond.A.grandes villes arabes a l'époque ottomane. Sindbad. Paris,1985.p78.

<sup>2</sup>سعد الله، تاريخ الجزائر....ج1، مرجع سابق، ص480.

<sup>3</sup>نفسه، ص481.

<sup>4</sup>ابن ميمون، مصدر سابق، ص48.

<sup>5</sup>البوعبدلي المهدي، عبد الكريم بن الفكون القسنطيني(1073/988 هـ) والتعريف بكتابه: منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية، الأصالة،

العدد13، 1973، ص18.

<sup>6</sup>حمدان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص125.

## مفهوم علماء المدينة والريف.

حظي العلماء والمرابطون في الجزائر العثمانية بمكانة اجتماعية وسياسية خاصة لأنهم لعبوا دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم وتتفق المصادر التاريخية أن المرابطين وشيوخ الطرق والزوايا في الريف كانوا من الشخصيات الإسلامية والدينية، وإضافة إلى دورهم الروحي والتربوي والتقني كان لهم دور في المسائل الإدارية والقضائية مما دفع السلطات الإدارية ممثلة في الباشا والباي والقياد والسلطة المدنية المتمثلة في شيوخ القبائل إلى التودد إليهم وربط علاقات وُدّ وتعاون معهم، من خلال الاعتراف بمكانتهم ونفوذهم وحرمتهم، وما تعلق بزوايتهم وأتباعهم"<sup>1</sup>.

الثابت أن التعليم في المؤسسات الدينية والريف غلب عليها الطابع الصوفي الذي تمثل في تحفيظ القرآن الكريم، والفقهاء، العقيدة، التربية الروحية، التهيؤ للجهاد، والظاهر أن الفقه والعقيدة السنية كانت أساس كل التعاليم وقد انصهرت فيها مختلف الطرق الصوفية على اختلاف مشاربها وهذا ما يفسر التعايش بين مختلف الزوايا في الجزائر العثمانية، إن المكانة العلمية والدينية التي حظي بها العلماء والمرابطون في الجزائر العثمانية عند الحكام والسكان مكنتهم من تبوأ وظائف دينية وعلمية خلال فترة العهد العثماني"<sup>2</sup>، والتي تعتبر مساهمة في إدارة البلاد وتركيز النظام الجديد وذلك من خلال ربط السكان بالحكام الذين تقربوا من العلماء والمرابطين بكل الوسائل لما تمثله هذه الشريحة من ثقل روحي ووزن اجتماعي و لاعتقاد السكان في هذه الزعامات الروحية أكثر من إيمانهم بالسياسي و الحاكم، لذلك سعى الحكام في الجزائر إلى اتقاء غضب هذه الزعامات وتكامل سعيهم بالنجاح من خلال علاقات المصاهرة مما ساعد على تلجيم القبائل المتمردة و الثائرة.

وحتى في السلم الاجتماعي اعتبرت طبقة العلماء في المدن من طبقة الحضر، حيث احتلت المرتبة الثالثة في المجتمع الجزائري بعد العثمانيين والكراغلة، ورغم عدم توليها للمناصب السياسية لعبت دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم، و لهذا الغرض تم إنشاء "المجلس العلمي" وهو عبارة عن هيئة تشريعية وقضائية هدفها تجاوز التضارب بين المذهبين المالكي والحنفي وتقريب الرؤى بينهما أو على الأقل

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المرأة. مصدر سابق، ص126.

<sup>2</sup> سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص45.

عدم إفضاء ذلك الاختلاف إلى الإخلال بالإدارة العامة وحصره بين العلماء دون العامة، و ينعقد المجلس العلمي كل يوم خميس بالجامع الأعظم ويرأسه المفتي الحنفي إثر تراجع المذهب المالكي ويحضر أشغاله الباشا أو نائبه عند الضرورة، "والمجلس يفصل في القضايا الفقهية الشائكة خاصة تلك التي يحتاج فيها الباشا الحصول على فتوى العلماء"<sup>1</sup>، ولقد اتسمت تركيبة المجلس العلمي بالتوازن بين علماء المذهبين كما أن رئاسة المجلس كانت للمفتي الحنفي غير أن هذا لم يمنع قيام المفتي المالكي بدوره في المصادقة على الأحكام وتعيين القضاة المالكيين في الإيالة<sup>2</sup>، وبعد مجيء العثمانيين على مستوى هرم الحكم، نشأ نوع من التعايش بين المذهبين والذي أرتكز على تقاسم المهام، "وظهر هذا التعايش في شكل تعاقد بين الحكام الأوائل مع شيوخ البلد و علمائه منذ أول نزول لهم في المنطقة"<sup>3</sup>. تميّز علماء المدن بالترفع عن علماء الريف و أصبح هؤلاء العلماء فئة مميّزة من حيث نمط عيشها وخصائصها ومصالحها، بفضل الامتيازات التي تحصلت عليها من خلال تولّيها بعض الوظائف الشرعية والقانونية، حتى أن "التمغروطي" يذكر أن علماء الجزائر العثمانية غلبت عليهم المادة، وأن المفتي "سعيد قدورة" كان يتاجر ويشارك التجار في تجارتهم<sup>4</sup>، ويذكر "نور الدين عبد القادر"، أن "عمار عبدالرحمان المستغامي"<sup>5</sup> كان ينفق في الليلة الواحدة ما بين ثلاثين وأربعين ريالاً، كما كانت بعض الأسر العلمية مثل "أسرة الفكون" و"أسرة ابن باديس" من الأسر الثرية والتي مارست التجارة إضافة إلى الإشراف على موكب الحجيج بالنسبة لأسرة الفكون.

تقرب العثمانيون من العلماء و المرابطين منذ وصولهم إلى الجزائر بكل الوسائل لمكانتهم العلمية ونفوذهم الروحي، ونخص بالذكر أسرة الفكون القسنطينية التي توارثت العلم والتي كان لها دور في دعم الوجود العثماني في بايليك الشرق، و بالمقابل حظي أفرادها بالمناصب والوظائف الدينية بغرض ترضيتهم فعين منهم القضاة والمشرفون على الأحباس وإمامة المساجد وإمارة ركب الحج وغيرها من

1 سعد الله، تاريخ الجزائر....ج1، مرجع سابق، ص137.

2 بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، "نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، دمشق، 1999، ص89.

3 بنفسه، ص81.

4 سعد الله، تاريخ الجزائر....ج1، المرجع السابق، ص396.

5 عمار عبد الرحمن المستغامي: المستغامي الأصل و الولادة، الجزائري المنشأ و الدار، فقيه، أصولي، نحوي، أصولي متكلم صالح، جاهل بأحوال الدنيا بعيد عن أمورها. كان عاجزا عن الخطبة، لا صوت له ويكتسبه الخجل إلى أن يعرق عرقاً مع أنه في تقريره للعلم جهير بالكلام معبر ذو همة ونفس عالية، فكان دائماً فقيراً مديناً بسبب سعة إنفاقه على ضيوفه. بت. 15 من صفر 1144/هـ 1731م أنظر: تقييدات ابن المفتي. ص109.

المناصب الدينية، فمثلاً أصدر الداوي مرسوماً سنة 1680م أكد فيه حقوق سيدي محمد بن عبد الكريم الفكون كإمام للمسجد الكبير وأمير ركب الحج<sup>1</sup>، و من جهة ثانية منح الباي محمد بن فرحات لعائلة الفكون حق الإشراف على الضرائب المجبأة من سوق الخضر و الفواكه من مدينة قسنطينة<sup>2</sup>، و هذه المراسيم كانت تجدد باستمرار حتى يضمن الحكام الأمن و طاعة وولاء العلماء.

فعندما ثار ابن الأحرش الدرقاوي، راسل الداوي "بابا مصطفى" (1213-1220هـ/1798-1805م) الشيخ ابن الفكون بباليك الشرق عام 1219هـ/1804م برسالة هذا فحواها: "العالم الأشهر، أكبر الأنوار مأوى القليلين، و ملجأ الضعفاء و المساكين، العارف بجميع العلوم و الفنون... السلام على مقامكم الرفيع، و شخصكم الرائد البديع..."<sup>3</sup>، وبفضل مكانة الشيخ ونفوذه بين سكان قسنطينة تمكن من إطفاء نار الثورة، و نفس الدور قام به العالم "أحمد ساسي البوني" ذو المكانة الدينية والعلمية<sup>4</sup> بمنطقة عنابة<sup>5</sup>، فتقرب منه البايات والباشاوات لمكانة عائلته العلمية والدينية التي تميزت بعلاقاتها الحسنة مع العثمانيين، مما جعل الحكام يطلبون مساعدته لإخماد ثورة ابن صخري و استمالة الرعية .

أما الشيخ العالم محمد بن عبد الله بن موفق بوجلال، فكان من أبرز علماء وشيوخ منطقة الراشيدية، تزلج في العلوم الشرعية والأدبية التي أخذها من علماء فاس والحجاز، أحد أحفاد الولي الصالح سيدي "محمد بوجلال"، عيّنه الباي محمد الكبير رئيساً لمجلس الشورى بقصره ومديراً على المدرسة المحمدية، كما كان رئيساً لرباط إيفري بوهران عام 1205هـ/1790م.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص225.

<sup>2</sup> سعد الله، شيخ الإسلام... مرجع سابق، ص75.

<sup>3</sup> لعنتري، فريدة منسية... مصدر سابق، ص72.

<sup>4</sup> سعدي الله، "أربع رسائل بين باشوات الجزائر و علماء عنابة"، مجلة الثقافة، العدد 51، 1979، ص27.

<sup>5</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج1، مرجع سابق، ص419.

<sup>6</sup> أحمد سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص233.

1- علماء المدينة.

حظيت طبقة العلماء في العالم الإسلامي بمكانة اجتماعية وروحية مرموقة، لما تميّزت به من احترام وتقدير في بلدانها وأوطانها، ولم يكن علماء الجزائر العثمانية مستثنون من هذه المكانة والحظوة والتقدير<sup>1</sup>، لذا سعى الحكام الابتعاد على ما يثير غضب العلماء بسبب مكانتهم عند السكان<sup>2</sup>، وسد الفراغ في المسائل الشرعية والدينية على أنهم حماة الدين<sup>3</sup>، والاستعانة بهم في رد الهجمات الأجنبية على البلاد تحت راية الجهاد.

و حسب الشيخ البوعبدلي فالعلماء فئتان، فئة رسمية تقلدت القضاء والإفتاء والتدريس بفضل المكانة العلمية والدينية التي حظيت بها عند الحكام والسكان ورجال الزوايا والأشراف<sup>4</sup>، غير أن هؤلاء العلماء أصبحوا من حيث يعلمون أو لا يعلمون يبتعدون عن السكان المحليين و ينظرون إليه نظرة فوقية، ويعيشون في دائرة اجتماعية ضيقة، يسكنون المدينة و يتميزون بنمط حياة رفيعة ويتعلقون بالمصالح التي تدّر عليهم المال و الجاه التي كانوا يتمتعون بها، ولديهم مشاعر الترفع عن علماء الريف<sup>5</sup> و بالتالي أصبحوا كالأتراك العثمانيين الذين هم أصلاً غرباء عن الشعب مما دفع بالعالم أحمد بن عمار إلى القول: "أن العوام كالهوام" وهذا الوصف يجعلنا نستنتج أن هؤلاء العلماء أصبحوا فعلاً لا تربطهم رابطة قوية بالأهالي لأن مصالحهم هي بالضرورة في إرضاء الحاكم وكسب وده لا خدمة الشعب والتقرب منه و رفع مستواه<sup>6</sup>.

ولا شك أن أعلى وظيفة كان يتولاها العالم هي الفتوى، ذلك أنها تحتاج إلى علم وتعمق في مسائل الفقه ومعرفة القرآن والحديث و القياس وغيره من العلوم المساعدة وقوة الشخصية والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي، وشهرة العالم بين الناس كانت الفيصل في ترشيحه لهذه الوظيفة والمنصب، لذلك كان الكثير من العلماء يرفضون في بداية الأمر هذه الوظيفة ويفرون منها بشتى الوسائل والحيل خوفاً

<sup>1</sup> سحنون الراشدي، الثغر الجماني....مصدر سابق،ص 394.

<sup>2</sup> توفيق المدني،محمد عثمان باشا...، مرجع سابق، ص37.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص394.

<sup>4</sup> البوعبدلي، "عبد الكريم الفكونا القسنطيني، .... مرجع سابق، ص19.

<sup>5</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1، مرجع سابق، ص398.

<sup>6</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1، مرجع سابق، ص390.

من غضب الباي و الداى، كما فعل العالم عمر الوزان عندما اعتذر عن وظيفة القضاء غير أن الداى محمد بكداش أجبر الشيخ محمد بن أحمد البونى قبول وظيفة الإفتاء رغم اعتذاره<sup>1</sup>. و إلى جانب مهنة الفتوى تأتي خطة القضاء التي ظلت وظيفة دينية بتعيين من الباى لأنها تتطلب من القاضي أن يكون على اتصال مباشر بالحياة اليومية للعامة والتوسط لحل الخصومات بين الناس، البيع والشراء، الطلاق، عقد الزواج، ومن جهة أخرى كان الباى يعين من ينوب عن القاضي في المدن وأثناء الأقاليم وهذا ما يعرف ب"نيابة قضاء العجم" كما ذكر ذلك العالم ابن الفكون، و عادة ما كان القضاء يتبعون الحملات العسكرية داخل البلاد وأثناء الغزوات والجهاد البحري، وكان يطلق عليهم لقب "قضاة العسكر" ولهذه الوظيفة الدينية السياسية أهمية كبيرة من الجاه و المكانة السياسية مما جعلها مدعاة للتنافس بين العلماء<sup>2</sup>.

## 2- علماء الريف

تتفق المصادر التاريخية أن المرابطين وشيوخ الطرق والزوايا في الريف كانوا من الشخصيات الإسلامية والدينية نظرا لدورهم الروحي والتربوي والتثقيفي، كما كان لهم دورا في المسائل الإدارية والقضائية<sup>3</sup>، يستمد الشيخ دوره الاجتماعية من سلطته الروحية ومن طريقته و من زاويته والمريدين والمحبين والإخوان الذين يشكلون الدعامة والحاضن له، الأمر الذي جعل منه القائد والمرشد الروحي للقبيلة والعرش، وفيما تعلق بالحياة اليومية لسكان الريف، الأمر الذي دفع السلطات الإدارية ممثلة في الباشا والباي والقياد والسلطة المدنية المتمثلة في شيوخ القبائل إلى التودد إلى المرابطين وربط علاقات وُدّ وتعاون معهم، من خلال الاعتراف بمكانتهم ونفوذهم وما تعلق بزوايتهم وأتباعهم<sup>4</sup>.

جاء عدد كبير من هؤلاء العلماء من جبال زاووة وميلة ونقاوس والونشريس، مما جعل العائلات الحضرية الكبرى في قسنطينة وتلمسان والمدينة تعارض تولي علماء الريف الوظائف الكبيرة<sup>5</sup>، فالعالم

<sup>1</sup> محمد بن ميمون، التحفة المرضية.... مصدر سابق، ص174.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص394.

<sup>3</sup> عبد الحميد مزيان، "المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة الثقافة، عدد 22، الجزائر، 1986، ص8.

<sup>4</sup> بن عتو بلبروات، المدينة والريف...، مرجع سابق، ص300.

<sup>5</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص398.

ابن حمادوش يذكر " أن طلبة البوادي يغلطون في أنفسهم، مع أن علمهم اقل من دعوتهم، ونرى كثيرا منهم يدعى النهاية عندهم و يدرس فإذا أتى الحاضرة لا يحسن أن يقرأ مع طلبتها، و لم أرد حطتهم وإنما أردت أن طلبة الحاضرة علومهم مشتركة".<sup>1</sup>

الثابت أن التعليم في المؤسسات الدينية والريف أساسا كان يهدف إلى نشر الدعوة الطرقية والتي غلب عليها الطابع الصوفي وهي تجمع في ثناياها بين تحفيظ القرآن الكريم والفقهاء، العقيدة، التربية الروحية، التهيؤ للجهاد، والظاهر أن الفقه والعقيدة السنية كانت أساس كل التعاليم وقد انصهرت فيها مختلف الطرق الصوفية على اختلاف مشاربها وهذا ما يفسر التعايش بين مختلف الزوايا في الجزائر العثمانية، وغالبا ما يقوم العلماء والمرابطون محل الوزراء والعلماء بالمدينة من خلال حل النزاعات بين الأفراد والقبائل والإصلاح بين الناس مهما كان شكلها وحجمها ، ويُداوون المرضى<sup>2</sup>، وتولوا وظائف ومهام إدارية وقضائية عديدة في الريف حتى المسائل الخطيرة وذلك من خلال إيجاد حلول توفيقية على المدى البعيد، وكان يتم ذلك في سوق القبيلة بعد تحديد اليوم المعلوم، حيث يتوسط المرابطون والعلماء الجموع وبعد كلمته الافتتاحية يفتح النقاش أمام الحضور ويمكن لكل فرد أن يبدي رأيه وي طرح أفكاره للمناقشة والإثراء، وبعد جمع كل الأفكار والآراء المطروحة، يجتمع العلماء بأعيان القبيلة للخروج بالقرارات اللازمة التي تبلغ إلى العامة عن طريق "البراح"، وإن لم يطعن في هذه القرارات يتم التزكية من قبل مجلس الجماعة الشرعي<sup>3</sup>.

أما المسائل الإدارية والمدنية فكان لعلماء الريف الحق في عقد القران بين المتزوجين أو تطليقهما في إطار القبيلة، وامتد هذا الدور حتى الحامي والمؤمن على سلامة مرور جنود الحاميات إلى حصونها ومرور القوافل التجارية عبر الساحل بمنطقة القبائل<sup>4</sup>، وكذلك من خلال المعاملات التجارية والأسواق<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن حمادوش، الرحلة...مصدر سابق، ص68.

<sup>2</sup> P.J André, *Contribution à des confréries religieuses musulmanes*, maison de livres, 1956, p193

<sup>3</sup> عبد الحميد مزيان، "المؤسسات الثقافية...مرجع سابق، ص8.

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ص74.

<sup>5</sup> Emile Trumelet, *Les saints de l'islam, légende et croyances Algérienne*, les saints du tell, Dedier, 1881, p50.

وتشير المصادر العربية والأجنبية على السواء، إلى مدى تعلق سكان الريف بل حتى سكان المدينة بالمرابط وشيخ الطريقة، حيث أصبح يحظى بطاعة عمياء حتى بعد مماته من قبل السكان، والتي وصلت إلى حد نسج العديد من الخيالات والخرافات حول ماتعلق بـ"الغوث" أو القطب" على أنه العين الساهرة على الكون، وقد عرف الشيخ محي الدين زعيم الطريقة القادرية كيف يستغل ببراعة هذه الاعتقادات الخرافية عند العرب في مصلحة العائلة، وخصوصا مستقبل ابنه عبد القادر، وتمكّن من تسريب بين العرب قصة التجلي الرائع الذي تمثل له ببغداد عند ضريح سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني دفين بغداد روي قائلًا: كنت الوحيد الذي يؤدي صلواته بالضريح، وفجأة خرج ملاك من الأرض شديد السمرة وقدم لي تفاحة قائلًا لي عنها أنها لسلطان العرب، استغربت من هذا الحديث، وأجبت: ليس هناك سلطان معي، نحن عبيد فقراء إلى الله، لكن الملك الزنجي أجاب" ابنك الحاج عبد القادر سيصير يوما ما سلطانا وملك الأتراك سينهار في بلدك، قلت له، لكن إذا علم الأتراك بهذا التنبؤ ستتبدد عائلتي، فقال لي الملاك، لا تخشى شيئا، لا أحد يستطيع أن يفعل شيئا ضد أولئك الذين يمثلون إلى كلام الله ويتبعون مشيئته...وعدت أنا لأقضي الليل في الضريح أين كنت في اتصال مع مولاي عبد القادر أطلعني على كل وصاياه إلى إيني"<sup>1</sup>.

إضافة الي ما سبق، ظهر علماء ومتصوفة رافضين لسياسة الحكام العثمانيين مع أواخر العهد العثماني بسبب الإفراط في فرض الضرائب على السكان انتهت بقيادة التمردات والانتفاضات المحلية ونذكر من هؤلاء الشيخ "محمد الزاوي" المعروف بسيدي غراب، الذي ألّب الناس على صالح باي قسنطينة، وشيخ الطريقة الرحمانية المرابط الصوفي" سيدي محمد بن عبد الله الزبوشي"<sup>2</sup> الذي جرّده الباي عثمان من امتيازاته التي كان يتمتع بها وأجبره على دفع الضرائب، وقد حاول الشيخ الزبوشي استرجاعها دون جدوى فاضطر إثر ذلك إلى الانسحاب إلى قبائل جبال أريس الواقعة إلى الجهة

<sup>1</sup>عبد القادر: عائلته، طفولته، مبايعته سلطانا على العرب"، ورد هذا المقال من دون إمضاء في دورية"المخزن الظريف"من ص،ص209،212، وهي دورية أسبوعية ونصف شهرية وكانت تصدر بباريس. صدرت الدورية عام 1833م إلى 1888م واستمرت في الصدور إلى غاية 1938م. تعريب، د. ودان بوغوفالة، جامعة معسكر، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية.  
<sup>2</sup> هو المرابط الصوفي سيدي محمد بن عبد الله الزبوشي، ينتمي إلى الطريقة الرحمانية، ثار ضد باي قسنطينة و انضم إلى الثائر ابن الأحرش سنة1805م بسبب تجريدته من امتياز عدم دفع الضرائب.أنظر:مذكرات الزهار نقيب أشرف مدينة الجزائر.

اليسرى من الوادي الكبير و قرر أن ينظم إلى ثورة ابن الأحرش و يساعده في ثورته ضد الحكام العثمانيين، أما الشيخ " أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني<sup>1</sup>، فقد اتسمت علاقته بالعداء والنفور تجاه السلطة بسبب التضييق على نشاط طريقته الصوفية وتجارتها القادمة من مدن و قرى الهضاب والصحراء، مما جعل بعض بايات تونس و المملكة المغربية والمشixات الإقطاعية في الصحراء يتنافسون في التقرب إلى الشيخ التيجاني ويتبعون طريقته، كما سمح السلطان المغربي "مولاي سليمان" للشيخ التيجاني بالحضور إلى مجلسه بقصر فاس، الأمر الذي أدى إلى إثارة مخاوف وحفيظة الحكام العثمانيين الذين توجسوا خيفة من هذه الطريقة الناشئة، ومن أبرز الأدوار التي قام بها العلماء نذكر:

### 1-1 التعليم.

إن المؤسسات الدينية في الريف تهدف إلى نشر الدعوة الطرقية ذات الجذور الصوفية وتجمع بين تحفيظ القرآن الكريم والفقهاء، العقيدة، التربية الروحية، التهيؤ للجهاد، والظاهر أن الفقه والعقيدة التي كانت أساس كل التعاليم وهذا ما يفسر التعايش بين مختلف الزوايا في الجزائر العثمانية. اشتهر كثير من علماء الجزائر بمهنة التدريس وفضلوها على باقي الوظائف الأخرى، فأبوراس الناصري بطريقة تدريسه وتكريس حياته للتأليف والتدريس لمدة تزيد عن ست وثلاثين سنة بلا انقطاع ذاع صيته وكثر طلبته بفضل الطريقة الجاحظية التي كانت سر نجاحه في التدريس، فمزج الجد بالهزل وذكر "النكتة المريحة تسحر الأبواب وتلطف الجو.<sup>2</sup>

كان أبو راس معتدا بنفسه فخورا بما أنجزه وما جلب إليه من جمهور في الدرس، وما يحفظه من الأسانيد، والأخبار في غير المذهب المالكي، فقد رزق الذكاء حاد و الذاكرة القوية، فهو لا يراجع الدروس ولا يبالي بقواعد النحو، وصف بالحافظ والمفسر والمحدث والبياني والمؤرخ، فمن ذلك قول أبو القاسم محمد الحفناوي: "العلامة المحقق الحافظ والبحر الجامع المتدفق الحافظ من هو ليث الدين

<sup>1</sup> ولد بعين ماضي وهي مدينة صغيرة إلى جنوب غرب ولاية الأغواط وتبعد عنها ب70 كلم سنة 1150هـ/1737م وسط عائلة محافظة، رحل إلى "مدينة فاس" وأخذ من علمائها، ثم أنتقل إلى تلمسان وغادرها لأداء فريضة الحج، وكان لرحلات الشيخ و تكوينه الصوفي دورا رئيسيا في نشأة الطريقة التيجانية. ظل الشيخ يدعو إلى طريقته التيجانية بجد قرابة ربع قرن متنقل عبر الصحراء و السودان الغربي. توفي بمدينة فاس سنة 1815م. أنظر: علي حرازم برادة، جوهر المعاني و بلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التيجاني "الكناش".

<sup>2</sup> ابن مريم، البستان... المصدر السابق، صص: 192-193.

أوثق الناس وأوضأ نبراس الإمام القدوة المتفنن سيدي محمد أبو راس كان رحمه الله إماما في المنقول والمعقول".<sup>1</sup>

وإلى جانب أبو راس الناصر، ظهر العلامة سعيد المقرئ الذي كرّس حياته في التدريس خرّج مجموعة من التلاميذ مثل ابن أخيه "أحمد المقرئ" و"سعيد قدورة"، كما واشتهرت أسرة قدورة، وخاصة سعيد وأبناؤه محمد وأحمد بالتدريس خاصة محمد الذي عرف بفصاحة لسانه وكثرة علومه<sup>2</sup>. ويعتبر "عمر بن محمد الكماد القسنطيني" المعروف بالوزان و"أحمد بن عمار" من العلماء الذين كرّسوا حياتهم للتدريس ورفض تولي منصب القضاء والتقرب من الحكام<sup>3</sup>.

إن تعيين العلماء والمدرسين لا تخضع عادة لإرادة الحكام<sup>4</sup>، ويمكن تصنيف نوعين من المدرسين: معلمو المدن ومعلمو الأرياف، فمن يدرس الشباب هو أستاذ وشيخ، ومن يدرس الفتيان هو معلم أو مدرس، ومن يدرس الأطفال فهو مؤدب، والذي يتم اختياره من قبل سكان الحي بالمدن، في حين يقوم سكان الريف والمداشر باختيار المؤدب للصغار، أما المدرّس فيتم تعيينه من طرف حاكم الدار<sup>5</sup> وفي الريف فيختاره شيخ القبيلة، ومن جهة أخرى وجد معلمين لا يتقاضون أجرا وهذا ما ذكره الورثياني حينما كان يزور مدينة بجاية في كل عام خلال شهر رمضان بقوله "ناويا لرباط و تعليمي للطلبة راجيا أن يكون لي حظ وافر منهم عندهم..."<sup>6</sup>

## 1- 2 التآليف.

ورغم ضعف الجانب الثقافي في الجزائر إلا أن حركة التأليف كانت نشيطة ولا نكاد نجد عالما إلا له مصنفات عديدة وفي جميع المجالات، ولم تمنع مهام الوظائف الدينية والثقافية التي تولها العلماء من وجود حركة التأليف والنسخ من خلال جهود العلماء أنفسهم أو بتشجيع من بعض الحكام العثمانيين

<sup>1</sup> أبو القاسم محمد الحفناوي... المصدر السابق، ص: 167.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، المرجع السابق، ص 376.

<sup>3</sup> عبد الكريم الفكون، منشور الهداية... مرجع سابق، ص44.

<sup>4</sup> الورثياني، مصدر سابق، ص403.

<sup>5</sup> نفسه، صص325، 326.

<sup>6</sup> الورثياني، مصدر سابق، ص328.

مثل الباي صالح والباي محمد بن عثمان الكبير الذي شجّع الطلبة والعلماء على نسخ الكتب، واختصار ما طال منها، وكان يكافئهم بسخاء<sup>1</sup>.

- ومن أبرز العلماء الذين برزوا في مجال التأليف نذكر: أحمد المقرئ رغم أنه عرف بالتدريس، محمد التواتي، عمر الوزان وسعيد قدورة الذي كانت كتبه عبارة عن دفاتر صغيرة وعبارة عن شروح وحواشي، وعلي الأنصاري الذي كانت تأليفه عبارة عن منظومات وشروح.

- اشتهر علماء الجزائر بمؤلفاتهم التي أرخت للأحداث التي عرفت إباله الجزائر العثمانية سواء بإيعاز ذاتي في إطار تخليد وتمجيد البطولات، أو بإيعاز من الحكام، كما حدث في فتح وهران الثاني 1206هـ / 1792م عندما كلف الباي محمد الكبير كاتبه الخاص ابن زرفة الدحاوي بتسجيل وقائع الفتح والتي لخصها في مؤلفه المعروف بعنوان: "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية".

- أما العلامة أبوراس الناصر المعسكري الذي كتب في مختلف أصناف العلوم ، ويعتبر كتاب: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" من أهم ما كتبه فهو مصدر أساسي فيما تعلق بتأسيس المدن، أنساب القبائل، وتطور فتح وهران وانجازات محمد الكبير<sup>2</sup>، و العلامة أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون صاحب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وهو عبارة عن أرجوزة في فتح وهران الثاني، نقل فيه الأحداث أثناء وبعد الفتح الثاني لوهران، بالإضافة إلى كتاب: "رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب بالصحرا ويلصاحبه ابن هطال التلمساني، أما ابن ميمون فقد ترك لنا التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، الذي ألفه في سيرة الداوي "محمد بكداش" تقديرا ومحبة للداوي، ورغبة في التقرب إليه.

- و ما نستخلصه من حركة التأليف أنها ساعدت على رسم الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية التي عرفت الجزائر العثمانية خلال الحكم العثماني سواء من خلال تراجم لشخصيات سياسية والتأريخ للحوادث السياسية والاجتماعية والثقافية، فمثلا كتاب "منشور الهداية للفكون ضم معلومات هامة تتصل

<sup>1</sup> ابن سحنون، الثغر الجماني... مصدر سابق، ص 146.

<sup>2</sup> سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي-تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص ص 462-464.

بالحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري الموافق السادس والسابع عشر الميلادي حيث بين لنا الظروف التي مرت بها مدينة قسنطينة على وجه الخصوص، وكذلك نشاط العلماء ومراسلاتهم، والحناق الذي فرضته السلطة السياسية عليهم، وطبائع العلماء وأخلاقهم، والصراع و الوشاية بينهم، عموما يمكن اعتبار كتاب "منشور الهدايا" ذي صبغة إصلاحية".<sup>1</sup>

- بالإضافة إلى ما سبق، عرف الحكم العثماني بتهميش العلماء فلم يتفاعلوا مع الحياة السياسية وشؤون الحكم والسلطة ولم يشاركوا فيها، فاقصر دورهم على حضور اجتماعات الديوان بمناسبة مراسيم تعيين الحاكم الجديد ثم تقديم التبركات البيعة والولاء<sup>2</sup>، فلم يكن لهم أي دور في اختيار أو تنصيب حاكم الجزائر أو مجلس أعضاء حكومة الداوي، وبذلك نستنتج أن دور علماء الجزائر في الجانب السياسي وشؤون الحكم كان سلبيا وذلك تجنباً لغضب الباشا أو الداوي<sup>3</sup>، وظهرت سلبية علماء الجزائر وانعدام تفاعلهم بالشؤون السياسية والاجتماعية اهتمامهم المفرط بالألغاز وتبادلها بين علماء المغرب و تونس على السواء- وهذا في اعتقادنا هروب صريح- من مواجهة استبداد وظلم الحكام الذين ظلوا يعملون على إبعادهم على كل ماله أمر بالرعية و الشؤون العامة. إن سلبية علماء الجزائر لم يمنع ظهور علماء انتقدوا "صراحة الوضع السياسي والاجتماعي القائم وتمردوا على الأعراف المتبعة وفضح القائمين عليها ونذكر من بين هؤلاء العلامة الفهامة الشيخ ابن الفكون<sup>4</sup> حين تعرض للأدعياء العلم الذين لازموا الصمت مما يحدث، من انتشار الرشوة والاعتداء جهرة على العامة من

<sup>1</sup> الفكون، منشور الهدايا... مصدر سابق، ص13.

<sup>2</sup> بسبب التخلف الحضاري و التراجع العلمي عرف العالم الإسلامي ظاهرة سلبية العلماء من خلال الابتعاد عن شؤون الحكم و الحياة، ويصف عبد الرحمن الجبريتي هؤلاء العلماء: "...افتتنوا بالدنيا وهجروا المسائل ومدارسة العلم إلا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العمل بالكلية وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد أمراء المماليك، واتخذوا الخدم والمقدمين والأعوان وأجبروا الحبس و التعذيب و الضرب و صار دينهم واجتماعهم ذكر الأمور الدنيوية والحصص والإلزام وحساب الميري والفائض والمضاف المرافعات والمراسلات، زيادة عن ما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرياسة والتفاقم والتكالب على سفاسف الأمور وحظوظ الأنفس على الأشياء الواهية". أنظر: عبد الجبريتي، عجائب الآثار في التراجم و الأخبار، ج7، القاهرة، 1958.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر.... ج2، مرجع سابق، ص395.

<sup>4</sup> فكون: هو الشيخ العلامة الفهامة، سيدي عبد الكريم الفكون، أمير ركب الجزائر، قسنطينة وتلك النواحي، على نهج أبيه محافظا على سلوك الحلم والوقار، له عدة تأليفاتها: ديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم-محدد السنان في نحور إخوان الدخان-منشور الهدايا في كشف حال من أدعى العلم و الولاية. وفاته الخميس 24 ذي الحجة/1073هـ، أنظر الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ص191.

الناس وسرقة أموالها بطرق مفضوحة وملتوية، ويشير إلى هؤلاء بالبنان ويسمّيهم "بالسلطة" و"العسكر" و"الولاية المرتشين الذين تحالفوا مع المفسدين ليفوزوا بنصيب من المال"<sup>1</sup>.

- لقد كان بعض أدعياء العلم والولاية من الدجالين الكذّابين والمبتدعة الضالين المضلّين يعملون ليل نهار للاستيلاء على أرزاق الناس بمختلف الوسائل والحيل، و منهم من يتاجر بأبناء المسلمين فتري أولئك العلماء يجيئون بهم إلى محالهم ويجعلوا لهم أجرا على الإقراء، تظاهرا بالعلم والخير، ويعتبر الشيخ هذا العمل منافيا للدين والأخلاق" فإقراء وإطعام الطلبة بهذه النية الفاسدة خبيث وحرام كمن أستأجر نفسه بالقدرات والجيف"<sup>2</sup>.

- تداول علماء المغرب الإسلامي كتب الألغاز فيما بينهم نذكر منها: أُلغاز العالم احمد بن ساسي البوني، ويحي الشاوي و غيرهم، و في هذا الغرض يذكر العلامة عبد الرزاق بن حمادوش: " وقع الكتاب في أيدينا للشيخ العالم أحمد بن ساسي البوني فتدولناه بيننا حتى بلغ كل عالم وأديب في البلد، فلم يفتض بكرته ولم نجد علما عند أحد به، وجاء فيه"<sup>3</sup>

يشق الفيافي فدفا بعد فدفا	آلا أيها الغادي على ظهر جود
تحي بها أهل المجالس في نحد	تحمل، رعاك الله مني تحية
و ما سبعة في ثوب خز مورد	و قل لهم ما سبعة خلّقوا معا
وأعينهم تسعون في خلق هدهد	حواجبهم سبعون في وجه واحد
وحرفان من أسمى علي وأحمد	أبوهم له حرفان من اسم جعفر

## 2- لغز: العلامة يحي الشاوي.

ومثلهم في ثوب خز مورد	هم سبعة من بيضة خلّقوا معا
وأعينهم تسعون صورة هدهد	حواجبهم سبعون في كل واحد
و قد جمعت من لفظ لغز مقيد	أبوهم رقيم ما رد متمرّد

5 الفكون، منشور الهدايا....مصدر سابق، ص.130

1الفكون، منشور الهدايا....مصدر سابق، ، ص.129.

3 عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة بن حمادوش....مصدر سابق، ص.130.

وقد بعث العالم بركان بن باديس القسنطيني. ت. في القرن 11هـ هذا اللغز إلى فقهاء الجزائر فلم يحصل جواب عليه. ويذكر ابن حمادوش أنه حدّث بعض علماء المغاربة في اللغز فجاء الجواب من الفقيه سيدي بن أحمد الحيناني الذي كان تفسيره على النحو التالي:

فالأجرد من الخيل القصير الشعر، والفيافي المفازة التي لا ماء فيها- والدفد: الفلاة من الأرض، وحاجيت الرجل إذا ألقيت عليه كلمة مخالفة معناها للفظها- ما سبعة خلقوا معا: هي السبعة الأشياء التي ركب الله في خلق الجرادة ذلك أنها أشبهت في قرونها قرن الأيل، وعينها عين الفيل، وفي رأسها راس الفرس، وفي رقبتها رقبة الثور، وفي صدرها صدر الأسد، وفي فخذها فخذ البعير أو النعامة، وفي بطنها بطن حية، وتلك السبعة مجموعة في "ثوب خز"، والخز الحرير، والمورد المصبوغ بالورد هو: نور طيب معروف وعبر به عن جلدها أو عن أجنتها، وذلك كلون الجرادة لا محالة. وحواجبهم: جمع حاجب الشيء الذي يدفع عنه وهي المناشر التي تدفع بها عن نفسها وتقرب من السبعين. والله أعلم<sup>1</sup>.

3- لغز العالم أحمد بن يوسف الملياني إلى السلطان المغربي عبد الله الغالب، وجاء فيه:

"إن المولى جل جلاله أمدني بعد له ووصفني بأوصافه حتى صرت أنا هو، وهو أنا، يا أمير المؤمنين لا تقهر الفقراء أو يعمل لك العلماء برنسا من الثلج و يلبسونه لك في سمائمهم، ومن الماء عمامة يشدونها شدا مائلا، و من الريح قنديلا يعملون منه فتائل"<sup>2</sup>. وهذا اللغز حير علماء "فاس" الذين لم يتمكنوا من فك رموزه.

<sup>1</sup> عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة بن حمادوش.... مصدر سابق، ص132.  
<sup>2</sup> - الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد بن شنب، فونتانا، الجزائر، 1907، ص109.

1-3 مبعوثين ومفاوضين ووسطاء.

لم يقتصر دور العلماء على التعليم والتأليف بل تجاوزت مهامهم الحدود الخارجية كمبعوثين وسفراء وسياسيين في وقت السلم والحر وخاصة بين تونس والمغرب الأقصى بسبب الصراعات الدائمة بينهما، غير أن دور الوسطاء كانت من أهم الأدوار التي قاموا بها لاعتبارات عديدة أبرزها أنهم غرباء عن البلاد، وأن العلماء هم حلقة الوصل بينهم وبين الأهالي خاصة في المناطق المستعصية، ومن المهام التي قام بها هؤلاء العلماء في الخارج ومن أقدمها نذكر سفارة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي إلى المغرب وسفارة محمد القوجيلي إلى اسطمبول سنة 1065هـ/1650م، و سفارة العلامة محمد بن محمود العنابي<sup>1</sup>، الذي كان عالما وفقهيا ودبلوماسيا ناجحا<sup>2</sup>، حين فوضه الدايعمر باشا سفيرا إلى المغرب سنة 1231هـ/1815م عقب حملة اللورد اكسموث<sup>3</sup> على الجزائر طالبا العون العسكري من السلطان المغربي مولاي سليمان<sup>4</sup> لتجديد جيشه وأسطوله، بالإضافة إلى سفارة العالم والمستشار ابن هطال التلمساني الذي تولى مناصب سياسية كثيرة في بايليك الغرب أيام الباي محمد الكبير ومنها مبعوثا رفقة قاضي المحلة العلامة ابن سحنون الراشدي خلال الاستعداد لفتح وهران، محملا بالهدايا إلى السلطان المغربي من أجل السماح له بشراء الأسلحة من الانجليز، وقد توجه الاثنان نحو جبل طارق حيث وجدا قنطارين من البارود اشتراها للباي من الانجليز<sup>5</sup> أما مع تونس فكان الصلح يتم بواسطة العلماء في كثير من الأحوال فلما أراد الداوي علي باشا (1224-1232هـ/1809-1815م) عقد الصلح مع تونس أرسل وفدا من العلماء من بينهم الشيخ علي بن النفير الذين وُقِّعوا في مهمتهم<sup>6</sup> مما أدى إلى استقرار العلاقات بين الإيالة وتونس<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص404.

<sup>2</sup> سعد الله، شيخ الإسلام....، المرجع السابق، ص23.

<sup>3</sup> اسمه: بارون إدوارد إكسموتكوالاس BARON Edward Ex Motte Koalas صاحب الحملة الانجليزية بمعية الأميرال الهولندي VAN Kapellen على ميناء الجزائر سنة 1816م والذي ألحق خسائر كبيرة بالأسطول الجزائري بحيث أقرب من ميناء الجزائر البحري العلم الأبيض طلبا للمفاوضات، ولكن كانت في الحقيقة خدعة وعند اقترابه من الساحل قذف الأسطول الجزائري بقذائفه النارية حيث دمره كليا. أنظر: مولود قاسم نايت بلقاسم، الشخصية الجزائرية الدولية و هيتها قبل 1830، دار الأمة، ط2، ج1 الجزائر، 2007، ص196.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ... ج1، مرجع سابق، ص396.

<sup>5</sup> ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني.... مصدر سابق، ص198.

<sup>6</sup> الزهار، المصدر السابق، ص138.

<sup>7</sup> Leila Babes, *Saints-Tribus et pouvoir politique dans le constantinois sous la domination turque*, université d'Oran, S.D, p18.

## 1- 4 الدعوة إلى إصلاح الجيش والجهاد:

ظل المغرب مع مطلع القرن 18م/12هـ غارقاً في كنف التخلف والانحطاط الحضاري حين داهمته الأفكار الحديثة القادمة من الغرب المسيحي، والتي حملت معها قيماً جديدة نابعة من التحولات العميقة التي حملتها الثورات الأوروبية الأمر الذي جعلها تصطدم بواقع مجتمع متخلف علمياً وحضارياً، ولم يعرف المخاض الذي عرفته الثورة الفرنسية" مما جعل هذه الأفكار لا تتحول إلى نسيج اجتماعي وفكري وثقافي في منطقة المغرب الإسلامي"<sup>1</sup>.

ورغم ظاهرة التخلف السائدة دعا العالم المحافظ ابن العنابي<sup>2</sup>-كغيره من علماء عصره- إلى رفض السياسة العقلية عند الأوروبيين ونظامهم السياسي لأنه يتعارض مع السياسة الشرعية عند المسلمين، وأنه عقل غير ناضج لأنه يقر بالشرك، ولكن بالمقابل يقر ويرى جبهة أنه لا حرج أن نتقرب منهم ونستفيد من علومهم لذلك اهتم -ابن العنابي- اهتماماً خاصاً بالجانب العسكري والحربي على بقية المسائل الأخرى، ذلك أن موضوع تجديد الجيش في البلاد الإسلامية كان موضوع نقاش حاد بين أنصار التجديد وأنصار التقليد، و يوضح ذلك بقوله: "...نعني بها كل ما أنتج قوة محسوسة أو معقولة على دفاع الأعداء وإرهابهم وإغاضة نفوسهم وإتباعهم، فكل هذه المعاني أمور شرعية، لأن فيها إذلال الكفرة و عز الإسلام، وأنه المقصود الأعظم من شرعية الجهاد"<sup>3</sup>

ويوضح ابن العنابي أفكاره التي يدعو إليها لتأخذ حيّراً واسعاً من التفكير والاستجابة و الفهم، عندما يؤكد صراحة "...إذا ابتدعوا من أدوات الحرب و صنائعه أمراً له موقع لا تؤمن من استطالتهم به علينا، لزمنا بذل الواسع في تعلمه وإعدادهم لهم والاجتهاد في مجاوزتهم فيه، وأنه إذا لم يكن استعلام ذلك إلا من قبلهم وجب استعلامه منهم لأنه مستطاع لنا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>مصطفى التواتي، أثر الثورة الفرنسية في فكر النهضة العربية، محمد علي الحامي للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 1991، ص16.  
<sup>2</sup>هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري، يعرف بابن العنابي نسب والى مدينة عنابة، فقيه ولي الإفتاء على المذهب الحنفي بمدينة الإسكندرية بمصر في عهد محمد علي باشا، ثم الجزائر. توفي بالإسكندرية بعد نفيه من طرف الاحتلال الفرنسي، له عدة مؤلفات منها: "السعي المحمود في نظام الجنود".  
<sup>3</sup>محمد بن محمود بن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، تقديم و تحقيق، محمد بن عيد الكريم،م. و. ل. الجزائر، 1983، ص63.  
<sup>4</sup>محمود بن العنابي، السعي المحمود.... مصدر سابق، ص65.

ومن جهة ثانية، شارك العلماء في العمليات القتالية والتحريض على الجهاد ورفع الهمم، فتصدّر جيش الطلبة الصفوف الأمامية في القتال ، ومن أبرز العلماء الذين شاركوا في الفتح الأول بوهران نذكر: العالم الجليل أبو عبد الله موفق التلمساني نسبا و المالكي مذهبا، كان يفضل الظفر بالشهادة وهو ما دفع به إلى المشاركة في أغلب المعارك التي خاضتها القوة الإسلامية، والعالم أبو عبد الله محمد بن جابوالتلمساني الذي نال الشهادة يوم 03 رمضان 1118هـ ونقل إلى تلمسان ودفن بها، والعالم والقاضي "الطاهر بن حواء" الذي استشهد في أول ليلة من جمادي الأولى 1206هـ/1791م، والعلامة عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي شارك في فتح وهران الأول سنة 1119هـ/1708م<sup>1</sup>. إضافة إلى ما سبق، شارك علماء بايليك الغرب في مقاومة الاحتلال الأسباني عن طريق "اللحن والدعوة بالشر" على كل المتعاونين مع الصليبيين الأسبان ، كقبائل بني عامر سواء تعلق الأمر بجلب الأخبار لهم، أو مدّهم بما يحتاجونه من تبين وحشيش ولبن وخيل، مثلما فعلا العالمان سيدي "أحمد الحلفاوي" والعالم "عبد القادر المشرفي" ضد أعراب قبائل قيزة، الونازرة، وأولاد علي، من خلال فتواه: "أخزاهم الله ولعنهم وأخلى الأرض منهم و صيّرهم حطبا لجهنم"<sup>2</sup>.

## 2- المؤثرات الثقافية ومستوى علماء الجزائر.

### أ- المؤثرات الثقافية:

يعتبر القرن 9/13م عهد الاضطرابات السياسية كنتيجة طبيعية للصراع السياسي والعسكري المرير القائم بين الدويلات المغاربية المتصارعة على إرث دولة الموحدين ونتج عنه هجرة العلماء إلى المشرق والمغرب بينما انزوى بعضهم مفضلا عيشة الزهد والهروب من أدران الحياة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، المرجع السابق، ص231.

<sup>2</sup> المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من أعراب قبلي عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1984، ص36.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص44.

إلا أنه بالمقابل كان عهد إنتاج ثقافي مما أدى إلى نمو العديد من المدن وظهور المدارس والمساجد كقلاع ثقافية يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا في كل من مدينة الجزائر، عنابة، قسنطينة، بسكرة، وهران، تلمسان، مازونة، معسكر وساعدت المدن ظهور البيوتات العلمية التي كانت بمثابة القاطرة التي ساعدت على نشر الثقافة والمعارف، ونذكر منها عائلة المقري والعقباني بتلمسان، عائلة ابن باديس والفكون والقنفذ بقسنطينة، عائلة المشارفة بمعسكر، وعائلة هني بمازونة. ظلت المدارس والزوايا المنبع الرئيسي الذي لا ينضب و ينهل منه الطلبة و المتعلمين على السواء رغم أنها ظلت ثقافة تقليدية وصوفية لا تخرج عن علوم الدين والعلوم العربية تتميز بسطحية التعليم وضعف أساتذته<sup>1</sup>.

ومن جهة أخرى، لم يمنع غياب المعاهد الكبرى وجود علماء الذين ذاع صيتهم حدود الجزائر، برز علماء أجلاء في مختلف العلوم الشرعية بفضل عصاميتهم و انقطاعهم للعلم أن يحتلوا مكانة مرموقة بين مشاهير علماء المغرب و المشرق بفضل نشاطهم العلمي والفكري نذكر منهم أبوراس الناصر الذي ناظر العديد من العلماء واعترفوا له بالفضل واجزوه ولقبوه بشيخ الإسلام<sup>2</sup>، و نظرا لسعة حفظه لقبه شيخ الأزهر عبد الله الشرقاوي بالحافظ<sup>3</sup>، ولما حلّ بالمغرب طلب منه السلطان البقاء لكنه اعتذر<sup>4</sup>.

وجاء في فتح الإله و منته: "...كما وقع لي في تونس مع علماء أتوني يوم الجمعة، وأنا في شغل بفور السفر، فقالوا لي: لو حضرت الجمعة" فقلت يندب للمسافر الذي لم يجب عليه حضورها، إذا لم تشغله عن حوائجه، فصاحوا ونكصوا، وردوا عليّ كلامي وأكثروا ملامي، وقالوا-زيادة في تبيكتي وتنكيتي- من قال هذا؟ فقلت أعندكم شرح الشيخ الخراشي الصغير؟ قالوا كلنا عنده، قلت: في نفسي أسراراً-: هؤلاء "كمثل الحمار يحمل أسفارا"-، قلت: هي فيه من المقولات تسهيلات لكم على المطولات،

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص46.

<sup>2</sup> سعد الله، أبحاث وآراء... ج1، مرجع سابق، ص194.

<sup>3</sup> الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ج1، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، الأنييس، سلسلة العلوم الإنسانية، تحت إشراف علي الكنز، موفم للنشر، 1991، ص77.

<sup>4</sup> أبوراس، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1990، ص114.

فقالوا: وأين موضع؟ قلت: عند قول المصنّف في باب الجمعة، فأسرعوا لكتبهم، فوجدوا كما قلت، فأتوني بعشرة شواش<sup>1</sup> فائقات وسألوا مني الدعاء<sup>2</sup>.

يذكر أبو راس وهو في الحج: و لما ذهبت إلى الحج سنة 1226هـ/1811م لقيت علماء السلفية وهم تسعة علماء أكابر جماهير وأفضلهم الشيخ على تاسعهم، فوقع لي معهم مناظرة ومباحثه واعتراضات وسؤالات وأجوبة فائقات ودلائل قاطعات وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة من الأمهات، ثم تناظرنا بعد صلاة العصر قبالة الحجر في صلاة الفجر وقراءة دليل الخيرات والتسبيح بالسبحة... فعملت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع، وأما في العقائد فهم ما هو عليه الإمام أحمد<sup>3</sup>

أما العلامة يحيى الشاوي ذاع صيته باسطنبول لمشاركته في الدروس والمناظرات لذلك كرمه السلطان العثماني وحظي بمكانة معتبرة في مصر في عدة مدارس كالأشرفية والسليمانية حتى سمي "أمير ركب حج المغاربة".

ويقول عبد الرحمن الجامعي في رحلته المسماة بـ "التاج المشرق الجامع ليوافيت المغرب والمشرق"... وأما مدينة الجزائر، فأول بلد لقيت بها مثل من فارقت من أدباء بلدي، و بها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي، لاجتماعي بها بالأدب الماهر، الدال وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر، أديب العلماء وعالم الأدباء محي طريقة لسان الدين ابن الخطيب بن الإمام الخطيب، ذي القدر العلي، ابن عبد الله محمد بن محمد المعروف بـ "ابن علي"... رأيت أول ما لقيته وأنا لا أعرف مسماه، فرأيت صورة تدل على حقيقة الأدب و معناه<sup>4</sup>.

وكذلك تولى العديد من علماء الجزائر أعلى المناصب بالأزهر في التدريس والإفتاء كالشيخ محمد بن حسين الجزائري الذي أسندت له نيابة التدريس من طرف شيخه، فكان يدرّس فيها صحيح البخاري كل جمعة، و منهم من تولى الإشراف على القضاء ومكتبات القاهرة و في مختلف العلوم العقلية و

<sup>1</sup>شاشية: جمع شواشي.

<sup>2</sup> أبوراس، فتح الإله،... مصدر سابق، ص 117

وأبوراس، فتح الإله،... مصدر سابق ص 81.

<sup>4</sup> حمد بن ميمون، التحفة المرضية.... مصدر سابق، ص ص 54-55.

النقلية".، و العالم أبو العباس المغربي.ت.1787م أذن له شيخه "الصعيدي" بتدريس المغاربة في رواقهم وأسندت له المشيخة بعد موت شيخه، لكن هناك من تعصّب ضده".<sup>1</sup>

و بناء على ما سبق، كانت الدروس بجامع مدينة الجزائر تفوق دروس التي كانت تلقى بالمراكز العلمية مشرقا ومغربا بفضل جهود علماء جهاذة نذكر منهم كل من: سعيد قدورة، على الأنصاري، أحمد المقري، عمر الوزان وعبد القادر الراشدي، و فرض هؤلاء الأعلام أنفسهم بالعواصم العلمية خاصة دمشق وبلاد الحرمين و فاس و القيروان فكانت دروسهم مضرب المثل في سعة الشواهد و العمق و الإحاطة ولكن شهرتهم هذه كانت نتيجة جهودهم الشخصية".<sup>2</sup>

كان هؤلاء العلماء الروح و القلب النابض للمدارس و المراكز العلمية التي انتشرت بالحوضر الكبرى وبعض الجهات البعيدة فمثلا حلقات الدروس بالجامع الكبير بمدينة الجزائر تصل إلى اثني عشر حلقة، كما وصل عدد الأساتذة الذين يلقون الدروس إلى تسعة عشرة أستاذا<sup>3</sup> بالإضافة إلى تردد بعض الأساتذة و المدرسين من بلدان العالم الإسلامي على مدينة الجزائر و جامعها الكبير".<sup>2</sup>

أما مستوى الدروس التي كانت تلقى فيه فقد كانت تضاهي أو تتفوق في بعض الأحيان على دروس الجوامع الكبرى في المشرق العربي كالجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين و مستوى الدروس والمحاضرات كان تفوق مثلتها في المراكز العلمية في المشرق والمغرب فتخرج في هذه الفترة كبار علماء من أمثال عيسى الثعالبي<sup>4</sup> الذي ترك لنا أعمالا جليلة وذات قيمة كبيرة نذكر منها الفهرسة المعروفة ب: "كنز الرواة" الذي ترجم فيه لشيوخه من المغاربة و المشاركة، و تتبّع من أجله الخزائن العديدة في مصر و الحجاز و درس المصنفات و المجاميع والمسائيد وضبط الأسماء و

<sup>1</sup>الجبريتي عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج2، ص44.

<sup>2</sup>سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص281.

<sup>3</sup>نفسه، ص284.

<sup>4</sup>هو عيسى بن محمد بن محمد بن احمد بن عامر الجعفري الهاشمي الثعالبي الجزائري، محدّث، من أكابر الفقهاء المالكية في عصره. أصله من وادي يسر (وطن الثعالبة) ولد و نشأ في زاوية ثم انتقل إلى العاصمة. أخذ عن الشيخ سعيد قدورة، ثم رحل إلى تونس ومنها إلى الشرق، فحج سنة1062هـ ثم جاور مكة ثم دخل مصر وأخذ عن علمائها كالقاضي "شهاب احمد الخفاجي" وغيره. عاد إلى مكة ومات فيها. وله: -كنز الرواة المجموع في درر المجاز -يواقيت المسموع في أسماء شيوخه والتعريف بهم وبمؤلفاتهم ومقروءاتهم وأسماء شيوخهم-رسالة في مضاعفة ثواب هذه الأمة- تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس- مشارق الأنوار في بيان فعل الورع من السنة وكلام الأخيار- منتخب الأسانيد ذكر فيه شيوخه المالكيين وأسماء رواة الإمام أبي حنيفة. أنظر: عادلنويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/1980، ص91، ومعجم المؤلفين، ج8، ص33.

الأنساب، وعرفه الرحالة العياشي " فهو نادرة الوقت و مسند الزمان"<sup>1</sup>، ويحي الشاوي، محمد بن القوجيلي<sup>2</sup> وغيرهم، إلى جانب تردّد بعض الأساتذة والمدرسين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي على مدينة الجزائر وجامعها الكبير"<sup>3</sup>.

و بفضل سمعة ونشاط علمائها تحوّلت مدينة الجزائر إلى إحدى أهم المحطات العلمية التي تُشدُّ إليها الرحال من طرف العلماء المغاربة نذكر منهم عبد الواحد بن محمد اللمطيالميمونيالمكناسي الذي هاجر إلى الجزائر واستقر بها إلى أن توفى بها سنة 988هـ /1580م، كان فقيها نحويا، و كذلك "أحمد الفاسي" وهو كاتب لبعض أمراء العرب الذين يقال لهم العبابسة<sup>4</sup> وهو فصيح القلم، حسن الخط، جيّد العبارة يستعمل الشعر كثيرا، و سيرته قصد الأكاير بالمدح ينال من ثوابهم وكان بالحاضرة (قسنطينة) ولازم البادية لأن أمراءهم أهل خيام"<sup>5</sup>، أبو الحسن علي" الذي توقّف في الجزائر مع رفيقه محمد بن علي القشتالي لما كانا في طريقهما إلى استانبول سنة 998هـ /1589م مبعوثين من السلطان احمد المنصور إلى السلطان العثماني مراد الثالث، كما زار مدينة قسنطينة" القاضي المولى علي" قادمًا من السلطنة الأحمديّة (اسطمبول) وزار الشيخ الفكون في بيّته برفقة العالم عبد الرحمن أبهلول الذي وصفه شيخ الفكون: "... وله معرفة و نجابة وقوة عارضة، ومشاركًا في كل العلوم و عنده كتب جمّة"<sup>6</sup>، كما يذكر شيخ الفكون أنه وقعت بينه و بين الفقيه أبي إسحاق ابراهيم الفلاري قدم على قسنطينة من بلده تونس ونزل على بعض خواصها و بيتاتها، و كان له جانبان، جانب اللهو و الطرب، يعامل به أقرانه و هم جمع و ناد من أكابر البلد، وجانب أدب يخالط به فقهاءها."<sup>7</sup>، وقد قابل التمغروطي بعض علماء الجزائر وكتب في رحلته المسماة "النفحة المسكية في السفارة التركية" يقول عنها أي مدينة

<sup>1</sup> عبد الله محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، ج2 حققها وقدم لها، د.سعيد الفاضلي، د.سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2005، ص132.

<sup>2</sup> هو الحافظ محمد بن علي الجزائري المعروف ب"أقوجيلي"، وله:- عقد الجمان اللامع من قعر بحر الجامع. في الحديث. توفي: سنة1080هـ/1669م.أنظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1971، ص168.

<sup>3</sup> المنور مروش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2007، ص 16.

<sup>4</sup> وهم أولاد سبع قبيلة من منطقة راس الواد على الطريق الرابط بين قسنطينة ومدينة الجزائر.

<sup>5</sup> الفكون، منشور الهدايا....مصدر سابق، ص97.

<sup>6</sup> الفكون، منشور الهدايا....مصدر سابق، ص 98.

<sup>7</sup> نفسه، ص110.

الجزائر"...وطلبة العلم بها - الجزائر- لا بأس بهم، إلا أن حبّ الدنيا وإيثار العاجلة، والافتتان بها غلبهم كثيرا، والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا وتوجد بها كتب الأندلس كثيرا"<sup>1</sup>، محمد السوسي الفاسي في مطلع القرن الحادي عشر (17م) الذي نزل في البداية في مدينة قسنطينة ثم انتقل إلى مدينة الجزائر و استوطنها إلى أن توفى بها سنة 1023هـ (1614م)، قصدها في البداية للأخذ عن علمائها ثم حصل على خطة التدريس بها"<sup>2</sup>.

و إلى جانب علماء المغاربة الذين استقروا بالجزائر، هاجر العديد من علماء الجزائر نحو المغرب وحواضرها العلمية ونذكر منهم عبد الرزاق بن حمادوش الذي كان حريصا على حضور دروس العلامة"البناني" منذ طلوع الشمس، وكان يدرّس بجامع زاوية سيدي أحمد بن ناصر، وجدته في كتاب الدعوات، وكذلك حضوره دروس الشيخ العالم الورززيلموطاً مالك، وقد أجاز ابن حمادوش:"...فأسعفته في رغبته فأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري وأجزته سائره، ورغبتي أيضا أن أجزه في كل ما صحت لي روايته من مسموع ومجاز فأسعفته"<sup>3</sup>. والى جانب إجازة الشيخ البناني" تحصل ابن حمادوش على إجازة العلامة" السرائري" يوم 27 محرم قبضت إجازتي التي كتب لي الشيخ البناني، وأمرني أن ارفعها الي الشيخ الفاضل سيدي أحمد السرائري، فرفعتها له وسلّمت عليه من الشيخ وأخبرته أنه أرسلني إليه ففرح بذلك، وكان كبير السن فأخذها من يدي ووعدني الي الغد، فلما كان زوال الغد أتيتّه فوجدته قد كتب لي ما صورته"<sup>4</sup>

وبالإضافة إلى علماء الجزائر، وفد عليها كذلك علماء وقضاة أحناف جيء بهم من اسطمبول رفقة الباشوات و مع نهاية خدمتهم ينتقلون إلى وظائف أخرى، وبعد عدة أجيال على هذا النمط السياسي أصبح العالم الحنفي يعيّن من أبناء العثمانيين المولودين بالجزائر وذلك بعدما أصبح الباشا الجديد يعيّن

<sup>1</sup>التمغروطي(أبو الحسن علي)، النفحة المسكية في السفارة التركية، ترجمة المقدم دو كاستري، المغرب، 1929، ص16.  
<sup>2</sup>الفكون، منشور الهدايا... مصدر سابق، ص102..

<sup>3</sup>...فهذا ما وجدت في الكراستين والذي كتب لي في إجازتي ما صورته، الحمد لله الذي شيد بصحيح الإسناد منار الإسلام ورفع دعائه على كواهل صدور ايمته الأعلام والصلاة والسلام على خير من أجاز السائل بأفضل مما رام، وعلى آله وأصحابه السادات الكرام. وبعد: فان الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، المدرس الأحلف، الشريف الأمل، السيد عبد الرزاق الجزائري، المالكي المذكور أعلاه قد تردد الي في طلب العلم الشريف، وحضر لدي في غير ما درس للعلم المنيف، حضور استفادة وتحصيل، جادا في الطلب بأيما تأصيل، رافضا للشواغل...وسالك في تأهله له أحسن المسالك فطلب من هذا العبد الضعيف تقييد الإجازة له فيما سمعه وغيره ليكون ذخرا لديه...فأجنته إلى ذلك جبرا لخاطره ورعا لما عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر"، أنظر: ابن حمادوش، الرحلة...مصدر سابق، ص62.  
<sup>4</sup>نفسه، ص67.

في الجزائر وكان لهؤلاء دور كبير في إرساء قواعد الحكم العثماني، و في تنشيط الحياة العلمية و الثقافية و شغلوا كذلك مناصب رسمية، وأبرزهم محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، والشيخ فتح الله الذي أصبح قاضيا ومفتيًا وعاش حياة متقلبة انتهت بمقتله<sup>1</sup>.

أما العلماء الذين لجؤوا إلى الجزائر لأسباب سياسية وخاصة من علماء المغرب فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الذي استوطن الجزائر في الأربعينيات من القرن السابع عشر (11هـ)، وكان متمكنا من عدة علوم كأصول الدين والبيان والمنطق والنحو ومصطلح الحديث والفقه والتصوف، وقد عاصر الأنصاري سعيد قدورة أحد كبار علماء هذه الفترة، هذا إلى جانب الهجرة الأندلسية التي كان الدور الفعّال على الثقافة في جميع النواحي، فاحتكر الأندلسيون ميدان التعليم وبشكل خاص في الحواضر ونقلوا إليه طريقتهم حيث "أضافوا إليه القواعد العامة وروايات القرآن وأنواع قراءاته والخط الأندلسي وعلوم الموسيقى و الفنون بما في ذلك المناظرة بين العلماء"<sup>2</sup>.

و من جهة أخرى، عبّرت الدروس والمحاضرات التي كانت تلقى بالحواضر الكبرى خلال القرن التاسع الهجري من طرف علماء الجزائر العثمانية عن نشاط الحركة العلمية والثقافية بالجزائر و بالتواصل الثقافي و العلمي بين علماء المغرب الإسلامي مما أدى إلى التعرف على رصيدهما الحضاري الكبير بفضل ثقافة التسامح التي تميّز بها علماءه، وهؤلاء لعبوا أدوارا هامة في رسم الصورة الاجتماعية وحتى السياسية التي تميّزت بكل ضروب النفقت السياسي والاختلاف المذهبي والعقدي والتباين الاجتماعي وسيادة التصوف في كل مناحي الحياة تقريبا<sup>3</sup>.

و من جهة أخرى، يمكننا اعتبار الرحلات المغاربية بحق جسرا عبّرت من خلاله الثقافة المغاربية بين بلدانه المختلفة و مدّت جسور التواصل بين أطرافه، فكان العلماء يطلبون العلم من معينه الأصلي و من الشيوخ ذوي السبق في المسائل العلمية المختلفة خصوصا في المجال الفقهي و الصوفي، فعلماء

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ج 1، ص ص 443، 445.

<sup>2</sup> نفسه، ص 47.

<sup>3</sup> عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 178.

المغاربة كانوا يتخذون الجزائر عادة طريقا إلى الحج، و البعض الآخر يأتي إليها في مهمات دبلوماسية وتجارية أو يقومون ببثّ مذاهبهم الصوفية بين الجزائريين، وعموما فإن حركة هؤلاء العلماء الأعلام كانت خير و بركة على الجزائر بحكم أن كل عالم كان بمثابة مكتبة و مدرسة متنقلة.

وما يمكننا استنتاجه، أن الفهارس تعد من أهم الكتب التي ذكرت حال الثقافة ورجال العلم ونشاطهم في التدريس و التأليف ومن بينها نذكر فهرس "أحمد المنجور"<sup>1</sup> أحد طلبة و علماء فاس والذي ظل ينتقل من حلقة عالم إلى أخرى في القرويين والمدارس التابعة لها، أو في جامع الأندلس والأشراف ومساجد صغرى هنا و هناك في العدوتين من طلوع الفجر إلى ما بعد العشاء الأخيرة طوال العشرين سنة، ونجده يقرأ علوم القرآن، الحديث، والفقه والنحو والبلاغة والأدب والمنطق والحساب، وبذلك نلتقي بعالم مكتمل المادة، مشارك بكامل معنى المشاركة في تكوينه في فاس وحدها، ولم يأخذ عن غير المغاربة إلا بعض الطرائين على فاس من علماء الأندلس، تونس، ووهران، تلمسان<sup>2</sup>

#### ب/ مستوى علماء الجزائر العثمانية وأخلاقهم.

ظهر علماء الجزائر العثمانية كفئة متميزة كنتيجة طبيعية لوصول حكام غرباء عن الثقافة العربية والتشريع الإسلامي الذين أصبحوا يستأثرون بشؤون الحكم والجيش والإدارة بينما أصبحت المسائل التي لها علاقة بالدين في أيدي العلماء، ويذكر ابن المفتي: ولما دخل الترك بعد ظهور "الصفطالار"<sup>3</sup> من العجم مصاحبين للباشالار، وبدأ ظهور المذهب الحنفي على لسان أولئك المذكورين، وتوصل البعض من أولاد الترك إلى الإمامة، والخطابة، وخطة الفتوى<sup>4</sup>...ولذلك يرى صاحب تاريخ الجزائر الثقافي أنه "أصبح للحكام مجالهم الخاص في التنفيذ كما أصبح للعلماء مجالهم، فإذا تعارض الأمران تغلب أصحاب الجانب الأول لما لديهم من قوة والسلطان، وليس لما لهم من الحق والبرهان"<sup>5</sup>، و نتج

<sup>1</sup> فهرس أحمد المنجور، للتأليف والترجمة والنشر-سلسلة الفهارس- تحقيق محمد حجي أستاذ بكلية الآداب الرباط، المملكة المغربية، 1976/هـ1396، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ص.12

<sup>2</sup> فهرس أحمد المنجور للتأليف والترجمة والنشر.... ، مصدر سابق، ص14<sup>2</sup>

<sup>3</sup> الصفطالار: هي جمع مفردة "صوفتة" وهي تعني الطالب الذي يدرس في الجامع الفقه و النحو والمنطق، أنظر: ديران كيليكيان، القاموس التركي-الفرنسي، ص773.

<sup>4</sup> ابن المفتي، حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمانها، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، العظمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 86.

<sup>5</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر....ج1، مرجع سابق، ص ص388-389.

عن هذا الوضع السياسي أن فئة العلماء احتكرت لنفسها مجالات معيّنة في المجتمع كالإفتاء، القضاء، التعليم، الإمامة والتعليم، و بما أن هذا المجال العلمي كان محددًا أكثر التنافس عليه من قبل فئة العلماء الأمر الذي سمح للسلطة السياسية بضرب هذا بذاك ويغلبون فريقًا على الآخر وعائلة على عائلة عند الضرورة رغم قرب القضايا التي يعالجونها و الوظائف التي يؤديونها".<sup>1</sup>

و تعتبر الفتوى أعلى وظيفة يتولاها العالم، ذلك أنها تحتاج العلم الغزير و التعمق في مسائل الفقه و علوم القرآن و علوم الحديث إلى جانب والقياس والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي، وعرفت الجزائر-كغيرها من البلاد المغرب الإسلامي- أن العلماء كانوا يستشارون في جميع شؤون الحياة وفي الأمور المستجدة على السكان وهذا ما يعرف بالنوازل وذلك كشيوخ وفقهاء "وتتوافد عليهم الأسئلة من كل الجهات فيسجلها عنده ويجب عليها أو يمتنع بما توصل إليه علمه مضيفا إليها عبارة" الله اعلم"<sup>2</sup> وهذا ما عرف عن علماء الجزائر قبل مجيء العثمانيين من خلال نوازل "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" للمازوني، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس و المغرب للونشريسي و المذهب الذي كان يفتي به هؤلاء العلماء هو مذهب الإمام مالك لأنه مذهب غالبية السكان.

و بعد مجيء العثمانيين إلى الجزائر أحدثوا تغييرا جذريا بنظام الحكم و النظام القضائي وخاصة في مجال الفتوى التي جعلوا منها وظيفة رسمية وعلى مذهبين المالكي والحنفي الذي أصبح في ظل الحكام الجدد المذهب الرسمي الذي أصبح يسمى "شيخ الإسلام" كما كان يسمى زميله في اسطمبول وبذلك أصبح العثمانيون يجلبون معهم علماءهم من اسطمبول نظرا لعدم وجود علماء أحناف في الجزائر قبل وجود العثمانيين وكذلك لعدم الثقة الكاملة سياسيا في علماء الجزائر"<sup>3</sup>

والى جانب منصب الإفتاء، أوجد منصب القاضي الحنفي وهي في الأساس وظيفة دينية- سياسية، وأصبح أيضا قاضيان في كل مدينة رئيسية، احدهما للمذهب الحنفي والثاني للمذهب المالكي، وتحت

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر....ج1، مرجع سابق،، ص389.

<sup>2</sup> نفسه، ص392.

<sup>3</sup> نفسه ، ص392.

هاذين القاضيين مجموعة من القضاة المنتشرين في أنحاء الأقاليم، وكان منصب القضاء مجالاً خصباً للتنافس بين العلماء لأنه يجلب النفوذ و الجاه و مال الأوقاف، و هذا التنافس كان سبباً في تفشي ظاهرة العلماء الجاهلين لأحكام الدين والشّرع وإصدار الأحكام جزافاً، وفي هذا الصدد يذكر ابن المفتي: "...تولّى والذي حسين بن رجب شاوش مفتياً وهو في سن الثلاثين ومكث اثني عشر سنة وعزله أهشي مصطفى وولى مكانه الحاج محمد النيّار، وهو رجل جاهل مرتشّ قليل الدين، وكان أول من أهان العلم وأهله عندما قام ينحني على يد أهشي ويقبّلها مرارا فتبعه الرفقاء، وبقيت عادة، وكان من قبل يقف الأمراء للعلماء والفقهاء عن الورد عليهم، ويقبّلون أيدي العلماء والصالحين، ويودّعونهم عند انصرافهم.<sup>1</sup>، وإذا استفتاه في مسألة علمية فإنه دائماً على رأيك، ويوافقك بأن يقول لك: نعم حسناً أو بارك الله فيك" وتلك هي كلماته، وفي مدة توليه الخطة هيأ عدداً من الأجوبة الشرعية معتمداً على من عاصره من المؤلفين لم يقرأ لهم أبداً، ولم يكن لعلماء عصره أي اعتبار عنده<sup>2</sup>

والى جانب الجهل الذي استشرى بين الكثير من العلماء الدسائس و الكيد لبعضهم كما جرى للعالم سعيد بن ابراهيم قدورة إمام مسجد سيدي رمضان الذي عزل من منصبه سنة 1090هـ/1679م، والسبب في هذا العزل هو رسالة بعث بها حساده للأمير اتهموه فيها بأعمال شائنة وبقلة الوقار<sup>3</sup>، و من جهة ثانية طلب من الشيخ قدورة للمحاسبة من طرف أرباب وأهل البلد بعد عزل الشيخ أحمد رزوق بن عمار فامتنع برفق ثم أنه سألهم: هل لا بد من الحاسبة؟. فأطلعهم على الحساب وعلى ما اشترى من الكتب للجامع، وعرفهم بإصلاحات وبناء أماكن بليّت وتلاشت والكل عنده عليه وثائق بخط العدول الثقات<sup>4</sup>.

والى جانب الوشاية والقّح في أخلاق العلماء ومكانتهم ، انتشرت ظاهرة سرقة الكتب من المساجد وتغيير وبيع الأحباس من القائمين عليها و العلماء على السواء مثلاً حدث لكتب الجامع الأعظم الذي كان يحتوي على اثنتا عشر غرارة مملوءة بها و ما يزيد عن مائة سفر، توزّعت بعد ذلك

<sup>1</sup> ابن المفتي حسين بن رجب ، تقييدات....مصدر سابق، ص ص،88-89.

<sup>2</sup> نفسه، ص90.

<sup>3</sup> نفسه، ص99.

<sup>4</sup> نفسه، ص97.

وردوا بعضها، أخذ العالم "الطبار الماروني" عددا من هذه الأسفار، و بعد وفاته نقلها ابنه إلى تونس وباعها، كما قام كل من عبد القادر بن الشويحات، وأبناء ابنة سيدي سعيد بسرقة كما كبيرا من هذه الأسفار ولم يبق منها اليوم إلا نحو ثلاثمائة سفر<sup>1</sup>، كذلك قام العالم أبو عبد الله بن نعمون<sup>2</sup> بتغيير كثير من أحباس مدينة قسنطينة وهتك حرمتها والإغراء على بيعها وتمكن عن طريق الاحتيال من بيع خمسة وثلاثين حبسا أو نحوها، كما أنه تجاسر حتى على أحباس الموقوفة على خدمة المدينة الشريفة ولم يراع فيها جانب النبي الشريف ولا عظمة ولا وقره في هتك ما نسب إليه<sup>3</sup>.

و من جهته يشير صاحب الثغر الجماني إلى هذه الظاهرة التي تفشت في عالم الراشدية بقوله: "...و تتبّع ( ويعني الباي محمد بن عثمان ) أحباس التي استولت عليها أيدي المنتهيين حتى تلاشى عنها أثر الحبس وارتفع عنها اسمه فصارت من جملة الأملاك لا شعور لأحد بتحبيسها فوجد منها أراضي كثيرة وضّفها كلها على حائزها"<sup>4</sup>

### 3- علاقة علماء الجزائر مع بعضهم و السلطة السياسية خلال العهد العثماني.

#### 3-1/ علاقة العلماء فيما بينهم.

دخلت الجزائر الرابطة العثمانية باسم العقيدة الإسلامية حيث كان الجهاد البحري هو الدافع الأساسي لوجودهم على شواطئ شمال إفريقيا، "وكان وجود الاسباني بالسواحل مصدر تحالف بين الجزائريين والعثمانيين"<sup>5</sup>، و من جهة أخرى إن عاملا الدين و الجهاد جعل الجزائريين يقبلون بفكرة تواجد العثمانيين ليكون لهم الدور الأكبر في تدعيم فكرة التحالف بينهما حيث كانوا في نظر الناس يمثلون حماة الدين وهذا الأمر سمح لهم بكسب تأييد و مساعدة العلماء لفترة طويلة<sup>6</sup>، ولقد تركت انتصارات العثمانيين انطبعا حسنا لدى الأهالي الذين استجدوا بالإخوة برباروس، ويذكر العالم عبد

<sup>1</sup> ابن المفتي حسين بن رجب ، تقييدات...مصدر سابق، ، ص100.

<sup>2</sup> هو أبو عبد الله المدعو بكنيته ابن نعمون، هو ابن أخت الجد عبد الكريم الفكون، وجده الأب الفقيه الإمام أبو البركات ابن نعمون، وهم دار عافية ومن بيوتات قسنطينة وشهرتهم في أسلافهم. أنظر: منشور الهدايا...مصدر سابق، ص80.

<sup>3</sup> ابن الفكون، منشور الهدايا...مصدر سابق، ص88.

<sup>4</sup> ابن سحنون، الثغر الجماني...مصدر سابق، ص133.

<sup>5</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج2، مرجع سابق، ص135.

<sup>6</sup> سعيدوني/ البوعبدلي، الجزائر في التاريخ..، ج4، مرجع سابق، ص37.

الرحمن التلمساني بأن السكان هم من راسل الإخوة برباروس بجيجل برسالة جاء فيها: "أخذتم بجاية وجيجل من النصارى، ونصرتهم الدين فهنيئاً لكم أيها المجاهدون ولا بد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من هؤلاء الملاحين الكفرة لأننا في محنة عظيمة وذل شديد"<sup>1</sup>.

لقد كان الجهاد القضية الأولى في اهتمامات العلماء الذين شاركوا فيه من خلال الرباطات مما جعلهم يطلبون من الحكام في كل مناسبة بتحرير المدن والثغور "...ونظموا الأشعار لإلهاب حماس الناس وتذكير الباشاوات بواجباتهم الجهادية لتحرير المدن التي احتلها الأسبان"<sup>2</sup>، ومن جهة أخرى أوضحت الحرب ضد الأسبان مرآة عاكسة للتحالف بين العلماء والسلطة السياسية من خلال إدراك الحكام مكانة العلماء لدى السكان المحليين على أنهم حماة البلاد فإذا تقاعسوا عن الجهاد تعرضوا لسخط العلماء والسكان من جهة ثانية"<sup>3</sup>.

ويعتبر العالم احمد بن يوسف الملياني نموذجاً للتحالف بين السلطة ممثلة في الإخوة برباروس والعلماء، فالشيخ الملياني هو شاذلي الطريقة، ويتمتع بسطة كبيرة بين الأهالي، وعند استقرار الإخوة برباروس بالجزائر أرسل خير الدين إلى الملياني هدايا ثمينة اعترافاً بجميله وبمبلغ مالي قدره 4000 دينار، كما حصص له جزءاً من الجزية المفروضة على اليهود بثمانية صيعان، عند ذهاب الحجاج إلى الحرمين"<sup>4</sup>.

ولكن رغم هذه النعم ظل الشيخ الملياني متحفظاً من العثمانيين وحكمهم بعد فعلتهم بأهل تلمسان، وذلك من خلال رسالته التي بعث بها إلى خير الدين التي جاء فيها: "إن حكمك لا يجري علينا، ولا على نسلنا ولا على من تعلق بنا، ولا على نسلهم فإن رغبتم أحسنتم، وإن خالفتم عوقبتم"<sup>5</sup>، ويذكر كل

<sup>1</sup> محمد بن عبد الرحمن التلمساني، الزهرة النائرة لما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد:3، جويلية 1967، ص32.

<sup>2</sup> كان العلماء و الشعراء يقفون إلى جانب المجاهدين من الحكام وبحضونهم على جهاد الأسبان ويمنون على من يفعل ذلك منهم بالخير والبركة والفوز عند الله. وعندما أنتصر العثمانيون على الأسبان لهجت الألسن بالمدح والتثناء على الباي محمد بن عثمان الكبير والداي على هذا الانتصار، فكان ذلك سبباً في تقرب الأهالي من الحكام العثمانيين ونشر الدعاية لهم. أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص195.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2 مرجع سابق، ص410.

<sup>4</sup> صادق محمد الحاج، مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف الملياني، د. م. ج، الجزائر، 1964، ص104.

<sup>5</sup> نفسه، ص105.

من "ج. بارك. berque.j" و بودان bodin" أن الحكام العثمانيين حافظوا على وعودهم للشيخ الملياني طيلة وجودهم بالجزائر حتى أن الداوي حسين تزوج من إحدى حفيدات الشيخ الملياني<sup>1</sup>.

إن السياسة العثمانية اتجه العلماء و المرابطين خلال بداية الوجود العثماني أتت أكلها وحازت على ثقة العلماء وجعلت الأهالي يسلمون بشرعية الحكم العثماني بعدما تم القضاء الوجود الصليبي بالمدن الساحلية و الإمارات المحلية المختلفة، وهذه السياسة مكنتهم من توطيد حكمهم ونفوذهم بالجزائر.

من جهة أخرى، لجأ العلماء إلى القوائد الشرعية للتحريض على الجهاد و رفع الغبن والظلم عن العلماء لأن الكثير منهم لم يتحصلوا على المساعدة و العون من طرف الحكام فكانت النتيجة أنهم ضاعوا وتفرقوا على البلاد الإسلامية طلبا للأمان، أو طمعا في الجاه، أو سعيا وراء المال.<sup>2</sup>

إن الظروف السياسية كان لها دورا كبيرا في رسم سلوك وأخلاق وطبائع علماء الجزائر، فالسلطة السياسية شجعت بشكل كبير الخلاف و الصراع بين العلماء من جهة وأبنائهم من جهة أخرى، و البحث عن الضعفاء منهم و التخلص من الأقوياء وتجنب إعطاء السلطة و النفوذ لعلماء البلاد والمتصلين بالأهالي<sup>3</sup>، كما انتشرت بين العلماء عيوب وطبائع سيئة كثيرة منها التناخر بالشرف و الرياسة والقيادة مما جعلهم يؤلفون الكتب العديدة لتأكيد شرفهم وصحة نسبهم الشريف وهذا الأمر دفع العالم العربي المشرفي إلى القول: "...المشارف علماء أبرار وفقهاء أخيار وبيوت العلم فيها مشهورة بالصلاح معمورة....فتحوا للمخزن الأبواب، شرحوا له رموز الوظائف المصنفة على الأعتاب، كانوا لملوك الأتراك عينا ناظرة، وبصيرة باصرة ولذلك كتب توقييرهم في الصحف و الألواح، وسطر تعظيمهم في لدن الرماح، وما أحسن تعظيم الملوك للأشراف إذا عثرت في الليام الأطراف و جور كل جاير ذاهب للانصراف"<sup>4</sup>، ومن جهة ثانية ردّ المشرفي ردا قاسيا على العالم أبي راس ووصفه بأبشع النعوت

<sup>1</sup> نفسه، ص107.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر....ج2 مرجع سابق، ص418.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1، مرجع سابق، ص408.

<sup>4</sup> العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسبيدي محمد بن علي لمولى مجاجة، دراسة وتحقيق العربي بوعمامة-حمدادو بن عمر، ط1، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011، ص13.

والأوصاف عندما نفى الشرف عن عائلة المشارف قائلا: "...و من أجل الطعن في نسبهم صرّصرت الريح العقيم على ذريته فاجيحت فصار كأنه لم يعقب عقبا من ذكر يذكره أو أنثى تحمد عاقبتها وتشكر".<sup>1</sup>

و يذكر ابن حمادوش، أنه كان يفتخر بشرفه على معاصره ويذكر النوازل التي شارك فيها برأيه و ينتهي فيها بتسجيل انتصاره على من خالفه بشيء من الزهو واصفا مخالفه بأدعياء العلم وضعف العارضة وقصر النظر"، و من جهة أخرى أن محمد بن ميمون قاضي المواريث في وقته من العلماء الذين طال الجلوس إليهم، وفي عهده وقعت خصومة بينه وبين المفتي "بن علي" بسبب غضب هذا الأخير من عدم قيام ابن حمادوش احتراماً له".<sup>2</sup>

والى جانب التفاخر بالشرف، انتشرت ظاهرة الحسد و البغضاء والنفاق الاجتماعي حبا في المال وجريا وراء المنافع الدنيوية، فهذا العالم أبو محمد عبد اللطيف بن عبد الكريم بن القاضي كانت بينه وبين العالم أبو العباس أحمد الغربي صداقة منذ الصغر أعقبها التنافس بعد الكبر بسبب ولاية منصب النيابة أعقبها الهجران الفظيع والترصد بكل المكاره لكل منهما لصاحبه ما لا يليق بكل عاقل، وانحاز كل منهما إلى وال من الولاية يعتضد به على صاحبه، وكان لكل منهما أعوان وأنصار من العام و الخاص".<sup>3</sup>

ففي مدينة قسنطينة مثلا يذكر الفكون، أن صراع العائلات الكبيرة في هذه المدينة حول الثروة و الجاه الديني و السياسي كتولية القضاء أمرا مألوفا بحكم طبيعة الظروف السياسية وهذا لم يمنع هذه العائلات استعمال نفوذها الروحي والمعنوي على نشر الأمن و الاستقرار بالمدينة واحوازها "وانفقوا على كتابة رسالة جماعية يطلبون فيها من باشا الجزائر تعيين حاكم عليهم يساعدهم و تساعدونه، وطلب منهم أن يقترحوا عليه حاكما وهو يصادق عليه ففعلوا".<sup>4</sup>

1 بوكعبير تقي الدين، مخطوط في الرد المشرفي على أبي راس الناصري في قضية نسب أسرة المشارفة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، قسم التاريخ و علم الآثار، 2006/2007، ص91.

2 ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش..... مصدر سابق، ص94.

3 الفكون، منشور الهدايا....مصدر سابق، ص78.

4 نفسه، ص92.

أصبحت هذه العائلات الكبيرة تتعاطى السياسة رغم عنها- بقصد أو بغير قصد- كلما تعلق الأمر بالأمن والصالح العام، وذلك من خلال اقتراح على السلطة السياسية المركزية اسم الباي الجديد على المدينة "مثلما حدث سنة 1057هـ/1637م عندما تم تعيين "فرحات" بايا على قسنطينة استجابة لاقتراح آل الفكون".<sup>1</sup>

ظهر التحالف السياسي بين أسرة الفكون والسلطة السياسية بكل وضوح أثناء ثورة شيخ العرب ابن الصخري العارمة 1047هـ/1673م التي عمّت كل الشرق الجزائري تقريبا، وكادت أن تطيح بالسلطة السياسية بالشرق الجزائري لولا موقف آل الفكون التي اتخذت موقفا معاديا ومعارضاً لهذه الثورة خوفاً من توسعها، وحقنا للدماء وصوتاً للأعراض، وتمكنت هذه العائلة من استرجاع الهدوء والسلم إلى المدينة واحوازها، وبذلك أصبح العالم الفكون زعيماً روحياً يلتجئ إليه الحاكم والمظلوم على السواء<sup>2</sup>، وبفضل هذه المكانة الروحية، منح لآل الفكون وظيفة القضاء والإمامة والخطابة بالجامع الكبير وهو بالتالي يرمز إلى الجاه والثروة وجلب طاعة الرعية وهذا على نقيض آل عبد المؤمن الذين رفضوا الانصياع إلى الحكام العثمانيين الجدد منذ حلّ خير الدين بربروس بمدينة "القل" وغلق الشيخ عبد المؤمن أبواب المدينة على الباي العثماني الجديد و منع دخولها فظل هو وجنوده بالمنصورة خارج الأسوار، في هذه الأثناء تدخلت أسرة الفكون المنافسة لأسرة عبد المؤمن واتصلت بالحكام الجدد، فوقع تحولاً في مراكز النفوذ من عائلة إلى أخرى، من آل عبد المؤمن إلى آل الفكون وبذلك أصبحت عائلة الفكون في قمة مجدها الروحي والمادي خاصة في عهد عبد الكريم ودون التخلي عن القيم العائلية والإسلامية<sup>3</sup>.

تعددت العائلات بقسنطينة وتنافست فيما بينها من أجل النفوذ ونذكر منها: أسرة ابن باديس، أسرة الفكون، أسرة عبد المؤمن، أسرة النعمون التي كانت في خصومة دائمة مع آل الفكون رغم القرابة الدموية التي تجمعهما حتى كانت بينهم مواريث كما يذكر الفكون، وعادة ما كان هذا الأخير يشعر

<sup>1</sup> الفكون، منشور الهدايا، ص54.

<sup>2</sup> سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص55.

<sup>3</sup> الفكون، منشور الهدايا... مصدر سابق، ص53.

بالضيق والحرّج من ابن النعمون حتى التجأ إلى الله في الدعاء عليه" فقد كان يترصدّ لي في كل حالاتي، غير أنني أعطيه الأذن الصماء، وأرجو من الله أن يهدم مناره"<sup>1</sup>، و لم يمنع هذا التنافس العائلي المزمّن التقارب والمصاهرة فيما بينها، فمحمد بن النعمون هو ابن أخت العلامة عبد الكريم الفكون (كما يذكر ابن الفكون في كتابه: منشور الهداية)، وأحمد بن باديس كان متزوّجا من أخت والد الفكون، وتزوّج شيخ الفكون من ابنة أحمد بن حسن الغربي والتي هي من بيوتات قسنطينة العريقة"<sup>2</sup>.

و إلى جانب الفتوى والقضاء والتعليم، احتكرت هذه العائلات لنفسها ممارسة التجارة التي كانت بمثابة عصب الحياة و النفوذ السياسي والاجتماعي لهذه النخبة الحضريّة بداخل المدينة وخارجها، فأسرة الفكون مثلا تحصلت على امتيازات عديدة من طرق السلطة السياسية الحاكمة ومنها الأراضي الزراعية الواسعة، فوائد سوق الفواكه والخضر، وفائض أوقاف الجامع الكبير وعشر ما يستورد إلى المدينة من البضائع كالزرايبي والخشب"<sup>3</sup> فضلا من إعفاء جميع أملاك العائلة من الضرائب والغرامات، مما جعل أسرة الفكون من الأسر الغنيّة بمدينة قسنطينة، و من جهة ثانية عرضة للحسد و مرمى السهام وغمز العيون.

##### 5-التواصل الحضاري بين الجزائر ومحيطها الجغرافي.

تشير الدراسات التاريخية أن الروابط بين الشعوب المغربية قوية وعريقة، فكل شيء بجمع بينهما فالعرق والجنس واحد، واللغة والعقيدة واحدة وكذلك التاريخ والحضارة كلها واحدة عبر كل مراحل التاريخ"<sup>4</sup>، أما القيم والاجتماعية والثقافية فلها تأثير في القيم الحضارية وتهيئة التفاعل الموحد، فوجود أسلوب معيشة متميّز ومشارك وحدوث تقارب في القيم الثقافية والحضارية بين البلدان المغربية قد وحدّ الإحساس المشترك بأهمية زيادة الترابط مما أدى إلى سرعة الاستجابة النفسية والعاطفية متمثلة في الرسائل والاتصالات التي كان يوجهها كل طرف للآخر"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الفكون، منشور الهدايا...مصدر سابق، ص58.

<sup>2</sup> نفسه، ص42.

<sup>3</sup> سعد الله، شيخ الإسلام عبد الفكون...مرجع سابق، ص54.

<sup>4</sup> خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ط2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص138.

<sup>5</sup> خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون...مرجع سابق، ص140.

إن تلاقح الأفكار وعقد المناظرات وتبادل الرسائل أدى إلى نوع من التحدي الفكري في رصيدهم العلمي في جانبها الفقهي بحيث أخذت عدة أشكال بسبب الظروف التي أحاطت بالمنطقة المغاربية ونخص بالذكر الاحتلال - الإسباني والبرتغالي - ووفود الأسر الأندلسية وتأثر المنطقة بالأفكار المذهبية والعقدية الآتية من المشرق الإسلامي<sup>1</sup>.

إن المنازعات السياسية بين بلدان المغرب الإسلامي كثيرا ما كانت سببا في هجرة العلماء للبحث عن الهدوء والاستقرار مثلما حدث لعلي بن عبد الواحد الأنصاري وأبي القاسم الزياتي، وخاصة أن مجالات العمل في الجزائر كانت مفتوحة أمامهم و من جهة ثانية، أن المغاربة كانوا يتخذون من الجزائر طريقا للحج بحرا وبرا وكان بعضا من هؤلاء يأتي إلى الجزائر في مهمات دبلوماسية، والبعض يمارسون التجارة أو يبتون المذاهب الصوفية بين الجزائريين، ومهما يكن من أمر، فإن هذه الحركة العلمية كانت بركة على الجزائر، فكل عالم كان مدرسة متنقلة ومكتبة مفتوحة، وحركتهم تشكل ما نسميه اليوم بوسائل الإعلام وتبادل الخبراء والكتاب.

كما تميز ثرائنا بمدونات العلماء الاعلام ومؤلفاتهم التي تناولت فنونا وعلوما مختلفة التي صورت لنا فقهاء وعلماء و متصوفة القرن 10هـ وطريقة نهلم لعلوم العصر من أفواه العلماء القرون الماضية وهي عبارة عن مكاتبات بين علماء وفقهاء تلك الفترة أو ما أصطلح عليه يآداب المراسلات سواء بين فقهاء البلد الواحد أو بين فقهاء وعلماء المغرب الإسلامي، فهي ذاكرة معرفية منصهرة في ذاكرة الأجداد وهي بذلك علاقة تكاملية روحية<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عمار بن خروف، العلاقات السياسية. بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ج1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، الجزائر، ص4.

<sup>2</sup> حمدادو بن عمر، عرفانية الخطاب من خلال رسائل علماء المغرب الأقصى والأوسط، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص11.

أولاً: مع المملكة المغربية

تميّزت العلاقات الجزائرية المغربية بالصراع والاضطراب السياسي في كثير من الفترات التاريخية سواء الفترة التي أعقبت الوجود العثماني بالجزائر، أو من خلال تعاقب الأسرات المغربية الحاكمة (الوطاسية- السعدية)، فكان القرن 10هـ/16م متميّزاً بالعلاقات المتقلّبة بين حكامها، حيث كانت تميل تارة إلى السلم والتعاون، وتارة أخرى إلى التوتر والقطيعة، بسبب سياسة الحكام العثمانيين والأسر المغربية الحاكمة، فحكام الجزائر وخاصة منهم البلربايات كانوا يعملون على تحقيق مراميها وأهدافها على ضوء السياسة العثمانية الخارجية وميزان العلاقات الخارجية والدولية<sup>1</sup>.

و من أبرز هذه العلاقات و الحركية العلمية و الثقافية يمكننا أن نذكر:

أ/ تبادل الزيارات واللقاءات بين الطلبة والعلماء والمرابطين وغيرهم من الفئات الاجتماعية و من بين هؤلاء العلماء الأعلام نذكر:

1- سعيد قدورة: ت1066هـ/1665م ودفن بزاوية الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري.

هو العالم الزاهد المدرس المتفّن كان أيضا يخلط العلم بالتصوف، كان يدرس لطلابه كتب ابن عطاء الله كما كان يدرس لهم صحيح البخاري ورسالة القيرواني وسلم الأخصري وصغرى السنوسي. أنفرد العلامة سعيد قدورة بالإفتاء أواسط سنة 1028هـ، وظل في هذا المنصب إلى وفاته سنة 1066هـ، وورث هذا المنصب لولديه محمد وأحمد من بعده، وتدرج في الوظائف من إمام جامع البلاط، إلى خطيب جامع سيدي رمضان، إمام وخطيب ومدرس الجامع الكبير، مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الأخير وقد انتفع به جمع غفير من الناس، وكان محترماً عند الباشوات لدرجة أنهم كانوا يقفون له إجلالاً وقد انتفع به جمع غفير من الناس.

<sup>1</sup>عمار بن خروف، العلاقات السياسية. بين الجزائر...، مرجع سابق، ص6.

ترك العالم سعيد قدورة عدد كبير من المؤلفات نذكر منها:

- شرح خطبة مختصر خليل في الفقه.
- \*حاشية على شرح اللقائي لخطبة خليل.
- \*شرح النوازل التلمسانية.
- \*رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو.
- \*شرح المنظومة الخزرجية في العروض.
- \*حاشية على شرح صغرى سنوسي.
- \*شرح على سلم المرونق في المنطق.

## 2- العالم الشيخ عبد الواحد الأنصاري السجلماسي<sup>1</sup>:

رحل إلى مدينة فاس العاصمة العلمية في المغرب الإسلامي وأخذ عن علمائها من أبرزهم عبد الله بن طاهر الحسني، ابن أبي بكر الدلائي. درس الموطأ، رسالة القشيري، رسالة مختصر خليل، ابن الحاجب وأخيرا استقر بمدينة الجزائر بعدما زار مدينة تلمسان، درس طلابه أصول الدين والبيان والمنطق والنحو ومصطلح الحديث والسيرة النبوية المطهرة والتصوف. توفي سنة 1057هـ/1648م.

ترك الأنصاري العديد من المؤلفات و الشروح نذكر منها:

\*ألف منظومة في أكثر من ألف بيت في السير و الشمائل النبوية سماها: الدرّة المنيفة في السيرة الشريفة.

\*شرح نخبة لأبن عاصم.

\*كفاية الطالب النبيل في حل ألفاظ مختصر خليل.

<sup>1</sup> هو علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي المعروف بالفيلالي، شارك في الحياة العلمية ولا سيما التدريس وكان من علماء المغرب الشقيق، أستوطن الجزائر خلال القرن السابع عشر الميلادي، قربه الباشا"الباشا يوسف"، انطلقت دروسه بمدينة الجزائر في عدة علوم و كان آية باهرة في جميع العلوم منها: أصول الدين، المنطق، النحو، البيان، الفقه، مصطلح الحديث، كما كان يدرس كتاب: "الشفاء" للقاضي عياض و"البردة" للبيصيري. أنظر: معجم المؤلفين-تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي... مرجع سابق، ج5، ص103.

\*المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية.

\*منظومة جامعة الأسرار في قواعد الإسلام الخمس.

\*أرجوزة في العقائد والأشباه والنظائر سماها: المواقيت الثمينة فيما انتمى لعلم المدينة.

\*عقد الجواهر في نظم النظائر.

\*نظم بعنوان: مسالك الوصول إلى مدارك الأصول.

3- العالم الشيخ أبو القاسم الزياني. ت. 1249هـ/1833.

هو بن محمد بن علي بن ابراهيم، الزياني من قبيلة زيان بنواحي فاس ولد سنة 1147هـ وبعد ثورة أنقاد ضد الحكم القائم بمدينة وجدة لجأ إلى مدينة وهران ثم إلى تلمسان وقضى مدة بين علمائها ثم قصد مدينة الجزائر بعدما أكرمه أهلها وحكامها ، غير أنه ما لبث أن عاد إلى بلاده المغرب وتوفي بها.

4- العالم خليفة بن حسن القماري<sup>1</sup>. ت. 1309هـ-1891م.

- من علماء الجزائر الذين اعتنوا عناية خاصة بالفقه المالكي بفضل ركب الحج المغربي الذي كان يسلك طريق الصحراء في ذهابه وعودته، و ملاقاته لبعض علماء فاس وعلى رأسهم عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي الذي لقي العالم خليفة بن حسن بمدينة بسكرة أثناء توجهه الفاسي إلى الحج، فقد سماه هذا الأخير ب: الفقيه الفاضل، الجامع لأشتات الفضائل، المشارك المتقن، البارع المتفطن، ذا الخلق الحسن، سيدي خليفة بن حسن. ومن خلال هذا النص نستنتج الصلة العلمية التي كانت تربط علماء المغرب والجزائر على وجه الخصوص.

<sup>1</sup> هو أحمد بن عبد الله القماري السوفي الشهير ب "دغمان". ولد بقريّة "غمار" في وادي سوف وإليها نسبته. وله:

- الإجابة بحسم خلاف أسوأ السوأى في الكتابة. ، أنظر: عادل نويهيض، معجم أعلام الجزائر... مرجع سابق، ص 27.

5- محمد بن أحمد الوقاد. ت. 1001هـ/1593م.

أديب وفقه عارف بالتفسير والحديث، ولد وتعلم ونشأ بتلمسان وبعد دخول العثمانيين إليها غادرها واستقر مدة من الزمن بمدينة بسجلماسة ثم انتقل إلى مدينة مكناس ثم مدينة فاس ثم ترودانت<sup>1</sup>، ويعتبر "الوقاد" أول عالم قرأ صحيح البخاري بجامع ترودانت قراءة ضبط وإتقان وخطب فيها ببراعة اللسان، وأول من أحيا بها ليلة المولد النبوي الشريف وقرأ القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

6- احمد المقرئ: 986هـ/1587م-1041هـ/1631م.

هو محمد بن يحيى أبو العباس المعروف بالمقرئ التلمساني ولد بمدينة تلمسان نشأ وتعلم بها ثم انتقل إلى مدينة فاس وحضر مجالس علماء المدينة في جامع القرويين ثم انتقل إلى مراكش فقربه إليه الخليفة "المنتصر السعدي"<sup>2</sup>، ثم عاد إلى مدينة فاس مرة ثانية 1022هـ واسند إليه خطة الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين فكانت أزهى سنواته عطاء وخدمة للعلم، ثم انتقل إلى المشرق يجوب بلدانها وينشر ما أهابه الله له من علوم.

7- أحمد بن قاسم البوني: 1063هـ/1653م-ت 1139هـ/1726م.

هو أبو العباس احمد بن القاسم ساسي التميمي البوني، يعد من الشخصيات متعددة الثقافة ورسوخ قدمه في الفقه المالكي و الحديث النبوي الشريف. نشأ في أسرة ميسورة الحال طالب العلم منتقلا بين المغرب وتونس والمشرق ومصر والتقى بعلمائها الذين لازمهم وأخذ عنهم مثل الشيخ عبد الباقي الزرقاوي، الخرشي، خليل، اللقاني. رجع إلى عنابة وعمل على نشر ما تعلم وكان بذلك مقصدا للطلاب و العلماء منهم عبد القادر الراشيد بالقسنطيني. كانت له مراسلات مع الباشا محمد بك داشوالباشا حسين خوجة الشريف، كما نزل عنده العلامة الجامعي الذي أخذ عليه وطلب منه الإجازة ووصفه

<sup>1</sup> تعتبر مدينة ترودانت من أعرق المدن المغربية بمنطقة سوس ويرجع تاريخها إلى العهود الفينيقية واشتهرت كمركز حضاري وتجاري، واكتست المدينة أهمية بالغة خلال الفترتين المرابطين و الموحديين حيث اعتمدت كقاعدة عسكرية لمراقبة منطقة سوس وضمان استقرار الطرق التجارية الصحراوية. ضعف دور ترودانت خلال حكم السعديين حيث أضحت المدينة مجالا للنزاعات المحلية حتى قيام الدولة العلوية إذ دخلها المولى الرشيد سنة 1669هـ-1670م. أنظر: موقع وزارة الثقافة المغربية [WWW.MINCULTURE.GOV.MA](http://WWW.MINCULTURE.GOV.MA).

<sup>2</sup> هو أبو عبد الله بن محمد الشيخ الملقب بالمهدي سلطان الدولة السعيدية، حكم بين سنتي 1540-1557م بعدما تمكن من القضاء على دولة الوطاسيين ثم استولى على مدينة تلمسان 1551م. اعتنى بالعلم منذ صغره وتعلق بأهله، فأخذ عن جماعة من الشيوخ وبلغ فيه درجة الرسوخ حتى كان يخالف القضاة في بعض الأحكام و يرد على فتوَاهم، كما كان أديبا وحافظا وكان يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب.

بأوصاف تدل على مكانته، وقد ترجمه في رحلته المسماة: "نظم الدرر المديحة في محاسن الدولة الحسينية" قائلاً: "...دل على فرحه بملاقاتي مبالاته واعتناؤه فحي طلق المحيا وأنزلني بمنزل الإكرام أضيافة مهياً فأقمت عنده ينزهنى كل يوم في رياض تأليفه الحديثه وغيرها".<sup>1</sup>

وصفه أبو القاسم سعد الله بقوله: "كان فقيها مطلعاً علامة محدثاً مسنداً مرجوعاً إليه في الفتوى مقصود لحل المشاكل العويصة مشهوراً بالخير معروف الفضل مقصده للناس".<sup>2</sup>

و من مصنفاته:

- فتح الإغلاق من وجوه مسائل خليل بن إسحاق.

- الهام من الانتباه في رفع الإيهام والاشتباه.

- الإعانة على بعض مسائل الحصانة.<sup>3</sup>

ب/ **تنقل المغاربة أفراداً وجماعات:** انتقل العلماء المغاربة بصفة دائمة أو مؤقتة في هذا البلد أو ذاك وأثناء دراسة الحركة العلمية والفكرية لدى دول المغرب الإسلام نقف على ذلك التواصل والتأثير بين علماء المنطقة الذين قدموا واستقروا بالجزائر ولعبوا دوراً في رسم الصورة الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية ومن هؤلاء نذكر:

#### 1- الشيخ العالم "محمد بن علي الخروبي":<sup>4</sup> ت. بالجزائر سنة 963هـ. / 1555م:

نزىل الجزائر حيث سكن بها وطابت فيها إقامته، تولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر، له كتب عديدة واعتنى إعتناءً مثيراً بالتفسير والتصوف، ركز في مؤلفاته على الأذكار والأوراد، وخصص جهده للتأليف والدعاية لصالح الطريقة الشاذلية وعلوم التصوف، واكتفى بالمناظرات والنقاشات التي تجري على مستوى المساجد والزوايا، تناول فيها المواضيع الفقهية والشرعية. ذهب الشيخ الخروبي إلى

<sup>1</sup> عبد الوهاب منصور، أعلام المغرب العربي، ج6، المطبعة الملكية، المغرب، 1998، ص227.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج3، مرجع سابق، ص227.

<sup>3</sup> عبد الوهاب منصور، أعلام المغرب العربي...، ج6 مرجع سابق، ص228.

<sup>4</sup> هو أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي، محدث، صوفي، ولد بقرية فرقارش من قرى طرابلس الغرب، ونشأ بالجزائر وولي الخطابة بها. دخل المغرب سنة 959هـ سفيراً من قبل سلطان آل عثمان وبين أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني. توفي بمدينة الجزائر سنة 1555م. وله:- رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس. شرح صلاة ابن مشيش. - الأوس في التنبيه عن عيوب النفس. - مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس. أنظر، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص167.

المغرب في شأن الحدود بين البلدين بعد أن هاجم السلطان محمد الشيخ تلمسان حيث أرسله صالح باي سنة 1552م على رأس سفارة عثمانية إلى المغرب لعقد سلام بين محمد الشيخ السعدي والأثراك العثمانيين ليتفق معه على الحدود، ويعمل على التوصل إلى التحالف بين القوتين، وهذا يدلنا على مكانة الشيخ الخروبي لدى العثمانيين. قام الشيخ الخروبي بعدة أسفار إلى المغرب، حيث زار فاس ومراكش، وأخذ عنه علماء المغرب وكانت هذه الصلات والمناظرات والنقاشات تجرى على مستوى المساجد والزوايا وتتناول المواضيع الفقهية والشرعية بشكل خاص.

## 2- أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري:

ينتسب لسعد بن عبادة السجلماسي الجزائري. نشأ بسجلماسة ثم أرتحل إلى فاس، وأخذ عن بعض مشايخها "عبد الله بن طاهر الحسني بن أبي بكر الدلائي. قرأ عليه البخاري نحو إحدى وعشرين مرة، والشفاء والموطأ ورسالة القشيري والتتوير والحكم، وعن أبي عباس أحمد المقرئ قرأ عليه الموطأ والرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وغير ذلك، ثم سافر إلى الحجاز بعد الأربعين من العمر فأخذ عن الغنيمي والأجهوري، ودخل مصر سنة 1043هـ وقرأ بها ثم عاد إلى المغرب واستقر بمدينة الجزائر وتصدى لإفادة طلبته، وتأليفه كثيرة غالبها نظم في فنون مختلفة، وله شرح على الأجرومية، وتحفة بن عاصم، وشرح الدرر اللوامع لأبن بري، وكتاب اليواقيت الثمينة في الفقه، وله مؤلف في تفسير القرآن، وتأليف في رجال البخاري... وغيرها.

استقر العديد من العلماء و الزائرين المغاربة المدن الجزائرية و منها على وجه الخصوص مدينة الجزائر مثلا العالم الجليل الفقيه والنحوي عبد الواحد بن محمد اللمطي الميموني المكناسي واستقر بها إلى أن توفي بها سنة 988هـ/1580م.

ت/هجرة الجزائريين إلى المغرب، و من أبرز هؤلاء العلماء نذكر منهم:

1-علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن المطغري التلمساني: ساهم في تكوين وإجازة عدد كبير من الطلبة والعلماء بفضل نشاطه العلمي و دروسه بالقرويين التي ضاقت بالحاضرين، وبلغ صيته و شهرته الآفاق وحضر جنازته السلطان فمن دونه<sup>1</sup>.

2-أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني: من كبار فقهاء المالكية، انتقل إلى مدينة فاس سنة 968هـ واشتغل بالتدريس وأخذ عنه عدد كبير من العلماء المغاربة من أمثال محمد بن علي المشهور بابن عسكر الحسني الشفشاوني الذي وصفه بأنه: "رجل من فحول العلماء، كبير الهمة عزيز العلم، كريم السجية له نفس أبية، وهمّة عالية وشجاعة وإقدام".

3-علي بن عيسى الراشدي: من فحول علماء تلمسان الذين استوطنوا المغرب و برعوا في تدريس القواعد واللغة والأدب والقراءات السبع فأفاد بها الكثير من الطلبة واسند إليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء وكان له الفضل في تقريب علم القراءات إلى الطلبة المغاربة و علمائها ومنهم أحمد المنجور<sup>2</sup>.

4- محمد بن عبد الرحمن بن جلال أبو عبد الله التلمساني. توفي 981هـ : انتقل إلى مدينة فاس على عهد السعديين، نال الحظوة بفضل مكانته و بروزه في علم الكلام والفقه والمنطق والعقائد وعلم البيان، فولوه خطط الفتوى والإمامة والخطابة.

ث/ المراسلات بين العلماء في البلدين ونذكر منها:

1-مراسلات محمد بن علي الخروبي مع خواص أهل فاس، ومراكش.

<sup>1</sup>الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف...مرجع سابق، ص271.

<sup>2</sup>عادل النويهض، مرجع سابق، ص72.

2-مراسلات أحمد الورنيدي التلمساني، المعروف بابن الحاج، والإمام محمد بنغازي، كبير علماء فاس في مختلف المسائل مع مطلع القرن العاشر الهجري<sup>1</sup>، وقد كان كل واحد يلغز لصاحبه بالمسائل نظما، ويجيبه صاحبه بالنظم.

3-مراسلات أبي العباس أحمد بن القاضي،"صاحب حذوة الاقتباس من المغرب" وسعيد المقري التلمساني،طلب فيها أحمد بن قاضي من الأستاذ العالم المذكور الإجازة العامة من مروى ومقروء ومجاز ومسموع، مع ذكر مشايخه الأعلام سنة1009هـ/1600م، ولبي العالم سعيد المقري طلبه.

-مراسلات المرابطين والمتصوفة فيما بينهم حول القضايا الدينية و نشر الطرق الصوفية بين المغرب و الجزائر على أوسع نطاق وهي غالبا امتداد للطرق المنتشرة بالمغرب ومنها: القاديرية، الدراوية، الشاذلية، الجزولية، الزروقية، اليوسفية، وغيرها من الطرق الصوفية.

-مكاتبة علماء المغرب للشيخ الفكون عن"خارجية احمد الفاسي" و هو من المغاربة الذين تعاطوا التدريس بمدينة قسنطينة واشتهر بفصاحة لسانه و تعاطيه الشعر ولكنه فيما بعد أصبح يتعاطى شرب الدخان مع الأشرار ونثر الأشعار ومدح البندار و المزهر(عود الغناء) و الطار وذكر سلافة الخمار، و يبلغ في مدحها ويستظهر على ذلك بأشعار وقعت من الصوفية<sup>2</sup> ويذكر شيخ الفكون أن علماء و فقهاء المغرب راسلوه في الرجل(أحمد الفاسي) وبفساد عقيدته، وأنه خارجي المعتقد وأن أشعاره تدلّ على بغضه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>3</sup>.

نال العلماء المغاربة في الجزائر، ولاسيما العلماء الجزائريون في المغرب بفضل نشاطهم العلمي وجهودهم في المجال الثقافي احتراما وتقديرا عاليا لدى عامة الناس، وحظوة كبيرة لدى السلطات

<sup>1</sup> أدت وحدة طرق التدريس في البلدين إلى نظرات علماء البلدين في قضايا عصرهم الفكرية والاجتماعية والدينية تكاد تكون متماثلة ومتقاربة إلى أبعد حدود، فمثلا وجهات نظر علماء البلدين في قضية التبغ التي أثرت في البلدين في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي،فالعالم الجزائري عبد الكريم الفكون صاحب كتاب: "محدد السنن في محور إخوان الدخان"، وأبي العباس أحمد المقري، والعالم المغربي عبد الرحمان التامنارتي صاحب كتاب:"الفوائد" والعالم عبد الرحمان بن محمد الفاسي، قالوا بتحريمه، وأبو رأس الناصري فقد ذكر: "أنها تحرم بسبب عدة عوارض ومنها، إدارتها على الجلاس كإدارة الخمر، فيسري لهم التشبه بشربه، ويكون لها منادمة كهو، ومنها: جلب الأراذل وتلاهيهم بها"، كما أن توافق وجهات علماء البلدين ظهر جليا في موقفهم الراض و المنتقد للبدع وأدعياء التصوف والولاية الذين كثر عددهم في القرن المذكور، أنظر:عبد الكريم الفكون:"-محدد السنن في محور إخوان الدخان، الورقة 2.

<sup>2</sup> ابن الفكون، منشور الهدايا...مصدر سابق، ص100.

<sup>3</sup> نفسه، ص101.

البلدين، وقد استفاد الكثير من علماء المغاربة من هؤلاء العلماء المقيمين في المغرب ونذكر شهادة العلامة أحمد المنجور<sup>1</sup> بقوله "... جميع ما أخذته على شيخنا الإمام الفقيه الأستاذ النحوي الأديب الناظم الناثر الخطيب المفتي أبي محمد عبد الواحد الونشريسي، وعن والده الفقيه الأستاذ الكبير النوازلي الحافظ المحصل المتفنن أبي العباس أحمد بن يحيى... وحدثته أيده الله -يعني السلطان أحمد المنصور- بتي آليف الشيخ الإمام المحقق الراسخ الصالح ولي الله تعالى أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، عن شيخنا الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد اليسيتيني، عن شيخه الإمام المتفنن الزاهد أبي زكريا يحيى السنوسي عن شيخه الإمام الصالح الموحد أني عيد الله محمد بن أبي مدين من أجل تلامذة الشيخ السنوسي، أكب بعد موت الشيخ على تعليم عقائده يأخذها عنه الناس رواية إلى أن توفي<sup>2</sup>"

خ/ تبادل الآراء والأفكار والمعارف بين العلماء. تبادل علماء المغرب الإسلامي مع مختلف الفئات الاجتماعية مما أدى إلى تدعيم الروابط الاجتماعية والثقافية، وظهر ذلك جليا في وحدتهما المذهبية، والطرقية، واللغوية، والثقافية، والفكرية، وتبرزت هذه الروابط رغم الأزمات السياسية بين البلدين، مع وجود وحدة الكتب المشتركة سواء في الفقه أو الحديث أو النحو أو البلاغة أو العروض أو التوحيد أو القراءات التي يعكف على دراستها الطلاب في المغرب والجزائر نذكر منها<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> أحمد المنجور ولد 1521/929م وتوفي في ذي القعدة 995هـ/ 1587م بفاس. ترك ثلاثة عشر كتابا نذكر منها: 1/ نظم الفرائد لمحصل المقاصد. وهو شرح لقصيدة أحمد بن زكري التلمساني.

<sup>2</sup> فهرس أحمد المنجور، للتأليف والترجمة والنشر-سلسلة الفهارس- تحقيق محمد حجي أستاذ بكلية الآداب الرباط، المملكة المغربية، 1976/1396، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ص12. الفهرس أو الفهرست أو الفهرسة، عبارة عن كتاب يذكر فيه المؤلف شيوخه أو ما قرأه عليهم من كتب، وأسانيدهم في تلك الكتب مروية عن شيوخهم بتسلسل إلى مؤلفي تلك الكتب أو واضعي العلوم وأئمة المذاهب. وتعد الفهارس من أهم الكتب وأطرافها، فهي تقدم لكيفية خاصة صورة حياة لثقافة المؤلف وروافدها، وتبين كيفية عامة حالة الثقافة في عصره معرفة برجال العلم ونشاطهم في التدريس والتأليف. - في الفهرس نتعرف على أحمد المنجور طالبا مجدا في مدينة فاس، ينتقل من حلقة عالم إلى أخرى في القرويين والمدارس التابعة لها، أو في جامع الأندلس والأشراف ومساجد صغرى هنا وهناك في العدوتين، من طلوع الفجر إلى ما بعد العشاء الأخيرة، طوال عشرين سنة ونجدة يقرأ علوم القرآن والحديث، والفقه، والنحو، والبلاغة، والأدب، والمنطق، والحساب، وبذلك نلتقي بعالم مكتمل المادة مشارك بكامل معنى المشاركة بم تكوينه في فاس وحدها، ولم يأخذ عن غير المغاربة إلا بعض الطارئين على فاس من علماء الأندلس، وتونس، وهران، وتلمسان.

<sup>3</sup> عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر، مرجع سابق، ص136.

صحيح البخاري، وشروح كثيرة عليه في الحديث، رسالة بن أبي زيد، ومختصر خليل في الفقه، مختصر ابن الحاجب، وجمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه، عقائد السنوسي في التوحيد، وحكم ابن عطاء الله في التصوف، كانت الكتب المذكورة متداولة لدى علماء البلدين<sup>1</sup>، ألفية ابن مالك والأجرومية في النحو، تلخيص المفتاح لمحمد القزويني، والجواهر المكنون للأخضري في البلاغة، والخزرجية في العروض. والسلم المرونق للأخضري في المنطق، التلمسانية في الفرائض و من أمثلة هذا التواصل نذكر:

إن مدينة مازونة من بين المحطات العلمية المحلية الهامة التي مرّ بها العديد من علماء الجزائر أثناء رحلاتهم العلمية نحو فاس و القيروان بتونس، و من الأمثلة على ذلك حصول الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي بن محمد المشهور بالكتروسي إستدعاءً كتابيا من فاس 1240هـ / 1827م من طرف الشيخ محمد التهامي بن رحمون العلمي الحسني الإدريسي ت 1263هـ / 1847م ، وكان عالما مسنّداً أخذ عن جماعة وافرة من أهل المغرب والمشرق ومما ورد فيه " وليكن في كريم علمك أنني اطلب من سيادتكم إجازة تامة شاملة مطلقة عامة في جميع ما لديك من العلوم والأسرار والفهوم والطرق الصوفية والأحاديث و المسلسلات إلى خير البرية تيركا بسندك العالي"<sup>2</sup>، فكانت هذه الرسالة دليلا على ذلك التواصل الفكري الثقافي الذي جمع علماء مازونة بأقرانهم في المغرب الأقصى، ويفسر كذلك حركة العلماء وتقلّباتهم بين المراكز العلمية المحلية والخارجية.

<sup>1</sup> أدت وحدة طرق التدريس في البلدين إلى نظرات علماء البلدين في قضايا عصرهم الفكرية والاجتماعية والدينية تكاد تكون متماثلة ومتقاربة إلى أبعد حدود، فمثلا وجهات نظر علماء البلدين في قضية التبغ التي أثّرت في البلدين في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، فالعالم الجزائري عبد الكريم الفكون صاحب كتاب: "محدد السنان في نحور إخوان الدخان"، وأبي العباس أحمد المقرّي، والعالم المغربي عبد الرحمان التامنارتي صاحب كتاب: "الفوائد" والعالم عبد الرحمان بن محمد الفاسي، قالوا بتحريمه، وأبو راس الناصر فقد ذكر: أنها تحرم بسبب عدة عوارض ومنها: إدارتها على الجلاس كإدارة الخمر، فيسري لهم التشبه بشربه، ويكون لها منادمة كهو، ومنها: جلب الأراذل وتلاهيهم بها"، كما أن توافق وجهات علماء البلدين ظهر جليا في موقفهم الراض و المنتقد للبدع وأدعياء التصوف والولاية الذين كثر عددهم في القرن المذكور، أنظر: عبد الكريم الفكون: "محدد السنان في نحور إخوان الدخان، الورقة 2.

<sup>2</sup> لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1245-924/1518-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2006/2005، ص150.

أما بتلمسان فكان جل علمائها وجهتهم الأولى مدينة فاس العلمية نظرا للقرب الجغرافي والتواصل التاريخي بين المدينتين أدى إلى بروز صلة علمية مشتركة بينهما من خلال البيوتات العلمية نذكر منها أسرة ابن مرزوق التلمساني، أسرة العقباني<sup>1</sup>، التي ظلت مدينة تلمسان تتخرج من مدارسها رغم ما حلّ بالمدينة من تهيش وإقصاء خلال العهد العثماني.

و من جهة أخرى، لم تشتهر قسنطينة بمدارسها أو مراكزها العلمية فقط، بل بمستوى علمائها وشهرتهم التي فاقت الآفاق وأصبحوا مقصد وقبلة الكثير من الطلبة والعلماء لأخذ الإجازة في العلوم التي برعوا فيها وأتقنوها، ونذكر على سبيل المثال:

1- أبوزكرياء يحي بن محمد الفكون الجد (ت. 941هـ/1535م)، وهو أسنُّ من الشيخ الوزان إلا انه عاصره وكان من تصدر لإفتاء ثم قاسم الفكون (ت. 965هـ/1557م) الذي تولى القضاء في زمن الشيخ الوزان الذي كان من شيوخه، وكان لقاسم الفكون تصانيف شتى<sup>2</sup>، وأشهر علماء هذه الأسرة عبد الكريم الفكون الذي وصلت في عهده هذه الأسرة إلى أوجّ وجاهتها وتفوقها، فقد اسند إليه الإمامة والخطابة باعتباره شيخ الإسلام بالجامع بقسنطينة خلفا لأبيه (1045هـ/1635م)، ثم عهد إليه بمهمة قيادة ركب الحجيج التي توارثتها أسرته، وعرف عنه بمعداته للبدع والسلوك غير السوي مثل التدخين والرشوة والتذلل للحكام وله عدة تصانيف كان أبرزها في نقد الوضع القائم "منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية"<sup>3</sup>.

2- أبو العباس حميدة بن باديس. توفي سنة 959هـ/1551م ينتمي إلى أشهر بيوت العلم بقسنطينة وامتاز أهل هذه الأسرة التي بلغ عددها أربعون عالما بالعلم و التقوى و التّبحر في العلم، وكان أبو العباس من أشهر قضاتها وأكثرهم توغلا في الفقه و علوم الآداب"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> قاسم بن سعيد بن سعيد بن محمد العقباني، ثاني العقبانيين العلماء الخمسة وأولهم أبوه سعيد والثالث والرابع ولداه أحمد و ابراهيم والخامس حفيده القاضي محمد، وتولى هؤلاء منصب القضاء والإفتاء والمناصب الرسمية بالإضافة إلى المساهمة في الحياة الفكرية و العلمية. أنظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار البصائر، ط خاصة، 2009، ص33.  
<sup>2</sup> عبد الكريم الفكون، منشور الهدايا... المصدر السابق، ص ص 41-43.  
<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 353.  
<sup>4</sup> توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، الجزائر، م. و. ك.، 1986، ص62.

3- عمر بن محمد الكمادي الأنصاري القسنطيني. توفي سنة 960هـ/1553م عرف بالوزان، وقال عنه المنجور في فهرسته: "هو الفقيه العالم الكبير المتفنن المحقق الراسخ الصالح أبو حفص كان آية يبهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول من عباد الله الصالحين"<sup>1</sup>، أخذ عنه جمهور كبير من الطلبة و العلماء نذكر منهم الشيخ اليستي محمد بن احمد، عبد الكريم الفكون، أبي الطيب البسكري، يحي بن سليمان. ترك العالم الوزان مجموعة كبيرة من التآلف منها: البضاعة المزجاة في الطواع و الموافق- فتاوى في الفقه و الكلام- تعليق على قول خليل"<sup>2</sup>

إضافة إلى أسر علمية أخرى كان لها دور كبير في الحركة العلمية نذكر منها: مثل آل بن باديس، آل بن نعمون، وغيرها من الأسر العريقة، ولم يتوقف نشاط هؤلاء المشايخ الكبار عند حد تلقين العلوم التي برعوا فيها، بل حاولوا منع الهجرة في وسط الشباب حيث يقول عبد الكريم الفكون، أن صديق العائلة أبو عبد الله محمد المشهور الموهوب بن أبي عبد الله محمد بن علي، أقتعه بالعدول عن فكرة الهجرة بقوله: "يفر المرء من موطنه لما يناله من المناكر والظلم ونحوهما إلى وطن آخر يسمع عنه انه أسد وأصلح فينتقل إليه فيجده أسوء حالا من المكان الذي جاء منه و لا يزال كذلك بين الطرقات حتى يأتيه الموت وهو على ذلك الحال"<sup>3</sup>، مع العلم عبد الكريم الجد مات في المهجر بالمسجد العتيق بتونس و هو يقدم درسا في الفقه المالكي على اثر حملة شارلكان سنة 1535م/941هـ"<sup>4</sup>.

و بناء على ما سبق، تحولت هذه المراكز العلمية إلى حواضر للعلماء و الطلبة على حد سواء و بالتالي إلى مناطق تبادل علمي وحضاري بين مختلف علماء و طلبة المغرب الإسلامي منها تنتقل وفيها تجتمع الأفكار و المؤلفات و الفتاوى.

<sup>1</sup> أحمد بابا التتمكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف و تقديم، عبد الحميد عبد الله الهدامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989، 307.

<sup>2</sup> أحمد بابا التتمكتي، نيل الابتهاج.... مصدر سابق، ص307.

<sup>3</sup> عبد الكريم الفكون، منشور الهدايا... المصدر السابق، ص ص 200-201.

<sup>4</sup> عبد العزيز الفيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، م. ف. م. الجزائر، 2002، ص325.

- ثانيا: تونس.

تميّزت العلاقات بين الجزائر وتونس بالتوتر والصراع السياسي في أغلب الفترات التاريخية على غرار العلاقات بين الجزائر والمملكة المغربية بسبب الخلاف القائم بين بايات الجزائر وتونس، إذ كان باي تونس في شبه تبعية لداي الجزائر، وكان هدف باي تونس هي الخروج من تلك التبعية بكل الوسائل، كما تعتبر قضية الحدود أو التحويم الجزائرية والتونسية من أهم العوامل التي أثرت في العلاقات الرسمية والشعبية بين البلدين<sup>1</sup>.

عبر بن أبي ضياف عن هذه الحساسية بين البلدين بقوله: "...إلا أنه يقصد علي باشا" عاش منغصا من مداراة الولاية في الجزائر وقسنطينة... وتحت أيديهم زبون عليه من آل بيته... وقاسى أهل المملكة من جورهم وعسفهم ما لا تحتمله النفوس البشرية، وقاسى هو من غلظة لرسلمهم، ما يزهد في اللذة الملكية".<sup>2</sup>

فحدود إقليم قسنطينة لم تكن ثابتة ومرسومة، فكانت محددة بشريا أكثر منها سياسيا، فأوطان القبائل والعشائر الموالية والخاضعة لهذا النظام أو ذاك تعد ضمن مجال السيادة<sup>3</sup>

وعلى غرار الحدود المغربية الجزائرية في الغرب، وجدت مصاهرات بحكم وجود قبائل تمتد على رقعة جغرافية تتداخل بين حدود البلدين تونس والجزائر، ولعل أهمها قبيلة الحنانشة<sup>4</sup> المشكلة من ثلاثة فروع رئيسية وهي: هواره، والهاللية، وعرب بني سليم والتي تمتد من مدينة تبسة إلى سوق أهراس ثم إلى

<sup>1</sup> عمار بن خروف، العلاقات... مرجع سابق، ص135.

<sup>2</sup> ابن أبي ضياف احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد أهل الأمان، "دولة أحمد باي"، تحقيق: أحمد بين عبد السلام، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1971، ص24.

<sup>3</sup> عمار بن خروف، العلاقات السياسية... مرجع سابق، ص137.

<sup>4</sup> يرى ابن خلدون أن قبيلة الحنانشة نسبة إلى الجد حناش المنحدر من قبيلة هواره البربرية، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1983، ص405، وذهل فيرو بقوله: إن الديانة اليهودية انتشرت في قبيلة الحنانشة، وأن فرعا من هذه القبيلة قدم مساعدات هامة للسلطة الفرنسية أثناء توسعها بقيادة فارس منهم هو يهودي الأصل.

عناية ومنها إلى قلعة سنان وجبل مسيد إلى الجنوب وادي مجردة وإلى جبل قلاله ودقمة وسلسلة كاف مسخوط وسلسلة الزعرورية وجبل تليس.

وساعدت قبيلة الحناشنة على زيادة نفوذها عامل المصاهرة خاصة مع بايات تونس، ومن ذلك أن الشيخ ابن منصر زوج ابنته لعلي باي تونس<sup>1</sup> وعقد حلفا مع قبيلتي الشابية والنمامشة وبفضله تمكن باي تونس من بسط نفوذه على تخوم تونس، وساعد التداخل الاجتماعي على التفاعل الثقافي بين البلدين، فاحتلت الطريقة مكانة هامة في البلدين، إذ كان لها دور فاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية.

وكانت الطريقة الرحمانية والقادرية والطيبية والتيجانية والزانية أكثر انتشارا في معظم المناطق الشرقية الجزائرية، إذ كانت منتشرة في عين البيضاء والطولقة ونفطة والكاف وتماسين وجرجرة، بينما كانت الزوايا الموجودة في المنطقة تقوم بدورها الثقافي والعلمي وفض النزاعات وتوفير الأمن في التنقل، و رغم الفتور السياسي و صعوبة الظروف الاقتصادية إلا أن هذا لم يمنع علماء الجزائر من التوجه نحو تونس و بروزهم في مختلف العلوم النقلية و العقلية و نذكر منهم:

1- أبو المهدي محمد بن احمد بن عامر الجعفري الثعالبي. توفي 1080هـ/1669م. يعتبر من

كبار المحدثين المالكية. أخذ علومه الأولى على يد سعيد قدورة قبل أن ينتقل إلى تونس، وساهم في

نشر العلوم التي تلقاها على يد شيوخه بتونس وترك لنا عدة مؤلفات نذكر منها:

<sup>1</sup>Féraud. Les Harar.seigneur des hanancha.R.A.1874.p30.

- كنز الرواة.
  - درر المجاز وبقاقت المسموع. في أسماء شيوخه و التعريف بهم.
  - تحفة الأكياسفي حسن الظن بالناس.
  - مشارق الأنوار في بيان فضل الورع من السنة وكلام الأخيار.
- 2-عاشور بن عيسى القسنطيني: توفي1074هـ/1664م. يعد من علماء المالكية، عرف بالترحال في الأقطار الأفريقية ومنها السودان، ثم استوطن تونس وأخذ عنه جماعة من الشيوخ ومنهم: الشيخ محمد قويسم ومحمد الحجيج، ومن آثاره نذكر:
- أعمال الفكر في ضبط لفظة القسطلاني وأبي بكر.
- 3-عزوز بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي: توفي 1282هـ/1768م متوفي سنة1282هـ/1768م، رحمانى الطريقة بث الطريقة الخلواتية بتونس وأسس زاوية بنفطة وأصبح له أتباع كثيرون. و من آثاره:
- بهجة العاشقين وروضة الأنوار للعرفين.
  - "رسالة" في السلوك إلى الطريقة الخلواتية.
  - "رسالة" في مناقب علي بن عمر الطولقي. إلى جانب تدريس مبادئ الطريقة الخلواتية ساهم كذلك تدريس الفقه وعلم الحديث، إلى جانب كل من العالم الأفضلي يحيى بن صالح<sup>1</sup>، و العالم الجليل:

<sup>1</sup>من علماء بني يزقن. توفي سنة 1223هـ-1808م تعلم في جربة بتونس، ثم عاد إلى وطنه فاشتغل بالتدريس. أنظر: النويهض، مرجع سابق، ص22.

الرحموني محمد صالح<sup>1</sup>، وبفضل هؤلاء العلماء الأعلام استمرت الزيارات والمبادلات في جانبها الفكري و الحضاري بين الجزائر العثمانية و تونس.

و بناء على ما سبق، فالروابط الثقافية والعلمية بين البلدان المغاربية لم تنقطع يوماً رغم اضطراب الأحوال السياسية وأنه كان لعلماء المغرب الإسلامي حركة واسعة بين أرجائه وخاصة منها الجزائر التي كانت مفتوحة وان المغاربة كانوا يتخذونها عادة طريقاً إلى الحج، كما كان البعض منهم يأتي إليها في مهمات دبلوماسية أو ممارسة التجارة أو يقومون ببحث مذهبهم الصوفية بين الجزائريين، وعموماً فإن حركة هؤلاء العلماء الأعلام كانت خير و بركة للجزائر بحكم أن كل عالم كان بمثابة مكتبة و مدرسة متنقلة.

والتواصل الثقافي بين العلماء المغاربة كان عبارة عن تلاقح في الأفكار، والتواصل المستمر بين علمائه أدى إلى نوع من التحدي الفكري، وبيّن رصيدهم العلمي الكبير وخاصة في الجانب الفقهي بفضل ثقافة التسامح التي تميزوا بها، وتعد المناظرات وتبادل الرسائل بين علماء المغرب الكبير من أظهر الوثائق وأدناها في موضوع الصلات الثقافية، وذلك لما تنطوي عليه هذه المناظرات والرسائل على قدر ملحوظ من المادة التاريخية، والتي كانت مصدراً معتمداً في معرفة التاريخ الثقافي لدول المغرب الإسلامي، وتراجم علمائه، كما أنها ميدان فسيح من ميادين الدرس الأدبي والفقهي، ولعلّ استشارة بعضهم حول النوازل و الفتاوى وتبادل كتب الأغاز لدليل على التواصل العلمي و الثقافي بين علماء المغرب الإسلامي.

<sup>1</sup> من علماء الجزائر تعلم بتونس ثم عاد إلى وطنه فاشتغل بالتدريس في بلاد القبائل إلى أن توفي سنة 1242هـ-1826م. أنظر: النويهض، مرجع سابق، ص146.

6- موقف علماء المغرب الإسلامي من القضايا المستحدثة:

مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي (16م) داهم المغرب الإسلامي قضايا اجتماعية مستحدثة استنفرت العلماء فاختلفت فتاويهم حولها، و تعتبر محنة مسلمي الأندلس من أبرز النوازل التي اختلف حولها علماء العصر ونذكر منها:

6-1 - فتوى: خروج مسلمي الأندلس:

أفتى فيها جمعة المغراوي<sup>1</sup> - حسب وثيقة الفتوى المؤرخة في رجب 910هـ/1504م بضرورة البقاء تحت الضغط وإخفاء دينهم و التظاهر بالنصرانية:"الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً...إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمر من أجل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته، واصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء، إن شاء الله تم مجاورة نبيّه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق...نسأل الله أن يطف بنا وأن يعيننا ويأتمك على مراعاة حقّه، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، و من كل ضيق مخرجاً...فالصلاة و لو بالإمءاء، و لو منعتم فالصلاة قضاء بالليل في حق النهار، وعليكم بالتيّم ولو مسحا بالأيدي للحيطان...وانووا صلاتكم مشروعة، و إن كان لغير القبلة تسقط في حكم كصلاة الخوف عند الالتحام."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> هو الحافظ، المقرئ، الفقيه، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي جمعة المغراوي نسبة إلى قبيلة مغراوة المشهور بشقر ون وابن أبي جمعة. شقرون لأنه كان أشقر اللون أحمر العينين، ولد سنة 879هـ وصاحب الفتوى الشهيرة إلى الموريسكيين من أهل الأندلس. تفتت مواهبه و هو في مقتبل العمر يدل على ذلك تأليفه لمنظومة: تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع - الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين. فهو يعرض فيه للقارئ مسائل فقهية هامة و من أخطر قضايا العصر وهي تكفير عامة المسلمين، تكفير إيمان المقلد وما أثير حولها من شبهات وجدال. توفي رحمه الله بمدينة فاس سنة 929هـ/1532م.

<sup>2</sup> عبد الله عنان محمد، دار الإسلام في الأندلس، العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 1997، ص.342

## 6-2 - فتوى أحمد الونشريسي: جاء في الفتوى:

رغم أن العلامة الونشريسي لم يعاصر الفترة المعنية بالدراسة- إلا أنه يرى جواز هجرة أهل الأندلس نحو ديار الإسلام خوفاً على استباحة الدين مما أدى بآلاف المسلمين الأندلسيين ترك وطنهم والاستقرار بمدن و قرى المغرب الإسلامي هروبا بالعقيدة و الدين من الخطر المسيحي الداهم في حين يرى العلامة "جمعة المغراوي" خلاف ذلك وطلب من السكان الأندلسيين على البقاء في بلادهم، و التشبث بأرض الأندلس كشكل من أشكال مقاومة النصارى والعقيدة النصرانية ورجال الدين الصليبيين.

## 6-3- فتوى من تجاسر على سب الدين:

يذكر شيخ الفكون أنه في مدينة قسنطينة تجاسر أحد اليهود على النبي صلى الله عليه و سلم أمام السكان المحليين، ولما أحييت القضية على العلماء انقسموا حولها، فمنهم من أفتى بقتله ومنهم من أفتى بغير ذلك.... و لما بلغ إلى الجد فقال بموته، أما العالم "أبو زكرياء يحي" عارض قتله وكان ذلك مخالفاً للولاية و له معه مشورة في أحوال الرعايا واستجلاب فوائدهم، تعصّب جند الشرطة والحراس باب قسبة البلد ورفعوا أمرهم إلى الوالي وسلخوا أنفسهم من وظيف الحراسة وغيرها مما لديهم، وقالوا في اعتذارهم إن يمت صاحبنا المختاري" يتجاسر على جماعتنا ولا يبقى لنا بين أهل البلد حرم ولا عز، وقالوا أن أهل البلد يبغضون في جانبنا ونحو ذلك من تقولاتهم الملقنة لهم".

أمر الوالي بإحضار أهل الشورى وانعقد بهم مجلس بالجامع الأعظم بحضرة القاضي وغيره وأكابر الدولة وغيرها. ما تقول في هذه القضية؟. فأجابهم القاضي: ليس عندي في هذا إلا موت القائل وإهدار دمه، فيقول له أبو زكرياء "ياسيدي لا يلزمه الموت، فيسكت لهم الجد إلى أن يفرغ صياحهم ولغظهم، فيقول أبو زكرياء: ياسيدي اقرأ هذه النصوص وتأملها، فيجبه القاضي بأنه يعرفها ومطلع عليها ويضرب على جبهته ويقول هي هنا في رأسي محفوظة. فلما رأى أهل الشورى شدته في الأمر

وانتصاره. فقالوا: ظهر لك قتله فلا يكون بالقول فقط بل لا بد من خطك في القضية. و بادر لما أردوه منه من الكتابة وأخذ بطاقة فوراً و سطرها بما وفقه الله إليه.

ولم ينفصل المجلس إلا عن قتل ذلك الشقي، وصدق الله يمين القاضي، و برّ قسمه في حلفه أن لا يقوم من محله إلا أن ينفذ حكم الله في ذلك الشقي، ورجع الوالي و حكم القاضي بفتواه".<sup>1</sup>

## 7- العلماء والسلطة السياسية خلال العهد العثماني.

### 7-1- التقارب بين العلماء و السلطة السياسية.

أدرك العثمانيون أن العامل الذي يربطهم بالأهالي هو الدين و الجهاد ضد الصليبيين لذلك استغلوا الروح الجهادية لدى الأهالي، و رغم أنهم غرباء إلا أن العلماء رأوا فيهم قوة إسلامية منقذة من حالة الفوضى التي يعيشها المغرب الإسلامي لذلك سعى العثمانيون للبحث عن حلفاء لهم يؤمنون بفكرتهم الجهادية، فوجدوا العلماء و الفقهاء و المتصوفة لتدعيم وجودهم فقام عروج برباروس بزيارة العالم الصوفي "الشيخ الملياني"<sup>2</sup> لكسب المساعدة الروحية، و نتج عن هذا التحالف دعوة الشيخ الملياني السكان الذين هم نحن نفوذهم الروحي بتأييد العثمانيين<sup>3</sup>.

1 أنظر: قضية المخطاري اليهودي" الفكون، منشور الهدايا.....مصدر سابق، ص56.  
 2 يعد الشيخ الملياني من أبرز العلماء الذين ساندوا الوجود العثماني ووقفوا في وجه ملوك بنو زيان المتعلمين مع الصليبيين الأسباب مما دفع الملك الزياني أبو عبد الله إلى حرقه أمام الملأ، و عندما نجاه الله دعا عليه و على مملكته بقوله: "أبدل الله ملكهم بغير تعب بمن لا يعرف لغتهم، واجعل الظلم كما ظلموا إلى يوم الدين"، و بعد ثلاثين سنة من وفاة الشيخ الملياني قام القائد العثماني "صالح رايس" دخول تلمسان والقضاء نهائياً على مملكة بني زيان سنة 1555م، و هرب آخر ملوكها مولاي حسن إلى وهران وأصبح تحت حماية الحاكم الاسباني قبل وفاته بالطاعون". أنظر: Bodin. M. notes et questions sur sidi Ahmed Benyoucef. Annee1925.n66. P171.  
 3 Ibid. P165.

إن العقيدة المشتركة بين الأهالي و العثمانيين لعبت دورا أساسيا في هذا التحالف رغم أن إسلامهم كان تحت تأثير الطرق الصوفية التي كانت تقودهم و ترسم سياستهم إذ كانوا يدينون و يتبركون بالأولياء و الدراويش وعلاقتهم بالمولوية، و البكداشية جد راسخة<sup>1</sup> بحيث كان يرافقهم الدراويش الذين يأتون من الأناضول وقد نسجت حولهم العديد من الأساطير بحيث كان المرابطون يمنحونهم البركات والدعوات خلال غزواتهم البحرية<sup>2</sup> فلا يخرجون إلى معركة دون التبرك بولي أو ضريح كان حيّا أو ميّتا<sup>3</sup> كضريح عبد الرحمن الثعالبي، والولي دادة.

أن تبجيل الأولياء و المرابطين كان ميزة و سلوكا عند جميع البايات و الدايات العثمانيين حتى عند البايات الذين تميّزوا بالإنجازات الثقافية و العمرانية، فالباي محمد بن عثمان الكبير أخذ بالطريقة القاديرية عن جدّ الأمير عبد القادر وبقي في خدمته وقائما على إرضاءه<sup>4</sup>، وعند تحديد يوم الفتح استشار العلماء والأولياء فهم أدرى بأمور الدنيا و الدين، وكان جوابهم له: " رأيكم فيه الحكمة والصواب، ولكن أنتم و نحن في رأي الأولياء و العلماء أولي الألباب فهم أدرى بالأمور، وبإشارتهم يكون الفوز السرور".<sup>5</sup> نسج العثمانيون علاقات متينة في بداية حكمهم مع أكبر الطرق الصوفية انتشارا وقوة، غير أن الطريقة القادرية كانت المفضلة عندهم بفضل سلمية مبادئها حتى مع غير المسلمين مما شجع حكام الجزائر ربط علاقة ودية مع زعمائها غير أن هذه العلاقة لم تسلم من نقمة و غضب البايات المتأخرين، كما حدث للشيخ محي الدين وابنه عبد القادر مع الباي حسن الباهي<sup>6</sup>

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1، مرجع سابق، ص.465

<sup>1</sup> Bodin.M. notes et questions.....op. cit. p85.

<sup>2</sup> Ibid. p125.

<sup>4</sup> محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح و تعليق: ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964، ج1، ص113.

<sup>5</sup> المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود...مصدر سابق، ص261.

<sup>6</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1، مرجع سابق، ص522.

إن الصراع بين القوى المسيحية والعثمانيين كان في نظر العلماء جهادا وصراعا مقدّسا الأمر الذي حتمّ عليهم التعاون معهم و تقديم المساعدة لهم لكونهم منقذين السكان المحليين، وتأكّدت هذه العلاقة في ظل التهديد الاسباني للسواحل المغاربية عامة والجزائرية خاصة، فقضايا الجهاد كانت العامل المشترك بينهما، فتحرير الثغور و المدن الساحلية كانت تحدد اهتمام الحكام وتبرز شعبيتهم و"كسب الرعية لهم لأن تحريرها كان بمثابة الورقة الراحبة الرعية وتأييد العلماء"<sup>1</sup>، كما يمكننا القول أن دور العلماء في الحث على الجهاد، و تعبئة الأهالي لعب دورا محوريا في توطيد العثمانيين أقدامهم بالجزائر على أنهم أبطال محرّرين وفاتحين في وجه القوى الصليبية المتربّصة مما أدى إلى تقوية الروابط والتّحالف بين الطرفين باعتبار أن العثمانيين قوة جديدة.

و من جانب آخر، أظهر الحكّام الجدد احتراما للعلماء من خلال الرسائل التي كان يوجّهونها لهم التي كانت تحمل عبارات التقدير والاحترام مثل الرسالة التي بعث بها باشا الجزائر إلى الشيخ الفكون عندما وقف إلى جانب الحكام العثمانيين في مواجهة ثورة ابن الأحرش سنة 1804م جاء فيها: "العالم الأشهر، أكبر الأنوار، مأوى القليلين، وملجأ الضعفاء والمساكين، العرف بجميع العلوم و الفنون... السلام على مقامكم الرفيع وشخصكم الرائق البديع"<sup>2</sup>، وضمن الأسلوب السياسي المتبع قامت السلطة السياسية بترضية العلماء بالمناصب حيث يتم تعيين من بينهم القضاة، إدارة الحبوس، إمامة المساجد، أمير ركب الحج وغيرها من المناصب الدينية والسياسية، فمثلا أصدر الداوي إسماعيل باشا مرسوما عام 1680م أكد فيه الحقوق لصالح سيدي محمد بن عبد الكريم الفكون كإمام للمسجد الكبير وأمير

<sup>1</sup> سعد الله، أربع رسائل بين باشاوات الجزائر و علماء عنابة، مجلة الثقافة، العدد 51، 1979، ص19.  
<sup>2</sup> العنترى، سنين القحط والمسبغة أو مجاعات قسنطينة، تحقيق ونشر راجح بونار، الجزائر، 1974، ص72.

ركب الحج"<sup>1</sup>، كما منح الباي محمد بن فرحات لعائلة الفكون الإشراف على الضرائب المجبأة من سوق الخضر و الفواكه من مدينة قسنطينة"<sup>2</sup>.

و ضمن سياق دعم العلاقات بين العلماء والسلطة السياسية، قام الدايات و البايات بإصدار فرمانات و بموجبها يتم منح العلماء أقطاعات زراعية واسعة مثلما حصل مع عائلة الفكون التي كانت تملك الأراضي والتي كانت خاضعة لقبيلة "جبابرة"، مع العلم مثل هذا الامتياز لم يكن يمنح لكل العلماء ورجال الصوفية بل للفئة أكثر تأثيرا ونفوذا وبدافع الخوف من تأليب السكان عليها.

و من جهة ثانية قامت السلطة السياسية بمراسلة و زيارة العلماء كأفراد و أسر كشكل من أشكال التقارب و التحالف، و نذكر منها تبادل الرسائل بين الداوي "محمد بكداش" مع العالم "أحمد ساسي البوني" التي تشيد بمكانة البوني و عائلته الدينية و العلمية وفي نفس الوقت طلب العون منها: "...مولانا المحب الأمثل الأعز الأكمل كنز العلوم والعلوم السنية، وجوهرة الألفاظ الذهبية...مولانا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا الأمد...فريدة العصر سيدي الشيخ الحاج أحمد"<sup>3</sup>. ومن الأسر التي حظيت بمكانة مرموقة لدى العثمانيين والذين كانوا يزورون مرابطيها، نذكر زيارة الباي "مقلش" لأسرة الغبريني بشرشال في طريق عودته إلى وهران بعد تقديمه الدنوش بعد أن رفض المرابط "الحاج بن عودة الغبريني" مدّ الدعم و المساعدة لأبن الشريف الدرقاوي الذي رد الزيارة للباي في معسكر"<sup>4</sup> و ضمن هذا المنحى لعب العلماء والمرابطون دور الوسيط خاصة في المناطق البعيدة و المستعصية في الجبال و المناطق شبيهة الصحراوية التي كانت تعيش شكل من أشكال الاستقلال عن السلطة المركزية، واستعملت هذه الوساطات في مناسبات عديدة نذكر منها، طلب الباشا "أحمد خوجة" سنة 1805م توسط

<sup>1</sup>سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص225.

<sup>2</sup>نفسه، ص75.

<sup>3</sup>محمد بن ميمون، التحفة المرضية...مصدر سابق، ص226.

<sup>4</sup>Saidouni. N. L'algéroise rurale à la fin de l'époque ottomane 1791-1830. Dar al Harb al islam. Beyrouth.2001.p.396.

سيدي" على مبارك" بالقليلة من اجل الحصول على إخضاع منطقة "موزاية"<sup>1</sup> و حتى الباي " الذباح"وسّط بينه وبين قبيلة "معانقة" العالم و المرابط "سيدي علي" من أجل أن تزوده بالرجال في حملته ضد قبائل "قشتولة" و "بني صدقة"، كما لعب علماء و مرابطي آل المقراني دورا بارزا في إخماد ثورة بني الأحرش وذلك عندما منعت ابن الأحرش بمدينة بجاية<sup>2</sup>، وعندما حاول الباي "بوكابوس" القضاء على سكان مدينة قسنطينة كرد فعل انتقامي على قرار معاقبته من قبل الداوي على أثر رفضه توجيه الحملة على تونس، تدخل العلماء وأقنعوه بالتراجع عن قراره بعد التوسّل إليه، وأسفرت مهمتهم بالنجاح بعد أن سلّم الباي نفسه لهم ليتمّ قتله من قبل "الآغا" بعد أن نكّل بجسمه ثم بعثه إلى مدينة الجزائر".<sup>3</sup>

وبناء على ما سبق، فإن الكثير من الوساطات لم تنته نهايات سعيدة ويصيبها أحيانا إخفاق في السعي، إذ فشل علماء ومرابطو مدينة مازونة في مساعدتهم المتكررة لجلب السلم إلى مدينتهم على خلفية النزاع بين السكان و الانكشارية، وهذا مقابل ترسيخ عقيدة كره الأهالي للأتراك".<sup>4</sup>

و في سبيل توطيد نفوذ السلطة العثمانية وبسط النظام العام لجأ الحكام إلى المصاهرة بينهم و بين الأسر العلمية والمرابطية، و في هذا المسعى تشير سجلات المحاكم الشرعية إلى زواج الداوي "شعبان" من "نفيسة" بنت العلامة محمد بن عبد المومن<sup>5</sup>، وزواج الداوي حسين" بإحدى حفيدات سيد احمد بن يوسف الملياني<sup>6</sup> وزواج الداوي "علي خوجة" من ابنة المفتي المالكي "الحاج مصطفى بن الشيخ مالك" سنة 1233هـ/1817م<sup>7</sup>.

<sup>2</sup> Ibid. p.402.

<sup>2</sup>Féraud Charles. Histoire des villes de la province de constantine.Bougie. Arnault. Paris.1869.p215.

2Delphin.G. histoire des pachas D'Alger de 1515-1749.in J.A.Avril. Juin. 1922. p206.

3Belhmissi M. Histoire de mazouna. Les origines a nos jours. Imp. Ahmed Zabana. Alger.1982.p47.

<sup>5</sup>المحاكم الشرعية، علية 4 الوثيقة 17.

<sup>6</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر....ج1، مرجع سابق، ص470.

<sup>7</sup> شريف الزهار، مذكرات...مصدر سابق، ص71.

أما ببايليك الشرق يمكننا ذكر مصاهرة أسرة آل المقراني المرابطية ذات النفوذ الروحي الكبير في منطقة القبائل بحيث زوّج الباي "على" بناته الثلاثة لشيوخ آل المقراني<sup>1</sup>، كما قام الباي "حسين بوحنك" بمصاهرة كذلك آل المقراني سنة 1746م مما سمح له بفرض هيمنته على المنطقة التي تدين بالولاء لعائلة المقراني، كما صاهر الباي "صالح" عائلة "ابن جلول" من خلال تزويجه إحدى بناته للعائلة التي ورثت القضاء الحنفي وكتابة العدل بمدينة قسنطينة<sup>2</sup>.

ما يمكننا استخلاصه، أن المصاهرة بين العلماء و السلطة السياسية تحولت إلى أداة فعالة في يد الحكام و تمكّنوا من كسب ولاء العائلات الكبيرة ذات النفوذ الروحي و الاجتماعي الكبيرين، وبواسطتهم استطاعوا من بسط الأمن في المناطق الخارجة عن سيطرتهم و نفوذهم.

#### 7-2- القטיعة بين العلماء و السلطة.

تسببت السياسة الضريبية التي فرضها العثمانيون إلى إحداث شرخ في العلاقات بين السكان المحليين و السلطة السياسية بعد تقلص الموارد البحرية، و مما يلاحظ أن النظام الضريبي لم يكن عادلا، ولا يراعي القائمون عليه طبيعة الإنتاج و لا وضعية الفلاحين و حالتهم<sup>3</sup>، فالبرغم من تنوع المصادر الدخل فان معظمها كان يأتي من القطاعات الاقتصادية و لا سيما القطاع الزراعي، و بالإضافة إلى ضرائب على النشاطات التي يحظرها الشرع الإسلامي و لا تقرّها العادات تحت وطأة الحاجة مثل رسوم الحانات المنتشرة بمدينة الجزائر، و الضريبة على النساء المنحرفات التي يتولى المزوار استخلاصها إلى جانب التعريم التي يتعرّض لها بعض الأغنياء من الحضر و اليهود على السواء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>Ferraud.C. Histoire des villes.....op.cit.p293.

<sup>2</sup> قشي ف. الزهراء، قسنطينة المدينة و المجتمع، دكتوراه دولة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1998، ص151.

<sup>3</sup> سعيدوني ناصر الدين، البوعبدلي، .....مرجع سابق، ص33.

<sup>4</sup> نفسه، ص35.

فرض العثمانيون الضرائب الشرعية من عشور و زكاة الخراج ثم "اللزّمة" وهي ضريبة استثنائية يدفعها الأهالي للمساهمة في نفقات الجيش في حالة الخطر، و حسب الأستاذ سعيدوني: "فكل منطقة كانت عليها ضريبة خاصة حسب طبيعتها وأحوالها المناخية، ففي الصحراء فرضت المعونة و العسّة، وفي الهضاب العليا فرضت عليها الغرامة و المعونة، أما في التل ففرضت على سكانه ضريبة العشور".<sup>1</sup>

إن جباية الضرائب كانت في كثير من الأحيان تتم بوسائل الضغط و الإكراه، ويذكر الزهار: "...وهكذا وضع الأوائل الجباية على النهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين وما وقع هذا حتى صار الناس فجّارا والأمرء ظالمين"<sup>2</sup>، وأكد العالم ابن سحنون الراشدي هذا النهج من قبل الحكام قائلا: "...وفرضوا على الناس المغارم شتاء و صيفا، وعيّنوا للجد عطاء مخصوصا وضربوا عليهم البعوث تخرج كل سنة أواسط أفريل إلى عمال الجباية فمنها من يرجع إلى الجزائر بعد أربعة أشهر ومنها من يرجع بعد سنة"<sup>3</sup>، و من جهة ثانية يذكر لنا شريف الزهار ارتفاع قيمة الدنوش التي يحملها الباي: "...و منذ ركوب الباي لدخول المدينة وهو يرمي الدراهم يمينا وشمالا، و من البايات من يرمي السلطاني الذهب ومنهم من يلقي الفضة ومنهم من يزرع الضبلون، ويتقدمهم الديوان مثل السلاق وعلى رؤوسهم الريش مصفوفاً يمينا وشمالاً"<sup>4</sup>، وبدوره يؤكد الورثياني هذه الحقائق ويذكر تعسف العثمانيين اتجاه الأهالي "...أن العثمانيين لما دخلوا بسكرة أضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج، لذا اجتمعت عليهم غارات العرب من الخارج وظلم الأتراك من الداخل".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سعيدوني ناصر الدين، البوعبدلي،..... مرجع سابق، ص 38.

<sup>2</sup> الزهار، مذكرات..... مصدر سابق، ص 35.

<sup>3</sup> ابن سحنون، الثغر الجماني... مصدر سابق، ص 442.

<sup>4</sup> الزهار، مصدر سابق، ص 38.

<sup>5</sup> الورثياني، نزهة الأنظار.... مصدر سابق، ص 118.

إن السياسة الضريبية الجديدة التي انتهجها العثمانيون في أواخر أيامهم اعتمدت على القوة وتجاهل رأي العلماء ومحاولة إخضاعهم لنفوذهم بالسيف والقهر متخذة وسائل وإجراءات للحد من نفوذهم فلم يسلموا بذلك من القتل وغالبا ما كانت الوشاية أو تدخلهم في المسائل السياسية سببا في ذلك ويذكر صاحب "تحفة الزائر": "أن الداوي محمد بكداش قتل المفتي أحمد بن سيدي قدورة ومعه أخوه القاضي" علال" الذي تم خنقه في السجن<sup>1</sup>، أما المفتي الحنفي محمد بن مصطفى بن المستي فقد صودرت أملاكه وقتل هو الآخر دون ذكر سبب قتله<sup>2</sup>. أما صالح باي فرغم أعماله الجليلة التي قام بها بمدينة قسنطينة في مجال الثقافة و العمران إلا أنه أساء إلى العلماء وشاع عنه الظلم والعنف أواخر عهده، و من بين ضحاياه العالم و المرابط سيدي محمد الزاوي المعروف بسيدي محمد الغراب الذي قام بشنقه أمام الملأ<sup>3</sup>.

إضافة إلى ما سبق، كانت معارضة العلماء للحكام تنتهي بهم في السجن أو القتل وهذا ما حدث للمفتي الحنفي "فتح الله" الذي تقلد عدة مناصب بمدينة الجزائر منها كاتبا ومدرسا بمدرسة سوق الغزال وناظرا للأوقاف وخطيبا بمسجد سيدي الكتاني بقسنطينة، رفض طلب الباي أحمد شاوش بمكاتبة الباشا بمدينة الجزائر وإعلامه أن الباي وصل إلى الحكم بطلب من الأهالي، لكن المفتي رفض طلبه الأمر الذي أدى إلى نفيه إلى مدينة عنابة ثم أرسل الباي من قتله في الطريق.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في أخبار.....مصدر سابق، ص103.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1، مرجع سابق، ص418.

3Vayssette. Histoire.....op.cit.P.124.

<sup>4</sup>ibid. P126.

أما ببايليك الغرب، فلم يكن بايات وهران أقل قسوة وعنف مع العلماء والرعية على السواء، فهذا الباي حسن آخر بايات وهران لم يسلم من بطشه العلماء والأعيان، فلقد ذكر المزارى إلى تناوله و تعسفه بقوله: "إن هذا الباي لأمر أراده الله قد تجرأ على العلماء والأولياء و كثر ظلمه وسفكه لدماء الأبرياء"<sup>1</sup>، وذهب ضحية ظلمه عدد كبير من العلماء من بينهم الشيخ العالم ابن القندوز أحد علماء وأعيان مازونة، والشيخ الصدامي، والعالم بن عبد الله بن حواء التيجاني، والشيخ العالم فرقان الفليتي الوهراني"<sup>2</sup>.

إضافة إلى ما سبق ذكره، لجأت السلطة السياسية إلى أسلوب عزل العلماء من مناصبهم كإجراء تعسفي عند حدوث إي نزاع تبعا لشكوى من الأهالي أو وشاية من طرف حاسد أو حاقد، مثلما حدث للمفتي سيدي محمد بن سعيد قدورة الذي عزله الداى مصطفى أهشجي سنة 1090هـ/1706م بسبب رسالة من حساده للباشا<sup>3</sup>، ونفس الأمر حدث لمفتي مدينة عنابة أحمد البوني الذي عزل من منصبه، كما عزل الباى محمد المقلش العلامة أبوراس الناصري بعدما اتهموه حساده بتأييده لثورة درقاوة ليضع بعدها مؤلفه: درء الشقاوة في حرب درقاوة"<sup>4</sup>.

أن عزل العلماء من مناصبهم غالبا ما كان يخضع لأهواء الحكام، و من خلال وما أودره المؤرخون حول استمرار بعض العلماء في مناصبهم مدة طويلة إنما سببه يرجع إلى عدم استقرار الدايات أنفسهم في الحكم حيث كانوا يعزلون أو يقتلون لذا كان الداى لا يبقى عما كان قبله فيعزل من وجده ويعين آخر في مكانه."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الأغا المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران واسبانيا وفرنسا، ج1، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص352.

<sup>2</sup> نفسه، ص352.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج1، مرجع سابق، ص393.

<sup>4</sup> سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، السنة 1990، ص87.

<sup>5</sup> نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ.... مصدر سابق، ص284.

والى جانب عزل العلماء من مناصبهم لجأ العثمانيون إلى مصادرة أملاك العلماء و مضايقتهم خاصة في أواخر أيامهم بحيث نجد الكثير من الحكام من أتخذ مصادرة الأملاك وسيلة تأديبية ضد العلماء والفقهاء و رجال الدين، وحسب ما ذكره-سعد الله- فان الداى شعبان كان رجلا شغوفا بجمع المال مهينا للعلماء بحيث أهان علماء قسنطينة وصادر أملاكهم، كما أنه رفض استقبال وفد من العلماء الذي أرسله باي تونس إليه من أجل الصلح، وقد قام الباشا بمصادرة سفينتهم وأهانهم ومنعهم من الاتصال بالناس".<sup>1</sup>

ومن جهة أخرى كان السجن مصير العديد من العلماء ممن عارضوا السلطة السياسية وأحيانا أخرى يكون دون وجود سبب وجيه كما كانالحال مع العالم الفقيه الشيخ محمد بن عبد الكريم الفكون الذي تدخل في شؤون السياسة والحكم وطلب من الداى شعبان إطلاق سراح بعض الناس قسنطينة ممن سجنهم في طريقه إلى تونس وقد قدم له مقابل إطلاق سراحهم خمسمائة ريال لكن الداى رفض طلبه ولما عاد من تونس سجنه هو الآخر ولم يقبل الداى شفاعة ابن عمه الذي توّسط له وهذا بالرغم المكانة التي يتمتع بها الشيخ ابن الفكون"<sup>2</sup>

<sup>1</sup>سعد الله، من أخبار الداى شعبان، ص120.  
<sup>2</sup>من أخبار الداى شعبان، مرجع سابق، ص121.

أما شاكر باي فقد سجن بدوره كل من الباش كاتب محمد ابن المكي الساسي والقاضي الحنفي محمد بن العشي وقام بقتلها دون سبب واضح الذي دفع الداوي على اقتراح هذا العمل<sup>1</sup>، وفي نفس السياق سجن الداوي حسين عند توليه الحكم الحاج مصطفى بن الشيخ بن مالك، وقد عومل بقسوة بتهمة اختلاسه أموال الخزينة أيام صهره الداوي علي المتوفي ولم يطلق سراحه إلا بعدما توسط له نقيب الأشراف بطلب من أهله<sup>2</sup>.

والى جانب سجن العلماء ونفيهم، أعتمد الحكام العثمانيون سياسة فرق تسد التي تجسدت في إذكاء روح العداة و التنافس بين العلماء و بين العائلات الإقطاعية و الدينية صاحبة النفوذ بهدف الهيمنة على القبائل الضعيفة و الحد من عداة الثائرين ضد سلطة البايليك وكسب ولائهم<sup>3</sup> وقد تجسدت هذه السياسة في إثارة الأحقاد و تعميق الهوة بين القبائل و تحريض طرفا ضد الآخر<sup>4</sup>

وحتى تقرب الحكام من بعض العلماء ولد تنافسا بينهم حول الوظائف الأمر الذي أدى إلى انتشار الرشوة والاستهتار والتساهل في أمور الدين والتعدي على الأوقاف والوشاية<sup>5</sup> والتي عادة ما كانت سببا في عزل و نفي وقتل العلماء، وحسب الدكتور سعد الله -رحمه الله- فان انحياز الحكام إلى العلماء الأحناف ولد تنافس بينهم وبين علماء المالكية وهذا التنافس ظهر كأنه صراع مذهبي<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>Vayssette. Histoire....op.cit. P.93.

<sup>2</sup> الزهار، المذكرات....مصدر سابق، ص.142

<sup>4</sup>Trumelet. Les saints De l'islam...op.cit.P.346.

<sup>5</sup>Ibid.P.125

<sup>5</sup>نور الدين عبد القادر، تاريخ....مصدر سابق، ص.231.

<sup>6</sup>سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1، مرجع سابق، ص.404.

وما يمكننا استخلاصه من سياسة السلطة العثمانية اتجاه السكان المحليين أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر لم تكن موفقة ولم يكن الحكام على بصيرة بمخاطر السياسة الجبائية المرهقة لكاهل السكان، وانعزالهم عن غالبية السكان المحليين للحفاظ على الوضع الراهن الراض لكل تنازل عن امتيازات السلطة الحاكمة، بما في ذلك دور قبائل المخزن التي كانت وسيلة قهر و بطش وتأديب للقبائل المحلية الراضة لدفع الضرائب و المغارم مما عزز عدم الثقة بين الطرفين وعدم التقرب و الاندماج معهم، ولهذا الأسباب قامت سلسلة من الثورات المحلية ضد الوجود العثماني لعل أخطرها ثورتي ابن الاحرش 1219هـ/1804م<sup>1</sup>، وابن الشريف الدرقاوي 1220هـ/1805<sup>2</sup> وتمكنت هاتان الثورتان من إضعاف الحكم العثماني و المساهمة في انهياره بشكل خطير.

<sup>1</sup> هو ابن الأحرش الذي تميز على مسح الأحداث كرجل شريف دين. بعد أدائه فريضة الحج استقر بزواوية سيدي الزيتوني بناحية جيجل لتفقيه الناس وتلقين الصبية وتعليم الطلبة مبادئ الفقه. أعلن الثورة ضد الحكم العثماني والحق الهزيمة بالجيش في معركة وادي الزهور مما أدى إلى مقتل الباي عثمان، ثم قام بمحاصرة مدينة قسنطينة التي استعصت عليه دخولها بسبب مقاومة أهلها. أنظر: المزارى بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران واسبانيا وفرنسا**، ج1، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص.299

<sup>2</sup> هو عبد القادر بن الشريف ويعرق بابن الشريف الدرقاوي نسبة إلى الطريقة الدرقاوية التي كان ينتمي إليها. تعلم ابن الشريف بمسقط رأسه، ثم التحق بزواوية القيطنة القادرية لأخذ العلم ثم توجه إلى مدينة فاس وأجيز من طرف علمائها، و بزواوية بوبريج و بني زروال مارس نشاطه الديني و الروحي. التقى بشيخ الطريقة الدرقاوية "مولاي العربي الدرقاوي" فعينه مقدما للطريقة، وعند رجوعه للجزائر أظهر الزهد والصلاح ثم أعلن الخروج و الثورة ضد الحكام العثمانيين وألحق بالجيش العثماني هزيمة كبرى في معركة "فرطاسة". أنظر: محمد بن يوسف الزاني، **دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي، ش. و. ن. ت. الجزائر، 1979، ص.208.

# القسم الثاني

العلوم عند علماء الجزائر

## الفصل الثالث

العلوم النقلية عند علماء  
الجزائر خلال العهد العثماني

الفصل الثالث

العلوم الشرعية.

- علم الكلام (التوحيد).
- علم التفسير.
- علم الحديث.
- علم القراءات والانصاف القرآنية.
- ختافات صحيح البخاري ومناسبتها
- علم السيرة النبوية المطهرة.
- الفقه.

## العلوم النقلية.

ساهم علماء الجزائر بقسط وافر في مختلف العلوم الشرعية بفضل دور المراكز العلمية والدينية والصلات الحضارية والثقافية بين الجزائر ومحيطها ونخص بالذكر المملكة المغربية وتونس التي كانت لها الفضل في إثراء الحياة الفكرية والعلوم الشرعية على وجه الخصوص رغم طابعها التقليدي.

## أولاً: علم الكلام (علم التوحيد).

يعتبر علم الكلام من أهم العلوم الإسلامية، وأقدمها تاريخاً، وأشدّها حساسيةً، إنّه لا بدّ لكلّ مسلم أن يتخذ موقفاً واضحاً من أصول الاعتقادات، ويبنى عليها عقيدته الإسلامية، فعليه أن يتحرّى في الأصول الدليل الصحيح والمقنع، وعليه أن يسأل حتّى يصل إلى ما يطمئنّ له باله وقلبه، وهو علمٌ يُبحث فيه التعريف بذات الله تعالى وصفاته الإلهية وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام.<sup>1</sup>، ويهتم علم التوحيد بما يلي:

أ-دراسة العقائد الإسلامية الحقّة والدفاع عنها، مقابل آراء أهل البدع والشبهات.  
ب-يستخدم أسلوب المحاجة الكلامية، التي تعتمد على الأدلّة والبراهين العقلية والنقلية لأجل الكشف عن الواقع وإثباته.

ج- يعتمد على المنهج الجدليّ، وهو يعني إسكات الخصم وإفحامه، لا البرهنة لكشف الواقع وإثباته. وهذا يفهم من كلمة المحاجة.

وزيادة على هذا يقول ابن خلدون في مقدّمته هو علمٌ يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلّة العقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة، ويهتم بدراسة العقائد الإسلامية الحقّة و الدفاع عنها ، مقابل آراء أهل البدع والشبهات يستخدم أسلوب المحاجة الكلامية التي تعتمد على الأدلّة والبراهين العقلية والنقلية لأجل الكشف عن الواقع وإثباته<sup>2</sup>

<sup>1</sup>الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، دار القلم، بيروت، لبنان، 1984، ص485.

<sup>2</sup>ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الأحياء العربي، بيروت، لبنان، ط4، ص458.

يعرف كذلك بـ"علم التوحيد" و"علم العقائد و المعتقدات" لأنه يثبت الوجدانية لله تعالى في جميع الكمالات فهو يشتمل على ما يجب اعتقاده في حقه تعالى، وفي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا ما جعل علماء الجزائر يهتمون ملياً بعلم التوحيد وقضاياها وإشكالاته، إما بطريقة مبسطة أو بطريقة معمقة تقوم على المنطق وآليات اشتغاله وطرق براهينه واستدلالاته... ويسعى إلى تنزيه الذات الإلهية والدفاع عن الوجدانية، ودحض العقائد الفاسدة اتجاه الألوهية"<sup>1</sup>.

وزيادة على هذا فقد عرفه كذلك الشيخ الرماصي بقوله: "علم الكلام أوثق العلوم دليلاً، وأوضحها سبيلاً، وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد، إذ بها تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته"<sup>2</sup>، وقد شرف كل علم بحسب معلومه، وقد صنف في ذلك ما لا يحصى من كثرة الدواوين والمختصرات.

ومن المرجح أن علماء الجزائر كانوا يتهربون من التعمق فيعلم الكلام لأنه يؤدي إلى الكفر والخروج عن الدين لأن العقائد اصطبغت بالطابع الصوفي الصرف-حسب زعمهم-، لذلك كل من خالف روح العصر يحكم عليه بالكفر و الزندقة.

و من علماء الجزائر الذين خاضوا في علم الكلام نجد عبد القادر الراشدي مفتي قسنطينة في القرن الثاني عشر الهجري (12هـ) عندما اتهمه علماء بلده بالكفر والإلحاد لقوله بالتجسيم<sup>3</sup>، والعالم محمد البوزيدي أحد علماء قسنطينة خلال القرن 11 الحادي عشر الهجري (17م) فقد قال: أن المقلد غير مؤمن وأن العامة مختلف في إيمانها"، و يبدو أن الشيخ البوزيدي لم يكن وحده في هذا التفسير، و لا ندري من أين جاء هذا المذهب إلى أهل المغرب لأن العقائد السائدة بين الجزائريين هي عقائد الأشعري، وهناك محمد بن عبد الرحمن الحوضي وله أرجوزة في التوحيد معروفة" بواسطة السلوك"<sup>4</sup> وفيها نظم جميع مسائل التوحيد المتعارف عليها وجعلها سهلة مفهومة التعبير قريبة المعنى

<sup>1</sup> محمد بن عبد السلام البيجري، فتح الرحمن لأفقال البرهان، مخطوط خزانة علال الفاسي، الرباط، رقم: 97، و10ظ.

<sup>2</sup> الرماصي، حاشية على أم البراهين: المسماة بصغرى السنوسي، مخطوط بخزانة البشير محمودي، البرج-مسكر- ورقة رقم2.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص97.

<sup>4</sup> موجودة منها نسخة في المكتبة الوطنية تحت رقم: 899 ومنسوخة بقلم عبد القادر بن عمر الحارثي سنة 938هـ.

يقرأها الصبيان في المكاتب، وتؤدي إلى إدراك قضايا التوحيد حتى يخرج قارئها من التقليد الأعمى في معرفة الله<sup>1</sup>.

وبعد القرن التاسع الهجري مرحلة فاصلة في تاريخ علم التوحيد بفضل التراكم الكبير في المؤلفات العقديّة ويمكن تسميتها بالمرحلة السنوسية<sup>2</sup> نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني والذي هيمنت كتبه في العقيدة وشروحها على الساحة الفكرية، وشهدت إقبالا منقطع النظير من قبل طلبة العلم والحفاظ و الشراح والمعلقين، والفقهاء، "حتى أصبحت تشكل ظاهرة وكأن الفكر الفلسفي والديني قد تجمد عندها فلم يعد قادرا على الخوض في مسائل التوحيد إلا من خلال عمل السنوسي"<sup>3</sup>.

ومن أبرز العلماء الذين ساهموا في هذا العلم وأضافوا إليه نذكر منهم: الشيخ محمد السنوسي.:

- دور الشيخ محمد السنوسي<sup>3</sup> في تطور علم الكلام خلال العهد العثماني.

أسهم الشيخ السنوسي في ذبوع علم التوحيد في العالم الإسلامي عن طريق رجال عظام وطلبة منتقلون وعلماء متفهمون في الدين، لقد اتصل الشرق الإسلامي بالعقائد السنوسية عن طريق هؤلاء العلماء كالمقري صاحب نفع الطيب الذي حمل معه مصنفات الشيخ السنوسي، ويحي الشاوي<sup>4</sup> الذي قدم إلى مصر سنة 1074هـ/1663م حيث تفرغ للمعرفة، فشرح العقائد ونقلها وبرع في تدريسها و

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص98.

<sup>2</sup> نفسه، ص98.

<sup>3</sup> هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، اسمه محمد وكنيته أبو عبد الله، ولقبه وشهرته السنوسي وأشتهر بهذا اللقب نسبة إلى بني سنوس قرية بضواحي تلمسان. توفي يوم الأحد 18 جمادى الثانية سنة 895هـ/1489م، بعد أن عاش ثلاث وستين سنة، ودفن بالعباد السفلي مدفن سيدي أبي مدين الغوث بتلمسان.

<sup>4</sup> هو يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى النايلي الشاوي الجزائري المالكي، النحوي، متكلم، ناظم، ولد بمدينة مليانة و تعلم بالجزائر وأقام مدة بمصر في عودته من الحج. تصدر الإفتاء بالأزهر ثم رحل إلى سورية والروم وتوفي في السفينة راحلا للحج ونقل جثمانه إلى مدينة القاهرة. و من آثاره:- حاشية على أم البراهين للسنوسي- نظم لامية في إعراب الجلالة و شرحها- شرح التسهيل لأبن مالك في النحو- قرّة العين في جمع الين من علم التوحيد- والنيل الرقيق في حلقوم انساب الزنديق. ت. 1231هـ/1685م. أنظر: معجم المؤلفين- تراجم مصنفي الكتب العربية- تأليف عمر رضا كحالة، دار الحياء التراث العربي للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1957، ج13، ص227.

تلقيها لأهل مصر حتى قيل: "إن العقائد فن أهل المغرب"<sup>1</sup> و طلب منه أن يصوغ في منظومته ما كان يملك في هذا الفن، كما تسرب تراث المدرسة السنوسية إلى جنوب المغرب الإسلامي خاصة في ناحية السودان بفضل العلاقات التجارية والثقافية الواسعة مع بلدان المغرب الإسلامي ومدينة تلمسان على وجه الخصوص<sup>2</sup>.

#### -أفكاره:

لقد ألف الشيخ السنوسي في العقيدة أكثر مما ألف في العلوم الدينية الأخرى، إذ نجد معظم اهتماماته موجهة نحو هذا الجانب من علم التوحيد حتى غلب عليه لقب "صاحب العقائد"، و من جملة ما حملته من التراجم وما اخترنته رفوف المكتبات ما يلي:

أ- عقيدة أهل التوحيد و التسديد، المخرج من الظلمات و الجهل ورقبة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد. وهذا التصنيف اشتهر بالعقيدة الكبرى، ويعتبر أول ما كتب الشيخ في فن علم التوحيد.

ب- العقيدة الوسطى: وهي أخصر من الأولى وأقرب فيها من التنبه على جزئيات من العقائد ما لا يوجد في كثير من المطولات فضلا عن المختصرات.

ج- العقيدة الصغرى المشهورة بالسنوسية أو أم البراهين، وهي تأليف مختصر لا نظير له، يزهو بمحاسنه على كبار الدواوين ، وهي وإن كانت صغيرة الحجم فهي كبيرة العلم محتوية على جميع العقائد.

هذا وقد استوحى الشيخ السنوسي الأساس الذي أقام عليه منواجه في ضبط العقيدة وتعليمها للناس من الواقع الحي معلنا عن سخطه ونشأومه على المفاصد التي كانت تدك أركان الإسلام واعتبر أن هذا التدهور سببه التربية والتعليم وأن أمهات التراجم وخاصة منها القديمة ما تزال تخصه بصفحات هامة.

<sup>1</sup> محمد بن عبد الكريم، المقرئ وكتابه نفع الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص295.

<sup>2</sup> جمال الدين بوقلي حسن، الإمام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، طبع هذا الكتاب على نفقة وزارة الثقافة في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ط1، 2011، ص89.

كان الشيخ السنوسي شاهدا على انتكاسة فكرية وتردٍ ثقافي بسبب الاضطرابات السياسية و الاجتماعية بسبب شيوع انحلال الأخلاق وانحراف العقيدة فاختلفت المفاهيم الخلقية و الدينية، فتعذر معرفة الحق وتفاقت المفسدات وتجاوزت طاقة العلماء الواقفين للخير حتى "اتسع الخرق فيه في هذا الزمان - جدا على الواقع... وفاض فيها عباب الفتن وعمتها سحائب المخالفات"<sup>1</sup>.

كما رأى الإمام السنوسي - أنه من الضروري أن يعالج التعليم عن طريق إيقاظ العقل وتنبيهه عن طريق النظر، الذي هو مدخل وأساس العقيدة السليمة، وقد عبّر عن هذا الفساد العارم الذي اجتاحت مجتمعه، والذي يدفع أحيانا إلى اليأس بقوله: "ولا يستغرب في هذا الزمان الذي نحن فيه، وهو أواخر القرن التاسع، الذي صار المعروف فيه منكرا والمنكر معروفا، وتعذر فيه معرفة الحق لنذور أهله، واتسع الخرق فيه جدا على الواقع، فلم يبق فيه للعاقل إلا التحصن بالسكوت، وملازمة البيوت، والرضي في معاشه بأدنى القوت بأدنى القوت"<sup>2</sup>.

وزيادة على هذا يقول الشيخ: أن هذه المفسدات ابتلت بها أحوال الناس، العوام منهم و الخواص:

#### أ/ العوام:

يعتقدون أنهم على أكمل حالة في عقائد الإيمان، وأن جزمهم بما اشتهر منها ولو بمحض التقليد، وهو غاية العرفان ولقد غرهم في هذا علماء السوء و جهلة الرهبان<sup>3</sup>، وأن معظم العوام لم يبلغوا التقليد الصحيح، بل كل ما أدركوه هو الاعتقاد الفاسد والجهل المركب، ولهذا فالأغلبية الساحقة منهم لم تعتن بحضور العلماء ومخالطة أهل الخير، يضبط عن طريقهم اعتقاده في التجسيم و الجهة وتأثير الطبيعة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جمال الدين بوقلي حسن، الإمام بن يوسف السنوسي... مرجع سابق، ص 4.

<sup>2</sup> السنوسي، شرح العقيدة الوسطى، مصدر سابق، ص 6.

<sup>3</sup> نفسه، ص 7.

<sup>4</sup> محمد عليش، القول الوافي في السيد بخدمة شرح عقيدة التوحيد، بدون تاريخ، ص 18.

## ب/ الخواص من المسلمين:

فقد ابتلوا بحب الدنيا والسعي لها وعدم الابتغال للآخرة، وهذا ليس أهلا لأن يستفيد أو يعلم شيئا من نفائس العلوم الفاخرة، وإنما قصاراهم التشدق أو التفصيح بما هو فتنة في حقهم ولعل من أسباب ذلك أن المنشغلين بالتفقه في دين الله العظيم الفوائد، بلداء الطبع ناقصو الذكاء يرون الظلمة نورا والنور ظلمة<sup>1</sup>، وحذر الشيخ السنوسي من انتشار الباطل على يد الجهلة و ممن عرفوا بكثرة الحفظ و الإلتقان كالعالم "العقباني" الذي كان يعتقد اعتقادات فاسدة<sup>2</sup>، وأحس الشيخ بأن معظم متفهمي زمنه أحوج إلى تعلم أصول دينهم والاشتغال بما يعينهم فكيف بعوامهم، كما أنه لاحظ أنه تعرض للإفتاء من ليس أهلا له بسبب انتشار المذهب الظاهري في ذلك العصر، -هكذا إذن حسب الشيخ السنوسي- يشترك الناس كلهم عوامهم وخواصهم في نشر الفساد في الدين خاصة من جانبه العقائدي الذي يعتبر جوهر الإسلام وركيزته<sup>3</sup>.

ومن جهة ثانية يرى الشيخ: أن الحصن الذي لا بد منه في هذه الظروف السيئة يتمثل في تحصيل العلم الصحيح وهو عقائد الإيمان، إلا أن هذه المهمة ليست بالسهلة بسبب امتناع القلوب في هذا الزمان من حسن الاستماع فضلا عن الفهم و الانتفاع، إن أذهان الناس جامدة صعبة الانقياد للفهم، مائلة أبدا إلى ما لا يعني فإن نصحت فلا تجد من يستجيب لتعليمك، ومن حدث له أن حصلت له الاستفادة فإنه يجعل هذا المكسب سلما للدنيا وصحبة الظلمة<sup>4</sup>.

ولاحظ الإمام السنوسي: "أن محيط الإنسان عندما يهدده الخطر وتصل فيه رقعة الفساد من الأتساع ما يتخطى إمكانات الراقع، فلا بد عليه من الصمود والثبات وتحصيل ما يحتاج إليه الفرد في

<sup>1</sup>السنوسي، شرح العقيدة الوسطى...مرجع سابق، ص4.

فقد غلط في علم التوحيد من لا يظن به ذلك ممن عرف بكثرة الحفظ والإلتقان -العقباني- الذي كان يعتقد اعتقادات فاسدة، كقوله: إن كلام الله مركب من الحروف والأصوات، وأن صفات الله ممكنة بذاتها، واجبة بغيرها لأن الذات أثرت فيها بطريق العلة. أنظر: حاشية على شرح أم البراهين، المطبعة الميمنية، مصر، 1312هـ، ص13.

<sup>3</sup>جمال الدين بوقلي حسن، الإمام بن يوسف السنوسي....مرجع سابق، ص9.

<sup>4</sup>السنوسي، شرح العقيدة الوسطى، ص326.

أصل الدين و فروعه، فيجرد نفسه للذكر وتلاوة القرآن والنظر في جوامع كلام النبي الكريم و ينزه عقله و طرفه في رياض تلك المعاني"<sup>1</sup>.

و بناء على ما سبق، نستخلص أن الإمام السنوسي يرى الخروج من حالة الجمود والانحلال و الترددي الحضاري لا يكون إلا بواسطة علم التوحيد الذي هو حصن النجاة، والأمن، وسلم والسلام، وأن التعليم هو المدرسة الأساسية للمحافظة على تراث الأسلاف، والعقيدة الصحيحة تشكل رأس كل برنامج للتنشئة الإسلامية، وأن التربية القائمة على أساس العقيدة النقية المطعمة ب"أم البراهين" العقلية، هي الغذاء الروحي لأبناء المسلمين كافة.

#### - مفهوم التربية عند الإمام السنوسي:

يرى الإمام السنوسي أنه على المربي أن يكون-قبل ممارسته للفكر التربوي- حاملا لغاية يريد تحقيقها على أساس العلم و العمل وذكر: "إن التربية كلها هي لإيصال كل حادث إلى كماله الذي أريد له، و هي بالمعنى الخاص التربية الروحية بالعلوم و المعارف العلمية و العملية، وضبط الحركات والسكنات للجري على مقتضاهما، و التربية بهذا المعنى هي العزيزة الشريفة الموصلة إلى الفوز برضا مولانا جل و علا"<sup>2</sup>.

و من أسس طريقة تعليم الإمام السنوسي نذكر:

1/ الدعوة إلى تجريد العقيدة من علم الكلام الممزوج بالفلسفة، وإرجاع الأمة إلى عقيدة السلف الصحيحة.

2/ خطورة أخذ المبتدئ مبادئ دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة، وأولع مؤلفوها بنقل هوسهم وما هو كفر صراح، وذكر الإمام منها كتب الإمام فخر الدين الرازي في علم الكلام، وكتاب طوالع البيضاوي ومن سلك حذوهما.

<sup>1</sup> جمال الدين بوقلي حسن، الإمام بن يوسف السنوسي.....مرجع سابق، ص172.

<sup>2</sup> جمال الدين بوقلي، مرجع سابق، ص6.

3/ التنبيه إلى تردي المستوى التعليمي بصفة عامة، نتيجة الجهل والامية التي انتشرت عند أهل العلم بالدرجة الأولى، قال للإمام: ولهذا تجد الجهل بكثير من العقائد في كثير ممن يتعاطى العلم متأهل زماننا فكيف بالعامّة.. وتجد أذهان أكثر أهل الزمان جامدة صعبة الانقياد للفهم، مائلة أبدا لما لا يعني، إن نصحت لم تقبل، وإن علمت لم تتعلم، وإن فهمت لمتفهم<sup>1</sup>.

4/ نهى المؤدبين عن ضرب الصبيان ويأمر بتهذيبهم برحمة و عاطفة، فكان نهجه سائرا على الدرب القرآني الذي يرحب بكل المستويات العقلية في حقيقة التوحيد، ويظهر أن الإمام السنوسي استوحى فكرته في تطعيم عقيدة التوحيد بالحجج الدامغة من أقطاب الأشعرية الذين سبقوه وخاصة منهم "إمام الحرمين"<sup>2</sup>

هذا وقد ذكر الإمام "السنوسي" أن الأفراد يتفاوتون في مواهبهم و مؤهلاتهم كما يتفاوتون في الظروف التي ينشؤون فيها، و لهذا ارتأى ضرورة تحمل كل نفس أو كل مستوى فكري ما يستطيع حمله و عدم تكليفهما فوق ذلك: "تعليمهم بما تسعه عقولهم برفق و لطف... فيخاطب كل على قدر فهمه"<sup>3</sup>، فكل عقيدة من هذه العقائد لها أهلها، فهي لا تختلف بوجه عام فيما بينها من حيث الدعائم العقلية التي تقوم عليها و الروح المنطقية التي كتبت بها، و إنما تختلف من حيث الحجم"<sup>4</sup>.

و الشيخ السنوسي لا يختلف عن روح التربية الإسلامية من حيث القصد إلى تعليم الجميع، فالإسلام مدرسة تمنح فيها الطاقات البشرية كلها أقدارها الصحيحة و تستغل جميعها لتتجه في طريق الخير<sup>5</sup>، إن الجواهر التي كانت مشتتة عرف كيف يجمعها الإمام السنوسي، فنسق بين شظايا متفرقة في وحدة أساسها الألوهية، و منطقتها البراهين الدامغة، و روحها صفاء القلب"<sup>6</sup>

<sup>1</sup>السنوسي، شرح العقيدة الوسطى، مصدر سابق، ص325.

<sup>2</sup>هو عبد الملك الجويني 478/1085م، أحد الأعمدة الرئيسية التي أرتكز عليها المذهب الأشعري.

<sup>3</sup>محمد عليش، القول الوافي في السديد بخدمة عقيدة التوحيد، بدون تاريخ، ص9.

<sup>4</sup>جمال الدين بوقلي حسن، الإمام بن يوسف السنوسي... مرجع سابق، ص105.

<sup>5</sup>محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط3، دون اسم دار النشر، 1967، ص89.

<sup>6</sup>محمد عليش، القول الوافي... مرجع سابق، ص10.

وبناء على ما سبق، يمكننا أن نستنتج أن الفترة التاريخية التي عاش فيها -شيخ العلامة السنوسي- تميّزت بتزدي الأحوال الثقافية وتراجع التعليم ورجاله في ظل فساد الأحوال السياسية وهجرة العلماء نحو الخارج مما جعل "السنوسي" يحذر العام والخاص من ظاهرة الجمود والتزدي الحضاري وتدني المستوى التعليمي نتيجة انتشار الجهل بين العامة و أهل العلم، ولا تزال "العقيدة الصغرى" تشكل إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي و مطلع القرن العشرين أساس التعليم العقائدي في كل مدارس المغرب الإسلامي ولعل السبب في ذلك يعود إلى ما يمتاز به هذا المختصر من دقة في اختيار مراحل عرض العقيدة وفي ضبط أشهر وأقطع البراهين فيها.

2/ احمد بن سعيد بدر الدين أبو العباس الشماخي، توفي 928هـ/1521م، وله:

- رسالة في صفات الله تعالى تعرف باسم: "شرح مقدمة النوصية" ط. سنة 1392هـ، تاريخ بني ميزاب.

- نظم التحقيق في عقود التعليق<sup>1</sup>.

3/ عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضرى. ت 983هـ 1534م<sup>2</sup>، وله:

- رسالة في التحذير من البدع: لم تتعرض المصادر إلى ما تضمنته، وقد أشار إليها "عادل نويهض" صاحب تعريف الخلف برجال السلف، والشطوطي في كتابه الشيخ عبد الرحمن الأخضرى "الكاشف والمنطقي" وقد تكون هذه الرسالة جزء من منظومته القدسية. نجد هذه الرسالة قد ذكرت بمنظومته القدسية، لما تضمنته من رسائل في التحذير من البدع.

- الغراء في التوحيد، توجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 590.

<sup>1</sup>بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، الأصل بين المعلوم والمجهول، ج1، مراجعة و تقديم، د. عثمان بدري، الجزائر، 2002، ص41.  
<sup>2</sup>إن السنة التي توفي فيها الشيخ الأخضرى بدت غامضة عند أكثر المترجمين للأخضرى واكتفى أغلبهم بالإشارة بأنه توفي في القرن العاشر الهجري. فالزركلي مثلا يذكر سنة 983هـ تاريخ وفاته بينما يذكر أبو القاسم سعد الله أن وفاة الأخضرى كانت سنة 953هـ/1546م.

4/ محمد بن محمد بن احمد أبو عبد الله بن مريم الشريف المليتي المديوني. توفى 1020هـ/ 1611م وله:

- شرح على مختصر الصغرى.

- كشف اللبس التعقيد عن عقيدة أهل التوحيد.

5/ أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي العيش أبو العباس المقرئ<sup>1</sup>. ت. 1041هـ-1631م، وله:

- إفادة المغرم المغرى بن كمل شرح الصغرى.

- حاشية على أم البراهين: توجد نسختان بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 3544 و 5928.

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

- فتح المتعال في وصف نعال النبي صلى الله عليه وسلم.

6/ سعيد ابن ابراهيم أبو عثمان قدورة. 1067هـ/توفى 1656 م وله:

- شرح صغرى السنوسي، مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2460 مج1.

- شرح على جوهرة التوحيد للإمام اللقاني.

- شرح على السلم للأخضري في المنطق.

7/ مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي أبو الخيرات الجزائري. توفى 1137هـ/ 1724 م، وله:

- كفاية المرید في شرح عقيدة أهل التوحيد، فرغ منها سنة 1124هـ.

<sup>1</sup> هو احمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن ابن أبي العيش بن محمد المالكي، الأشعري التلمساني، نزيل فاس،، ثم القاهرة المشهور بالمقرئ، مؤرخ و أديب، ولد بتلمسان وتوفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة 1584هـ. من تصانيفه الكثيرة بذكر - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب- فتح المتعال في وصف نعال النبي صلى الله عليه وسلم.- أزهار الرياض في أخبار عياض. أنظر: معجم المؤلفين-تراجم مصنفى الكتب العربية- تأليف عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1957، ج2، ص78.

- حاشية على صغرى السنوسي، بين فيها ألفاظ و معاني كلام السنوسي، وأضاف إليه معارفه الخاصة وأسلوبه. انتهى الشيخ الرماصي من صغرى السنوسي سنة 1105هـ/1693م بلغ عدد صفحاتها ثلاثمائة وهي موجودة بالخزانة العامة بالرباط.

**8** محمد بن محمد بن احمد بن قاسم ساسي البوني. توفى 1139هـ./1726م وله: -

- المواهب القدسية بنظم الوغليسية.

- نظم عقيدة أبي منصور الماتريدي.

- نظم عقيدة عبد القادر الجيلالي.

- نظم عقيدة الشاذلي.

- نظم عقيدة عبد الكريم الفكون.

- نظم عقيدة العز بن عبد السلام.

- نظم قواعد الإسلام، الذخر الأسنى بذكر أسماء الله تعالى الحسنی، عبارة عن مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2249 مجموع 1، وقد ورد في دليل بدار الكتب الناصرية بتمكروت تحت عنوان: "ترتيب أسماء الله الحسنی".

- نظم صغرى الصغرى - نظم الوسطى - نظم شعب الإيمان.

- الفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي.

- نظم عقيدة محي الدين بن عربي.

- قصيدة في التوسل بسور القرآن الكريم، توجد مخطوطة في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت

رقم: 2249 مج 2.

- المنهاج المبسوط في نظم عقيدة السيوطي، فرغ منه آخر شهر شوال 1128هـ.

**9** يوسف بن محمد أبو يعقوب. توفى 1187هـ/1773م، وله:

- حاشية على أصول الدين لتغورين بن عيسى لملشوطي.
  - حاشية على كتاب الديانات لعامر الشماخي في التوحيد.
  - حاشية على شرح النونية لقاسم بن يحيى الجربي.
  - حاشية على ديباجة شرح العقيدة لأحمد الشماخي.
- 10/ عبد القادر بن محمد الراشدي<sup>1</sup>. ت. 1237هـ-1780م، وله:

- كتاب في عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها.
- رسالة في تحريم الدخان.
- رسالة في وزن الأعمال.
- حاشية في شرح السيد للمواقف العضدية.
- فتاوى<sup>2</sup>.

11/ عبد الرحمان بن احمد بن باش تارزي القسنطيني. ت. 1222هـ / 1807م، وله:

- غنية المرید في شرح نظم مسائل كلمة التوحيد: المخطوط في خمس وأربعين مسألة، مطبوعة بتونس.

12/ عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله ضياء الدين الثميني. توفي 1223 هـ 1808م

وله:

- الأفعال المنجية من المهلكة، أختصره من كتاب: "تبيين أفعال العباد"<sup>3</sup>.
- منهاج الطالبين وبلاغ الراغبين: في عشرة أجزاء

<sup>1</sup>فقيه، قاضي مالكي، من الرواشد من مداخل فرجوة، تولى الفتوى والقضاء بقسنطينة مرارا، و مال إلى الاجتهاد فسبب ذلك له متاعب وأخرج من القضاء. توفي سنة 1237هـ. أنظر: معجم المؤلفين- تراجم مصنفى الكتب العربية،... مرجع سابق، ج5، ص288.

<sup>2</sup>أنظر: شجرة النور الزكية، ص320. و معجم المؤلفين- تراجم مصنفى الكتب العربية،... مرجع سابق، ج5، ص288.

<sup>3</sup>لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، أنظر، كتاب: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير.

13/ محمد ابن أحمد بن عبد القادر بن نصر أبوراس الناصر المعسكري<sup>1</sup>. ت. يوم الأحد 15 شعبان

1238هـ الموافق ل27 أبريل 1823م، وله:

- المعالم الدالة على الفرق الضالة.
- الزهر الأكم في شرح الحكم.
- فتح الإله في التوصل إلى حكم ابن عطاء الله.
- الكتاب الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي.
- كفاية المعتقد ونكابة المنتقد على شرح الكبرى.
- إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس.
- أساس البنيان لشرح الجمان للشيخ عبد الرحمان.
- كشف النقاب ورفع الحجاب على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة.
- القول الأنفع في مناقب الأئمة الأربع.
- الفتح القدوسي في شرح كبرى السنوسي.

#### ثانيا: علم تفسير القرآن الكريم.

انعكس التخلف الثقافي على العلوم الشرعية عامة و تفسير القرآن بشكل خاص، لأنه يحتاج إلى ثقافة دينية وتاريخية ولغوية واسعة وعميقة بالإضافة إلى استقلال عقلي كبير وهذا لم يتوفر لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني<sup>2</sup>، فعلماء الجزائر خلال بداية الحكم العثماني كانوا يرددون أقوال

<sup>1</sup> هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الجليلي المعسكري، ولد سنة 1150هـ/1737م من عائلة فقيرة، حفظ القرآن الكريم و تتلمذ على مجموعة من الشيوخ ومنهم عبد القادر المشرفي ولازمه و خدمه مدة. أشتهر بسعة اطلاعه وبتألفه العديدة. بلغ عدد طلابه في الحلقة العلمية سبعمائة وثمانين طالبا. وافته المنية 1238هـ/1823م بمعسكر، وقد تجاوز التسعين سنة، دفن قرب داره ومسجده حيث ضريحه المعروف به اليوم. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، ط1، 1999م، ص460.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص11.

المتقدمين و يحفظونها حفظا سطحيا لا عقل فيه و لا تفكير، و يسردون المسائل كما هي في الكتب لا كما تقبلها أو ترفضها عقولهم"<sup>1</sup>.

كما أن طبيعة التكوين العلمي التقليدي لهؤلاء العلماء وشخصيتهم المحافظة، جعلهم يعطون عناية عظيمة لكل ما يتعلق بالقرآن الكريم وشرح وتفسير الآيات القرآنية وتقرئها وإزالة الغموض فهمها، ولكن رغم هذه الجهود الجبارة من بعض العلماء- بقيت هذه الأعمال ضحلة وقليلة لا ترقى إلى تفسير يشبه الجواهر الحسان للثعالبي. جرت العادة أن دروس تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية تعقد مجالسها في حضرة الباي، وفي مواسم معينة كشهر رمضان، حيث يحضر هذه المجالس العلماء والأعيان، يتبعها عادة مناقشة ومناظرة بين العلماء والعامّة يكرر فيها هؤلاء أقوال المفسرين المتقدمين بطريقة جافة، فلما يخرجون عليها برأي جديد يتلاءم مع العصر"<sup>2</sup>، و من أبرز العلماء الذين اشتهروا بعلم التفسير نذكر: محمد بن علي أبهلول، عبد القادر الراشدي، أبوراس الناصري، الشيخ بن حوا، والشيخ أبي حامد العربي المشرفي وكانت هذه الحلقات التفسيرية تقام في المساجد، و من أبرز علماء الجزائر الذين خاضوا في هذا العلم نذكر منهم:

1/ محمد بن عبد الكريم محمد أبو عبد الله المغيلي التلمساني<sup>3</sup>. ت. 909/1503هـ، وله:

- البدر المنير في علوم التفسير، وتوجد نسخة في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 253.

- مصباح الأرواح في أصول الفلاح: في كراسين أرسله للسوسني وابن غازي فقرطاه.

- شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي.

<sup>1</sup> نفسه، ص 10.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج 2، مرجع سابق ص 12.

- الإبريز والإكسير في التفسير في ثلاثة أسفار: الباعث من وراء هذا التأليف كما يذكر صاحبه: هو نفسي لا غير، وأقدم لها ما هو من أعمال الخير... وسميته: "الإبريز والإكسير في علم التفسير" تلك الغاية في تأليفه هو شروحات تفسيرية في ثلاثة أسفار، في كل سفر عشرون حزبا، حيث أقتصر شرحه على الأجزاء الأولى من سورة البقرة، عبارته سهلة، وألفاظه قريبة من العامية، و التفسير في حد ذاته مقتصر على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستنباط، وهناك أجزاء أخرى تعتبر في حكم المفقود.

<sup>3</sup> هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، فقيه و مفسر، محدث، متكلم، منطقي، رحل إلى السودان و بلاد التكرور لنشر أحكام الشرع و قواعد. توفي بتوات بعدما ترك مجموعة كبيرة من التصانيف سنة 909هـ. أنظر: معجم المؤلفين،-تراجم مصنفى الكتب العربية- تأليف عمر رضا كحالة،... مرجع سابق، ج 10، ص 191.

- شرح الجمل في المنطق.

2/ شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي<sup>1</sup>: ت. 929هـ/1523م، وله:

- الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين .

- تقييد على مورد الظمان، مخطوط بالخرزانة التيمورية تحت رقم: 213<sup>2</sup>.

3/ سعيد بن أحمد أبو عثمان المقرئ. توفي 1012هـ/1603م. له:

- تأليف: "إعراب القرآن"<sup>3</sup>، وتوجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية الفرنسية.

4/ أحمد بن علي يوسف بن تقي الدين أبو العباس البوني. توفي: 1726م، له:

- إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن.

- تحفة الأريب بأشرف غريب. أختصر فيه غريب القرآن للعزيمي.

- إرشاد الزمر لمعنى قوله تعالى: " لا الشمس يبغى لها أن تدرك القمر".

- الفتح القدسي تفسير آية الكرسي، نظم غريب القرآن لأبن عباس.

- نظم غريب القرآن لأبن جزي.

- التسيير في إسنادنا في كتب جمع من التفسير.

نظم في إسناده لخمسة وعشرين تفسيراً في اختلاف العلماء في كون البسمة آية من كل سورة من

القرآن أم لا.

5/ يوسف بن محمد أبو يعقوب. توفي 1187هـ/1773م، وله:

- حاشية على الجلالين. أنظر تاريخ بني مزاب، بكير سعيد.

<sup>1</sup> هو محمد شقرون بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي، الوهراني، الفاسي، محدث. توفي بمدينة فاس سنة 929هـ. أنظر: معجم المؤلفين-تراجم مصنفى الكتب العربية- تأليف عمر رضا كحالة... مرجع سابق ج 10، ص 71.

<sup>2</sup> أنظر: معجم المؤلفين-تراجم مصنفى الكتب العربية- تأليف عمر رضا كحالة... مرجع سابق ج 10، ص 71.

<sup>3</sup> أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر... ج 2، مرجع سابق، ص 17.

6/الشيخ محمد الطاهر ابن حوا<sup>1</sup>. ت. 1206هـ/1791م ، وله:

- تفسير معروف ب"تفسير القرآن".

- وهو عبارة عن نسخ لتفسير بعض الصحابة المتقدمين نسخا حرفيا، وقد قسمه إلى أجزاء، وإن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو تلقيه التفسير: "... من تفاسير متعددة الرواية ودراسة عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت مآثرهم، جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد وأله وصحابته، وها أنا الآن وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل"<sup>2</sup>.

ومن خلال شرحه الآية القرآنية قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} (15)<sup>3</sup> أعتمد المنهج الصوفي مركزا على العنصر الدلالي القائم على التأويل، فيقول: "فأمر الله تعالى في هذه الآية الولد بمتابعة والد الأرواح دون متابعة والد الأشباح، لأن والد الروح يربي المعنى، ووالد الجسم يربي لك الحس، وشتان بين من همته الحس ومن همته المعنى"<sup>4</sup>.

والآية الكريمة: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} يفسر هذه الآية بقوله: أي ويرفع الله العلماء منهم درجات بما جمعوا من العلم والعمل، قال ابن عباس: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، بين الدرجتين خمسمائة عام، وقال تعالى {تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ}<sup>6</sup> إن تفسير الشيخ بن حوا يعتبر من التفاسير الهامة لدى علماء بايليك الغرب والوطن الراشدي عموما، فهو يزخر بشروحات وافية مدعمة بأقوال فطاحلة العلماء والمفسرين ممن تقدموه وذلك بوضع

<sup>1</sup> هو الطاهر بن حوا عالم جليل من أسرة علمية منهم محمد بن حوا صاحب كتاب: "سبيكة العقبان فيمن حل بمستغانم واحوازها من الأعيان". أصبح قاضي قضاة معسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير الذي عينه مساعد العالم" محمد بن عبد الله الجليلي" رئيس رباط وهران. أستشهد بوهرا ن بعد مناوشات عسكرية مع الجنود الأسبان بعدما لأصيب بسهم في ذراعه الأيمن . أنظر: أبو سحنون الراشدي، الثغر الجماني... مصدر سابق، ص 237.

<sup>2</sup> الشيخ بن حوا، تفسير القرآن العظيم، مخطوط بخزانة الشيخ جلول جيلالي، معسكر، و: 2.

<sup>3</sup> سورة لقمان، الآية 15 على قراءة ورش.

<sup>4</sup> نفسه، 12ظ.

<sup>5</sup> سورة المجادلة، الآية 11 على قراءة ورش

<sup>6</sup> سورة يوسف، الآية 76 على قراءة ورش.

تفسير تامة وأخرى غير تامة، أي الإقتصار على تفسير أجزاء من القرآن الكريم وهذا تقليد جارت العادة عليه، وهو وجه من وجوه الثقافة التقليدية والوضع الثقافي العام في الجزائر.

7/ يوسف بن عدوى بن حمو أبو يعقوب الإباضي الجزائري. ت. 1223هـ/1808م، وله:

حاشية على تفسير البيضاوي

8/ محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد أبو رأس الناصري المعسكري الراشدي. ت. 1823.، و من مؤلفاته:

- مجمع البحرين ومطلع البدرين بالتنقيح في تفسير القرآن المجيد في أربعة أسفار، وفي كل سفر خمسة عشر حزبا باشتهار.

- الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخراز.

- إغاثة اللهفان في شرح مورد الظمان والتكلم مع صاحب عمدة البيان.

- السيوف القوامع في شرح الدرر اللوامع.

- إزالة الألغاز على كلام الطراز على الخراز.

- توضيح المعاني في شرح حرز المعاني، في ثلاثة أسفار.

- إعانة القدير في شرح النشر والتيسير، في ثلاثة أسفار.

- تكميل التبيان في ضبط الجواهر الحسان، في سفرين.

- تذليل الإتقان في أحكام القرآن.

- فتح المنان في ترتيب نزول القرآن.

سر الرحمان في جمع القرآن وسبب جمعه على هذا المنوال.

9/ علي بن محمد الميلي الجمالي. توفي. 1249هـ/ 1833م، له:

- تفسير كبير و صغير.

تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا<sup>1</sup>".

10/ أحمد بن محمد بن حسين بن علي الشمني القسنطيني. له:

الوسيط والبسيط..

11/ محمود بن حسين العنابي<sup>2</sup>. له:

- الرد النظيم في فضل آيات القرآن العظيم.

- لمعان البيان في بيان أخذ الأجرة عن القرآن.

### ثالثا: علم القراءات والانصاف القرآنية:

تنقسم القراءات القرآنية التي وصلت إلينا إلى أقسام عدة من حيث القبول و الرد إلى قسمين<sup>3</sup>:

أ- قراءة مقبولة.

ب- قراءة مردودة.

<sup>1</sup>سورة فاطر. الآية 32. على قراءة ورش.

<sup>2</sup>يعد من مشاهير البيوت العلمية في الجزائر، أنتقل أسلاف العالم ابن العنابي إلى الجزائر من أسطمنبول، استقرت أولا بعنابة ثم انتقلت إلى مدينة الجزائر وكانت قريبة من مركز السلطة. تولى عدد من أفراد البيت الفتوى و القضاء الحنفي بدينة الجزائر، و من أبرز علماء هذه الأسرة: مصطفى بن رمضان العنابي. ت1130هـ/1718م، حسين بن محمد العنابي. ت1150هـ/1737م، الشيخ محمد بن حسين بن محمد. ت1203هـ/1788م، الشيخ محمود بن محمد بن حسين بن محمد. ت1236هـ/1820م، محمد بن محمود نزيل الإسكندرية. ت1267هـ/1850م. أنظر، ابن المفتي، تقييدات... مصدر سابق، ص16.

<sup>3</sup>نبيل بن محمد ابراهيم آل إسماعيل، علم القراءات. نشأته-أطواره-أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1319هـ، ص35.

1- القراءة المقبولة، هي كل قراءة صح سندها، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالا ووافقت أحد أوجه العربية ومن خلال ضوابط القراءة المقبولة المتمثلة في ضابط السند، ضابط الرسم، ضابط العربية<sup>1</sup>.

2- القراءة المردودة، هي كل قراءة اختلف فيها أحد ضوابط القراءة المقبولة التي سبق الحديث عنها، واختلفت ضوابطها المتمثلة في ضابط السند، ضابط المتن<sup>2</sup>.

بناء على ما سبق، اشتهر علماء الجزائر بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها، و ظهرت عدة مراكز اشتهرت بعلم القراءات نذكر منها منطقة زاووة التي كانت مقصد علماء الجزائر وحتى من المغرب و تونس، و من أشهر مشايخ وعلماء علم القراءات نذكر: الجليل الشيخ: محمد بن صولة، و الشيخ محمد بن زيان التواتي المغربي الذي ورد على قسنطينة من المغرب و الذي عرف بتبحره في الفقه و النحو، و كذلك الشيخ الفكون أواخر القرن 11هـ بداية القرن 12هـ، محمد بن شقرون المغراوي (الوهراني)، محمد بن توزينت العبادي التلمساني<sup>3</sup>، الشيخ محمد الحاج المناوي، الشيخ محمد بن ناجي الذي كان له درس عظيم و مشاركة في علم القراءات حسب ما ذكر الشيخ الفكون<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نبيل بن محمد ابراهيم آل إسماعيل، علم القراءات... مرجع سابق، ص 36.

<sup>2</sup> نفسه، ص 37.

<sup>3</sup> استشهد الشيخ بن توزينت سنة 1118هـ خلال الفتح الأول لمدينة وهران، ترك تقييدا في "علم القراءات"، و هو موجود بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 2243.

<sup>4</sup> أنظر، عبد الكريم الفكون، منشور الهداية.... مصدر سابق، ص 123.

**-رابعاً: الأنصاف القرآنية:**

هي: جمع نص وهو جمع قلة على وزن أفعال، وفي الاصطلاح: مصطلح متداول بين أرباب القراءة في المغرب للتعبير عن مجموعة من القواعد التي تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها.

هذا وقد عرف علماء الجزائر موضوع الأنصاف القرآنية، وهو لا يقل أهمية ومكانة من العلوم العقلية الأخرى، فقد كان محل عناية من لدن بعض علماء الجزائر، وهو من الدراسات النادرة، أما الأنصاف هي نصوص تساعد على حفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه، فهي بذلك أداة مساعدة على حفظ كتاب الله تعالى واستنباط أحكامه رسماً وضبطاً.

**-خامساً: علم الحديث .**

استأثر علم الحديث باهتمام علماء الجزائر العثمانية منذ تمكن الإسلام من النفوس وأصبح الديانة الرسمية للسكان، لأن الحديث النبوي الشريف يحتل المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، والمصدر الثاني لاستنباط الأحكام الشرعية، وذلك باعتبار علم الحديث من الضروريات العلمية لفهم القرآن والسيرة النبوية المطهرة.

إن اهتمام علماء الجزائر العثمانية بعلوم الحديث تتمثل أساساً في محاولة معرفة وفهم أكثر عن تلك الجوانب المختلفة للنبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة حتى تتجلى الصورة المشرفة للإسلام كما عاشها وفهمها النبي الأعظم وبقية الرعيل الأول من الصحابة الكرام، فراح كل عالم يستعين بعلم الظاهر والباطن والعناية بتراث علم الحديث، وهذا يعتبر عاملاً مهماً في تعلقهم بهذا التراث<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر، ج2 مرجع سابق، ص217.

ولعل ما يبيّن اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث و ولوعهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتبار الحديث الشريف ثاني مصدر بعد القرآن الكريم مع ضرورة الحفاظ عليه من أي زيادة أو نقصان أو تحريف، هذا بالإضافة إلى تشجيع بعض الدايات وبايات بايليك الغرب بعلم الحديث ولا سيما صحيح البخاري<sup>1</sup>.

ويعتبر الباي مصطفى بوشلاغم والباي محمد بن عثمان الكبير من أبرز بايات بايليك الغرب الذين اهتموا بنشر المعارف وإنشاء المعاهد الدينية وعقد مجالس علمية يحضرها كبار العلماء والأدباء الأفاضل بقصر الباي، وسرعان ما اتخذت هذه المجالس الصبغة الرسمية خاصة خلال شهر رمضان المعظم فيستدعى إليها العلماء من فاس ومراكش ويشاركهم الباي بحديثه<sup>2</sup>، حتى أضحي هؤلاء من أوائل المصنفين لدواوين وكتب الحديث والآثار، وأحد الروافد الغنية لمصنفات المشاركة<sup>3</sup>، وفاقت عناية علماء الجزائر "بصحيح البخاري" كل عناية حتى وصلت إلى مرتبة القداسة، فتداولوه للبركة و الحفظ في المناسبات الدينية و غير الدينية في جو من البهجة و البركة برش ماء الورد في نهاية ختم البخاري<sup>4</sup>.

إن ختمات صحيح البخاري لم تكن مشهورة عند المشاركة، ولم تكن مألوفة كما هو الشأن عندنا ببلدان المغرب الإسلامي، وخاصة بالنسبة للجامع الصحيح حيث جرت العادة أن يعقد الشيوخ والمحدثون مجالس ختمية عند الانتهاء من سرد الصحيح أو تدريسه وإقراءه وشرحه، ويكون موضوع المجلس شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح، يقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهمية العلوم الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنة المطهرة وقد يؤرخ لتدوينها، ثم يتحدث عن صاحب ترجماته وحياته، ويعرف بالجامع الصحيح وكيفية تأليفه، ويتحدث عن مناسبة الحديث من الجامع، وعن سنده ومتمته،

<sup>1</sup> نفسه، ص18.

<sup>2</sup> ابن سحنون، مصدر سابق، ص240.

<sup>3</sup> مصدر نفسه، ص241.

<sup>4</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص26.

شرحاً مستفيضاً، ثم يتخلص إلى ذكر مروياته وسنده الفريد أو المتعدد للجامع الصحيح، وقد يختم المجلس بنوادر وأدعية وأشعار<sup>1</sup>.

و عندما عقد الباي محمد بن عثمان الكبير الراية للجيش في طريقه إلى فتح وهران سواء بجامع معسكر الكبير، أو بمكان رباط الطلبة والعلماء بوهران، ختم عليها أهل الله حملة القرآن الكريم مائة ختمة وصحيح البخاري، وصحبوا ذلك بالتهليل والتكبير، والصلاة والسلام على البشير النذير والدعاء بالنصر والتمكين<sup>2</sup>.

وقد دأب على عادة هذه الختمات البايات و الدايات العثمانيون بما في ذلك الباي محمد بن عثمان الكبير الذي كانت سيرته في شهر رمضان المواظبة على سماع الصحيح وحضور مجالس إقرائه بين يديه، وقد عقد مجلس حافل لختمه، و تحدث صاحب الثغر الجماني عن ذلك بقوله: " وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري، وذلك لأنه كان إذا دخل رمضان سرد القاضي وأعيان الفقهاء كل يوم سفراً من نسخة البخاري، وهي عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفراً في كل يوم سفر إلا يوم العيد وتاليه، فإذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخاري وتهياً له السلطان أحسن تهياً، وكانت العادة الجارية عندهم في ذلك، أن القاضي يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ويتفاوض بعض الحاضرين في النساء، ويلقي من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له، ولا يزالون في المذاكرة، فإذا تعالي النهار ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكمله سرداً في بيته، ومن الغد يبتدئ سفراً آخر، هكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة وقد عين لجلوسه موضع".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ابن ميمون، التحفة المرضية... مصدر سابق، ص56.

<sup>2</sup> ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني.... مصدر سابق، ص240.

<sup>3</sup> نفسه، ص115.

وقد اكتسى حفل ختم القرآن وصحيح البخاري طابع الموسم، حيث تشد إليه الرحال من كل مكان ويطعم فيه الطعام، ويلقى فيه الشيخ درسا في نصف يوم كامل يشهده علماء المنطقة، ويتلوه إنشاد القصائد في مدح البخاري وكتابه، وبالشيخ وسعة علمه، وكانت هذه الميزة في الرباطات الجهادية وفي شهر رمضان يتم خلالها قراءة صحيح البخاري وختمه.

وضمن هذا المسعى، حافظت المدن والحوضر الجزائرية على سنة إسماع البخاري وقراءته حيث تفتتح قراءة البخاري في عدة أماكن في شهر رمضان تبتدئ قراءته في مستهل رمضان ويختم بعد زوال السادس والعشرين من رمضان".<sup>1</sup>

و ما يمكننا استنتاجه، أن علماء الجزائر تركوا لنا ثروة كبيرة في علم الحديث لأنهم كانوا حريصين في أسفارهم و حجهم على دراسة هذا العلم بشكل خاص-كما أورده صاحب الثغر الجماني - في حرص الباي محمد بن عثمان الكبير على دراسة علم الحديث للطلبة، و من أبرز علماء الذين كتبوا في هذا العلم نذكر:

1/ محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد أبو راس الناصر المعسكري الراشدي.

- الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات.
- مفاتيح الجنة وأسناها في الأحاديث التي اختلفت في معناها.
- السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى.
- النور الساري في شرح صحيح البخاري، في ستة أسفار.
- السيب الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري، في أربعة أسفار.
- مختصر المعلم في شرح مسلم. في ثلاثة أسفار.

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني....مصدر سابق، ص116.

-مناعم الشفا. في ثلاثة أسفار.

- نزهة الفصائل في شرح الشمائل.

2/ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وله:

-مفتاح النظر: فيه أبحاث مع النووي في تقريبه.

3/ محمد بن علي بن أبي الشرف التلمساني: ت وله:

- المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا. توجد نسخة منه بالخرانة العامة

بالرباط تحت رقم: ك340.

4/ أحمد المقري التلمساني: ت، وقد تصدر تدريس صحيح البخاري في جامع الأزهر والمدينة

المنورة والمسجد الأموي بدمشق وله:

- فتح المتعال في مدح النعال، طبع في مدينة "حيدر آباد" سنة 1334هـ/1915م، وهو بحث في

النعال النبوية ألفه بالمدينة المنورة.

- أزهار الكمامة في أخبار العمامة.

- الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين<sup>1</sup>.

#### سادسا: علم السيرة النبوية المطهرة.

السيرة النبوية ويقصد بها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو العلم المختص بجميع ما ورد من

وقائع حياة نبي الإسلام محمد أزكى الصلاة والتسليم، وصفاته الخلقية والخلقية، مضيئا إليها غزواته

وسراياه.

السيرة لغة: تطلق السيرة في اللغة على السنة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان.

<sup>1</sup> بشير ضيف، معلمة التراث... مرجع سابق، ص56.

-اصطلاحاً: هي ما نقل إلينا من حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ ولادته قبل البعثة وبعدها و ما رافقها من أحداث ووقائع حتى موته.

وتشتمل ميلاده، نسبه، مكانه وعشيرته، طفولته وشبابه، ووقائع بعثته، نزول الوحي عليه، وأخلاقه، طريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله تعالى على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، جهاده وغزواته، وقد تكون السيرة مرادفة لمعنى السنة عند علماء الحديث، وهو ما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، كما عند علماء العقيدة وأصول الدين طريقة النبي وهديه، أما عند علماء التاريخ فأنها تعني أخباره ومغازيه.

و من أبرز علماء الجزائر في هذا الميدان نذكر:

1/ محمد بن علي بن أبي الشريف أبو عبد الله التلمساني. ت/921هـ/1515م، وله:

-المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا. مخطوط في مجلدين، وأوله:"

الحمد لله الذي جعل رتبة العلم أعلى المراتب.....الخ، المكتبة الوطنية. ج نحن رقم:2113.

2/ احمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقري.

ت.1064ه/1613م،وله:

-أزهار الكمامة في شرف العمامة.عبارة عن منظومة ذكر فيها نبذة من ملابس المخصوص

بالإسراء والإمامة.

-الدر الأمين في أسماء الهادي الأمين صلى الله عليه وسلم.

-فتح المتعال في مدح النعال. مخطوط بالمكتبة الوطنية. ج تحت رقم2202،2203.

-النفحات العنبرية في مدح فعال خير البرية صلى الله عليه وسلم. مخطوط بالمكتبة السليمانية

تحت رقم:452.

- خلاصة فتح المتعال والنفحات العنبرية. وهي عبارة عن أرجوزة تحوي على 190 بيتا.

- زبدة أزهار الكمامة. هي أرجوزة من 305 بيت.

- الأنوار وكنز الأسرار في نسب النبي المختار صلى الله عليه وسلم.

3/ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري<sup>1</sup>. ت. 1790/1205م وله:

- الرحلة الحجازية.

- لواء النصر في علماء العصر.

- حاشية على الخفاجي المصري<sup>2</sup>.

4/ أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني، ت. 1726م، وله:

- الثمار المتصهرة في مناقب العشرة - رضي الله عنهم -

- أعلام الأعلام بشفاء الآلام في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- طرز الحمائل على الشمائل.

- نظم السيرة المحمدية.

- السراج في ذكر بعض البعض من فضائل صاحب المعراج صلى الله عليه وسلم.

- رفع القدر بالاستجد بأهل بدر. مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2249، مجموع 3.

- تنوير السريرة بذكر أعظم سيرة المحمدية.

- اختصار شرح الشهاب الخفاجي على كتاب الشفا للقاضي عياض.

<sup>1</sup> هو أحمد بن عمار بن عبد الرحمن الجزائري، محدث وكان مجاورا بمكة سنة 1172هـ/1758م. ظل مجاورا بمكة حتى وافته المنية سنة 1790م. معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية - تأليف عمر رضا كحالة،... مرجع سابق ج 4، ص 219.

<sup>2</sup> عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية -... مرجع سابق، ج 4، ص 219.

-نظم أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.

-نظم الشمائل للإمام الترميذي.

-النفحات العنبرية في نظم السيرة الطبرية. نظم الخصائص النبوية تقع في ثمن مائة بيت.

5/ احمد بن محمد المبارك حسرون أبو العباس القسنطيني. ت1849م، وله:

-شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته. وعارض عدة قصائد في مدح النبي صلعم.

6/العربي بن عبد القادر بن علي أبو حامد المشرفي المعسكري.ت/ 1895م، وله:

- التقييد على الشمائل

7/ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى أبو إسحاق الأنصاري التلمساني.

ت/1291هـ-1874م،وله:

-منظومات: مخطوط في السيرة النبوية ومدائح النبي صلى الله عليه وسلم وأعياد المولد.

#### سابعا: ختمات صحيح البخاري ومناسبتها:

إن الختمات أو الختم من العادات المحمودة والسنن الكريمة المعهودة التي سجلها تاريخ الفكر الإسلامي، وعرفت مراكز الثقافة بمناسبة انتهاء العالم أو الشيخ من تدريس فن من الفنون، حيث يعقد مجلسا حافلا يسمى "يوم الختمة" يكلل به مجالس الشيخ في الفن الذي يدرسه، من نحو، أو فقه، أو تفسير، أو حديث، ويختتم فيه الكتاب الذي يدرسه لطلابه بعد أن يستعد لختمته ويجتهد في اختيار موضوعه مركزا على علومه ومعارفه، مفرغا كامل جهده وطاقته ليكون مبرزا فيه بسبب حضوره علماء البلد وشيوخها معه في ختمته، مما يدفعه لإظهار مواهبه و قدراته العلمية و المعرفية في فن المختوم".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد ابن ميمون، التحفة المرضية ...، مصدر سابق، ص53.

ومن ذلك نجد أن الشيخ الحافظ أبا رأس الناصر عندما ينتهي دروسه في تفسير الإمام الرازي مثلا يعقد مجلسا حافلا للختم بوجه رفاع الدعوة إلى عدد من الطلبة وعلماء تلك الجهة، وعندما ينتهي الشيخ من ختمه يقوم الشعراء بإلقاء قصائدهم تمجيذا له والثناء على عمله وذكر صفاته وتبريزه في الفن المختوم، كما يحمل عند نهاية المجلس على الأعناق من طرف طلبته إلى بيته في إكبار وإجلال، حيث يحتفل به رجال المدينة والعلماء ويقدم الحليب والتمر، وتقام المآدب الإكرام، كما تقدم إلى الشيخ بعض الهدايا من طرف الملوك والأمراء.

### ثامنا: علم الفقه .

عرفت الجزائر منذ فجر الإسلام بمذهبها المالكي مما جعل علماءها يدرسون ويؤلفون في أصول وفروع مذهب الإمام مالك، غير أن مجيء العثمانيين إلى الجزائر مع مطلع القرن 9هـ/16م أدى إلى ظهور المذهب الحنفي جنبا إلى جنب المذهب المالكي الغالب والمذهب الإباضي، وقد ساهمت هذه المذاهب في إثراء التراث الثقافي الجزائري من حيث الضخامة و التنوع و التسامح الذي ساد طول فترة العهد العثماني الطويل.

قامت السلطة العثمانية منذ أيامها الأولى لوضع المذهب الحنفي في الصدارة<sup>1</sup>، و فتحت للمذهبان المالكي و الإباضي حق الإشراف على شؤون الرعايا المحلية، وأنشأت لهذا الغرض مؤسسات قضائية مستقلة لكل مذهب وأخرى مشتركة تقوم على المناظرة و الإجماع مثلما هو الحال المجلس العلمي<sup>2</sup> مما أدى إلى نوع من التعايش بين المذهبيين الذي ارتكز على تقاسم المهام عموما، و هذا التعايش ظهر بين الحكام العثمانيين الأوائل و شيوخ البلد و علمائه منذ أول نزول لهم في المنطقة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ذكر ابن المفتي: أن والده" حسين بن راجب شاوش -وهو كرغلي- كان أول من تولى منصب الإفتاء الحنفي في الجزائر سنة 1102هـ/1691م، وكان بمدينة الجزائر قاضيان: حنفي وآخر مالكي، و المجلس الشرعي يتألف من القاضيين و المفتيين الحنفي و المالكي وهذا المجلس ترفع لديه النوازل و المشاكل العويصة و المنازعات الصعبة و مقر انعقادها الجامع الكبير، و يحضر فيه صاحب الجزائر لنفسه في بعض الأحيان. أنظر: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، ص91.

<sup>2</sup> أنظر: تم تعريفه، وذكر دوره وأعضاؤه في الفصل الذي سبق.

<sup>3</sup> بن حموش، المدينة و السلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، دمشق، 1999، ص81.

إن الإنتاج الفقهي في الجزائر العثمانية هو مرآة عاكسة للوضع السياسي القائم وتراجع العلوم الدينية و الدنيوية، فهو بذلك يمتاز عادة بالتكرار واستنساخ بعضه بعضا، فالفقيه عادة ما يملئ على طلابه كراسا شرحا أو حاشية وهي في الغالب مختصر خليل فكثرت هذه الإملاءات و التأليف طول العهد العثماني دون جديد أو تجديد في الأمور المستحدثة، فكان الهم الأول للفقيه أن يفيد طلابه الحاضرين بالدرجة الأولى، و كما يخلو للدكتور أبو القاسم سعد الله-رحمه الله- تسميته:"بمرض الشرح و الحاشية و هو في الواقع مرض العلم في العصر كله"<sup>1</sup>، ومن أبرز العلماء الذين خاضوا في هذا العلم نذكر منهم:

1- /احمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني. ت/929هـ-1522م، وله:

- جامع الاختصار والتبيان: توجد منه نسختان، الأولى بالمكتبة العامة تيطوان تحت رقم:710، والثانية: بالمكتبة الحسينية، الرباط، المملكة المغربية، تحت رقم:7579.
- الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين:مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، نحت رقم:2301.

2/ عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الأخضرى.ت/983هـ-1534موله:

- مختصر في فقه العبادات: هو متن اشتهر باسمه" مختصر الأخضرى"، يتعرض فيه للطهارة وأقسامها، وللصلاة وفرائضها وشروطها ويختمه بباب السهو، وهو على فقه الإمام مالك.
- يوجد منه نسختان بالمكتبة الوطنية الأولى تحمل رقم2146، والثانية تحمل رقم 399، وقد طبع متنا بالجزائر عام1324هـ، ويوجد منه نسخة بخزانة سيدي يوسف بمراكش تحمل رقم 360 وعليه شروح منها:

<sup>1</sup>سعد الله، تاريخ الجزائر...ج2، مرجع سابق، ص66.

\* شرح عبد اللطيف المسبح المسمى "عمدة البيان في فروض الأعيان"<sup>1</sup>.

\* شرح عيد الكريم بن محمد الفكون المسمى "الدرر على المختصر"<sup>2</sup>.

\* شرح صالح عبد السميع الأبى الأزهري المسمى "هداية المتعبد السالك شرح مختصر الأخضري في مذهب الإمام مالك".

\* شرح أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب، وهو شرح لطيف ناسخه ابراهيم بن محمد الزقاق سنة 1160هـ<sup>3</sup> -- تعاليق على مختصر خليل.

- متن الأخضرية: مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2146

3/ أبو العباس احمد بن محمد بن أحمد المقرئ القرشي. ت. 1041هـ/1631م، وله:

- فتاوي في الحضانة. مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2160.

4/ سالم بن أحمد ابن حمو الشريف الشاوي. ت. 1108هـ/1696هـ، وله:

- شرح المرشد المعين.

5 / احمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البونوي. ت. 1182هـ/1726م،، وله:

- منظومات في التوقيت

- إظهار القوة بإحكام الباب والقوة.

- الغوثية بإحكام بعض المسائل اللوثية.

- فتح الشيك عن مسألة لبنيك.

<sup>1</sup> توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 3220، ونسخة ثانية بمكتبة تونس تحمل رقم 1500.

<sup>2</sup> وضع عبد الكريم الفكون هذا الشرح بسبب نقده لشرح عبد اللطيف المسبح بعد إطلاع عليه، ويوجد كتاب بنفس العنوان: "الدرر على المختصر" لصاحبه عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري 1107/1197هـ وهو على مختصر السنوسي في المنطق أشار إليه في رحلته المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" ص 114.

<sup>3</sup> أشار إليه د. مختار بوعناني في مقال له بعنوان: "فهرس المخطوطات": 144. مجلة الثقافة، العدد 117-118، سنة 1999م.

- الإعانة على بعض مسائل الحضانة. مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2160.

- نور الشعة المذهب لظلام أهل الرياء والسمعة في بعض مسائل الحجر والشفعة.

- اعلام القوم بفضائل الصوم.

6/ عبد الرحمان بن إدريس بن محمد بن احمد أبو زيد المنجری التلمساني. ت 1198هـ/1783م، وله:

- شرح كتاب البيوع.

- حاشية على فتح المنان. مخطوط بالرباط، المملكة المغربية-تحت رقم: 938.

- حاشية على الجعبري.

- حاشية على المرادي

7/ محمد مصطفى بن زرفة الدحاوي ت. 1215هـ/1800م، وله:

- الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء. تناول فيه أحكام الأرض المفتوحة عنوة وصلحا، وتجارة الأمراء وهداياهم والديون ونحو ذلك مما كان يشغل بال الباي محمد بن عثمان الكبير، واختلاف علماء عصره حول الكثير من هذه المسائل الفقهية الشائكة، وبناء على هذه الخلافات الفقهية والآراء العلمية أعتمد العلم ابن زرفة على النقول العديدة حتى يمكن الباي بن عثمان من سلاح فقهي يشهره في وجه الخارجين على طاعته من قبائل متعاونة مع الأسبان(قبائل بني عامر)، و البدو من الأعراب الذين امتهنوا للصوصية والعريضة.

يحتوي الكتاب الذي ألفه سنة 1199هـ على أربعة فصول. جاء في الفصول الثلاثة الأولى:

- حقوق البايات في مسائل الضرائب و الهدايا والتجارة، أوضاع أملاك المدينين.

- الفصل الرابع: خصصه لموارد بيت المال وطريقة استعمالها، طريقة توزيع غنائم الحرب،

أحوال الأعراب المغلوبين بقوة السلاح على أرضهم ومصير هذه الأرض إذا كانت مفتوحة عنوة أو صلحا.

8/ عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله ضياء الدين الثميني. ت/1223هـ/1808م له:

-التاج المنظوم من درر المنهاج: أختصره من كتاب مختصر: "منهاج الطالبين وبلاغ الراغبين" للشيخ خميس الشقصي الوسطاني العماني "من عشرة أجزاء.

-التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل: تأليف في نوازل الأرض وأحكام عمارتها من تشييد المنازل، المدن، القرى، فتح الطرقات، غرس البساتين، تقسيم المياه، أحكام الشركات، المنقولات، حدود الملكية، تحديد المضاربات، أحكام المشاع.

-الأسرار النورانية على المنظومة الرائية لأبن نظر في الصلاة.

-الورد البسام في رياض الأحكام.

-المصباح: مخطوط في الفقه والأدب.

-النيل وشفاء العليل: مجلدان وهو عمدة المذهب الإباضي في العبادات والمعاملات، وهو في تنسيقه وأسلوبه يقارب نمط مختصر خليل في الفقه المالكي. طبع أولا بمصر على الحجر في جزأين سنة 1305هـ، ثم أعيد طبعه بالجزائر في ثلاثة أجزاء 1967/1968.

-التاج في حقوق الأزواج.

- التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل.

-الأحكام في النكاح: أختصره من كتاب أبي زكرياء بحي بن الخير.

-النفقات: أختصره من ديوان الأشياخ، تاريخ بني ميزاب.

9/ احمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي. ت/1252هـ/1836م، وله:

-نظرة الإخوان إلى احتجاج الفقهاء بالبرهان.

10/ ابراهيم بن يحيى بن محمد بن موسى أبو إسحاق التلمساني. ت. 1265هـ/1848م، وله:

- شرح الخلاف. كتاب نفيس من عدة مجلدات.

11/ احمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، ت. وله:

- رسالة في مسألة الوقف.

12/ قدور بن محمد بن رويلة الجزائري. ت. 1272هـ/1855م، وله:

- رسالة في الفقه والسياسة. مخطوط من ثمانين ورقة، وعليها تعليق لأبن الحفاف مفتي مدينة البليدة، وهذه الرسالة تبادل قدور بن رويلة مع المفتي مصطفى الكبابي التي أفتى فيها بوجوب هجرة المسلمين من البلاد التي يغلب عليها الكفار.

13/ صالح بن احمد بن موسى بن أبي القاسم السمعوني الجزائري. ت. 1868م. وله:

- اختلاف المذاهب.

- منظومة في الفقه المالكي، له عليها شرح وحاشية على الشرح.

وما يمكننا استخلاصه في هذا الفصل، أن علماء الجزائر العثمانية خاضوا في أغلب العلوم النقلية وبرعوا فيها وأضافوا إليها ونخص بالذكر علم التوحيد على يد الشيخ العلامة السنوسي الذي ظلت كتبه ومناهجه تدرس في أغلب معاهد المغرب الإسلامي، وعلم الأنصاف والقراءات القرآنية وعلم الفقه، غير أن أغلب كتب هؤلاء الأعلام مازالت مجهولة وموزعة على العواصم العربية والأجنبية.

## الفصل الرابع

العلوم الاجتماعية عند علماء

الجزائر

الفصل الرابع

العلوم عند علماء الجزائر

خلال العهد العثماني

- النوازل.
- التاريخ
- والأنساب.
- التصوف.
- الرحلات.
- النحو.
- الشعر

## تمهيد.

إلى جانب العلوم الشرعية التي انتشرت بشكل واسع وشملت جميع مناحي الحياة، أهتم علماء الجزائر بالعلوم التي يمكننا أن نسميها بالعلوم الاجتماعية لأنها تعرّضت للمسائل التي لها علاقة مباشرة بالسكان نتيجة احتكاكهم بالعناصر الأجنبية المختلفة التي استقرت بالجزائر واتخذتها موطنًا نذكر منهم على وجه الخصوص الرحالة الأجانب، التجار، القناصل و العسكريون وغيرهم من الأجناس، و من جهة ثانية تعرّض السكان لقضايا مستحدثة كنتيجة طبيعية لتطور المجتمع وعملية التأثير و التأثير عرفت عند الفقهاء ب: النوازل.

## أولاً: في النوازل.

تحل كتب النوازل الفقهية أهمية متعظمة في الكتابة التاريخية، لأنها لا تحتوي فقط على نصوص الفقه النظرية، بل أن قيمتها التاريخية الأساسية تكمن في أنها تقدم حصيلة خبرة المفتي أو القاضي النظرية منقولة إلى مواقع العمل في المجتمع، تطبيقًا وتنفيذًا في البيوت والأسواق، وقضايا التجارة والصناعة والزراعة، وغيرها من الميادين المختلفة، فهي سجل شامل لسائر مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والعمرانية، وأن النيش في هذا التراث الفقهي والحفر فيه عميقًا عما يزخر به من وثائق يشكل جانبًا مهمًا من جوانب البحث التاريخي، حيث يمكن للباحث أن يجد بغيته فيه، مهما تعددت أغراض بحثه، وتنوعت مجالات اهتمامه، فيعثر على معلومات قلما يجدها في غيره من المظان الأخرى.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> رضا ابراهيم الألفي، فتاوي النوازل في القضاء المالكي المغربي، بحث بمنشور ضمن محاضر ندوة الإمام مالك أمام دار الهجرة، فاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1400هـ/1980، ص.190.

أ-تعريف النوازل .

1/ لغة: النوازل مفردها نازلة، وهي المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس<sup>1</sup>، وقيل: النوازل من النزول وهو الحلول، يقول: نزل ينزل نزولا، ويقال: نزل بهم أمر.<sup>2</sup>  
ومن أمثلة هذه النوازل: الحرب، الوباء، الأمطار، السيول، الفتن، و ما شابه ذلك.

2/ اصطلاحا: لم يتطرق العلماء السابقون إلى تعريف "النازلة" وإعطائها وصفا دقيقا، بل تم ذكرها بدون تفصيل<sup>3</sup>، أما العلماء المتأخرين فقد عرفها العلامة "ابن عابدين" بأنها: الفتاوي و الواقعات، وهي مسائل استتبطها المجتهدون المتأخرون لما سئلوا عن ذلك، ولم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدمين".<sup>4</sup>

و عرفها الدكتور "وهبة الزحيلي" بأنها: "المسائل و المستجدات الطارئة على المجتمع بسبب توسع الأعمال، وتعقد المعاملات والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر، أو اجتهاد فقهي سابق ينطبق عليها وصورها متعددة و متجددة ومختلفة بين البلدان أو الأقاليم لاختلاف العادات والأعراف المحلية"<sup>5</sup>.

وجاء في معجم لغة الفقهاء: "المصيبة ليست بفعل فاعل، وهي الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي"<sup>6</sup>. وعموما، إن النوازل تطلق بوجه عام على المسائل والوقائع التي تستدعي حكما شرعيا، والنوازل بهذا المعنى تشمل جميع الحوادث التي تحتاج إلى فتوى تبنيها سواء أكانت هذه الحوادث متكررة أو نادرة الحدوث، وسواء أكانت قديمة أم مستجدة"<sup>7</sup>، و من أهم ما حفظته لنا الوثائق المخطوطة في مجال النوازل الفقهية:

ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التراث العربي، بيروت، ج14، ص238.<sup>1</sup>

نفسه، ج14، ص239.<sup>2</sup>

أنظر: الرسالة للإمام الشافعي، ص20، إعلام الموقعين لأبن القيم، ج4، ص172.<sup>3</sup>

رسائل ابن عابدين، ج1، ص17.<sup>4</sup>

د. وهبة الزحيلي، سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، ص9.<sup>5</sup>

د.محمد رواس قلعة حجي، د.حامد صادق قانيني، معجم لغة الفقهاء، ص441.<sup>6</sup>

د.عبد الناصر أبو بصل، المدخل إلى فقه النوازل، بحث منشور ضمن كتاب:بحوث في دراسات فقهية في قضايا فقهية معاصرة، ج2، ص602.<sup>7</sup>

1- مسألة تعاطي الحشيشة وشرب الدخان:

أثارت مسألة تعاطي الحشيشة وشرب الدخان ضجة كبرى بين علماء المغرب الإسلامي فمنهم من أباحه و منهم من كان يميل إلى الكراهية ومنهم حرّمه، و من خلال هذا الأخذ و الرد في المسائل الفقهية المثارة يمكننا أن نشير إلى ذلك نشاط فكري وتأثير الثقافي متبادل بين علماء البلدان المغاربية.

أ- موقف العلامة عبد الكريم الفكون:

جاء في كتابه: "محدد السنان في محور إخوان الدخان"، وهو يعتبر في المرتبة الثانية من مؤلفات الشيخ الفكون من حيث الأهمية، فهو عبارة عن رسالة عالج من خلالها مسألة التدخين التي بدأت تنتشر في العالم الإسلامي، وعمت هذه البلوى وأصبحت معروفة بين الناس بحكم الحلال وأصبح ينكت على مانعه، بل ظهرت فتاوى في مصر تقول بإباحة التدخين.

تقع النسخة المخطوطة في 58 ورقة بخط مغربي واضح<sup>1</sup>، يشتمل على عدة كراريس، وقد ضمنه الشيخ "الفكون" مباحث اجتهادية و نقولا من الفقهاء هاجم من خلالها العلماء الذين تسامحوا مع تناول الحشيشة وشرب الدخان وخص بالذكر العالم "الأجهوري".

يسوق لنا الشيخ الفكون سبب التأليف قائلا: "أما بعد، فقد دهمت بلية وقعت في البلاد وسرى سمها في الخاص والباد، وانتحلت مذهباً في الأقطار وتوارثتها عن سفلتها الأشرار و تدرع لارتكابها أكابر الأعمار لما توهموا الإباحة، إنها لا تعمى الأبصار، ولم يزل في قلبي منها نكد، وأشهر الإنكار على الأب والولد<sup>2</sup>... فقد داهمت بلية وقعت في البلاد وسرى سمها في الخاص والباد وانتحلت مذهباً في الأقطار وتوارثتها عن سفلتها الأشرار وتدرع لارتكابها أكابر الأعمار لما توهموا الإباحة... وسلمنا أنه يغيب العقل فجاء على حكم المفسد و المرقد، فيحرم على من يغيب عقله، و لا يحرم على من لا يغيب عقله، وهذا يختلف باختلاف الأمزجة و كثرة الاستعمال وقتلته"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الفكون، محدد السنان في محور الإخوان، ورقة: 2.

<sup>2</sup> نفسه، ورقة: 2.

<sup>3</sup> الفكون، محدد السنان في محور الإخوان، ورقة: 2.

ب-موقف العلامة عبد القادر الراشدي: ت.1194ه/1780م، وله:

- تحفة الإخوان في تحريم الدخان، رغم أنه عاش فترة متأخرة عن الشيخ "الفكون" إلا أنه أخذ برأي تحريم الدخان كما هو عادة علماء الجزائر بحكم ثقافتهم التقليدية المحافظة، أن هذه الحشيشة التي وضعت يعود تاريخها لأواخر القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري وهي أوراق شجر في بلد "تنبكت" (مالي حاليا) حرسها الله ابتلى الله بها المسلمين<sup>1</sup>.

ج-موقف الشيخ الأجهوري:

قد رجع عن قوله بحل الدخان، وهي الرسالة أثارت حفيظة الشيخ الفكون لما رآه من مباحة الحق والشرع فألف كتابه: "محدد السنان" لدحض أدلة الأجهوري، وقد ذكرت رسالة الشيخ من طرف الرحالة سالم العياشي في رحلته<sup>2</sup> قائلا: "... ومن تأليفه جزء في تحريم الدخان أسماه محدد السنان في محور إخوان الدخان، وهو في عدة كراريس مشتمل على أجوبة عدد من الأئمة وقد لخصنا بعضه حسب ضيق الوقت"<sup>3</sup>.

د-موقف أبييراس الناصر:

سئل أبو راس بمجلس علماء الجزائر ب"الجامع الأعظم" سنة أربعة عشرة ومائتين وألف عن القهوة والدخان، فأجاب: أنها تحرم بسبب عدة عوارض ومنها:

-إدارتها على الجلاس كإدارة الخمر، فيسري لهم التشبه بشربه، و يكون لها منادمة كهو.

- ومنها: أن بعض بائعيها يخلطها بشيء من المفسدات، على ما قيل.

- ومنها: جلب الأراذل وتلاهيهم بها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد القادر الراشدي، تحفة الإخوان في تحريم الدخان، ص58.

<sup>2</sup> عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، 1661-1663م، حققها و قدم لها د.عبدالفاضلي، د.سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبو ظبي الإمارات المتحدة ج2، ط1، 2006، ص395.

<sup>3</sup> العياشي، الرحلة العياشية...مصدر سابق، ص396.

<sup>4</sup> ابوراس الناصري، فتح الإله...مصدر سابق، ص160.

هـ- موقف الورثياني من مسألة شرب الدخان.

ذكر العالم الورثياني: إن الدخان الذي شاع في الآفاق أنفق أكثر العلماء على تحريمه وهو الصحيح إن شاء الله، لما اشتمل عليه من المفساد ولا منفعة فيه أصلاً، واتفق أرباب القلوب شرقاً وغرباً على التنفير منه وكرهته، ولا يزل الأمراء مجتهدين في قطعه و مع ذلك فلا يزداد إلا شهرة، بل الخمر المحرم بالكتاب والسنة والإجماع قد اشتهر في كثير من الأمصار، و عمت البلوى به غالب الأقطار فالاستدلال بالشيوع وعدم قطع الولاية والحكماء على الإباحة<sup>1</sup>.

\* موقف العالم الورثياني في مسألة شرب القهوة<sup>2</sup>.

ذكر الرحالة حسين الورثياني آراء و مواقف العديد من علماء المشرق بما في ذلك أهل الحجاز في مسألة شرب و تناول القهوة التي يرون فيها الإباحة في شرب القهوة بفتاوى و ذرائع مختلفة، ونحاول من خلال هذه الرسالة إبراز هذه الفتاوى المختلفة التي ذكرها الورثياني.

ويرى الورثياني أن أكثر العلماء مائلون في مسألة القهوة إلى الإباحة وترشح قولهم بفعل أكثر الصوفية مع تورعهم في المطاعم والمشارب زاعمين أنها تعين على السهر في العبادة، ويستعين بها الطلبة كثيراً في المطالعة الليلية.

والحاصل أن الشاربين لها فريقان يشربونها في أماكن معدة لذلك، مزخرفة قلماً تخلو من لهو حضور من لا يحلّ حضوره من الجوّاري، والمراد هؤلاء الحامل لهم على شربها:

-إتباع الأهواء و التلذذ بها قارنها من الأمور المذمومة، فلا يبعد أن يقال أنها في حق هؤلاء محرمة لا لذاتها بل لما قرنها.

-فريق يشربونها من غير جلوس مع الفريق الأول، فهؤلاء الحامل لهم على شربها، الفهم لها حتى أنهم ربما يتضررون ضرراً خفيفاً بتركها كما يتضرر من آلف الحجامه بتركها، ومن آلف شرب

1 محمد الورثياني، الرحلة الوثيائية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج2، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، ط1، 2011، ص54.  
2 نفسه، ص55.

المسهل) العسل) بتركه، وغير ذلك من الأمور التي يعتادها الناس و يحملهم عليها أيضا تحصيل المنافع التقدمة من الاستعانة على السهر"<sup>1</sup>.

ذكر الورثياني: "...رأيت في مكة كلاما لأبن حجر الهيتمي المكي في إباحة القهوة، بالغ فيه بالثناء عليها وذكر محاسنها، و كان من جملة ما ساقه مساق الاستدلال على أنها مباحة و أنها من شرب الصالحين و معينة على العبادة أن كثيرا من السلاطين والولاة والحكام قد بالغوا في إرادة قطعها والنداء عليها في الأسواق أن لا تشرب ولا بد من لإراققتها، و زجروا عليها بأنواع الزجر، ومع ذلك لم تزد إلا شهرة وشيوعا في البلاد، فدل ذلك على أنها من شرب الصالحين وأنه قد شمل نظر مخرجها ومبدعها فلا يقدر أحد على قطعها أو كلاما هذا معناه لطول العهد به"<sup>2</sup>.

\*موقف: العالم أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني: ت. 1041هـ/1631م، وله،

- "أجوبة في اجتناب الدخان"، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، تحت رقم: 7579.

و بناء على ما سبق، إن مسألة شرب الدخان التي انتشرت بين الأهالي واستشرى أمرها وانتشر كالهشيم وأصبحت حديث العلماء يتناقشون حولها ويتناقلون أخبارها من بلد لآخر بين التحريم والإيجاز، إلا أن الحكام العثمانيين لم يأبهوا لهذه المسألة المنافية للتقاليد المتوارثة رغم المعارضة الشديدة التي أبدتها الكثير من العلماء، ويذكر صاحب "تاريخ الجزائر الثقافي"، بأن هؤلاء الحكام لم يمنعوه و لا منعوا سماع الغناء والطرب بحضور النساء"<sup>3</sup>.

### ثانيا: علم التاريخ .

عرف ابن خلدون التاريخ أنه: "فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، وكثيرا ما وقع للمؤرخين و المفسرين، وأئمة النقل، المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها

<sup>1</sup> محمد الورثياني، الرحلة الوثيلانية....مصدر سابق، ص56.

<sup>2</sup> نفسه، ص78.

<sup>3</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص462.

على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار"<sup>1</sup>.

الواقع التاريخي والحضاري أثبت أن التاريخ لم يرق إلى مستوى علم له ضوابطه العلمية والمنهجية مثلما هو عليه الحال اليوم، وكان الأقدمون ينظرون إليه نظرتهم إلى ديوان أخبار ولم يعدوه علما له قواعده وأصوله وأسسها ومناهجها.

وبناء على ما سبق، ما هو التاريخ؟، وما هي النواحي التي سلطت أضواء التاريخ عليها؟، هل يعتبر التاريخ مجرد سرد للحوادث بترتيب كرونولوجي وبالأسلوب الإنشائي؟، وهل التاريخ موعظة دينية تتحدث عن القوى العلوية- الغيبية؟، وهل للتاريخ فائدة علمية وعملية؟.

في الحقيقة إن التاريخ علم يمكن الانتفاع به لتوسيع المدارك وتعويد الناس العدل في الحكم، ووضع الأحداث والأشخاص في وضعها الصحيح على مسرح الشؤون العامة، فالتاريخ يكسبنا صحيحا لما هو عارض مؤقت بالقياس إلى ما هو أبدي في حياة الإنسان"<sup>2</sup>، و التاريخ لا يمكن الاستغناء عنه لمن يريد معرفة العالم كله بخباياه وظواهره وغرائب ما يحيط به من مظاهر الحالية الدينية والأبدية"<sup>3</sup>.

أن التدوين التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني يتطلب دراسات متعددة ومتكاملة لا تخلو من صعوبات منهجية كما تحتاج إلى التحليل والتقييم، ولعل أبرز ما يواجه الباحث في الحركة العلمية هو ندرة المراجع التاريخية فأغلبها لم تر النور وهي لذلك مازالت مخطوطة أو مبعثرة في المكتبات الجزائرية والأجنبية، فالمؤرخ أبو القاسم سعد الله يؤكد في هذا الصدد: "...فهل نستغرب بعد ذلك أن نقرأ في الأخبار أن الصناديق المتعلقة بالآداب والفنون والتعليم قد ضاعت من أرشيفات العهد العثماني التي كان يملكها الفرنسيون؟"<sup>4</sup> وكما ضاعت هذه الوثائق الأساسية لدراسة الحياة الثقافية ضاعت أيضا المخطوطات التي تركها علماء الجزائر أثناء نبش وبعثرة المكتبات الخاصة والعامة في الحروب التي

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2001، ص13.

<sup>2</sup> د.فاطمة قدورة الشامي، علم التاريخ، تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2011، ص166.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص158.

<sup>4</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر....، ج1، مرجع سابق، ص21.

رافقت الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد أصبحنا لا نعرف عن بعض هذه المخطوطات إلا ما ذكره عنها المستشرقون الفرنسيون وضباط المكاتب العربية والمترجمون، والذي لم يذكره وحملوه معهم إلى بلادهم أعظم.<sup>1</sup>

فبالإضافة إلى تسرب الكتب التاريخية من الجزائر وهجرة العلماء الجزائريين إلى البلاد العربية والإسلامية بعد الاحتلال، هناك عدم اهتمام بكتابة ودراسة التاريخ حتى أصبح عند البعض "أمرا مضحكا"، فعدم الاهتمام بكتابة التاريخ والتأريخ للأحداث يعكس في الحقيقة تدهورا عاما في الحياة العلمية لذلك لم يتحرر الكتاب الجزائريون من طريقة أسلافهم القدامى في المشرق والمغرب، وظل هؤلاء يستقون معلوماتهم وتواريخهم من المؤلفات السابقة لعهدهم دون ذكر للتطورات التاريخية الكبرى، أو العناية بربط الأحداث بعضها ببعض وربط الصلة ببعضها في إطار عملية التأثير والتأثر بالواقع والمحيط المعاش مما يساهم في فهم العملية التاريخية وبالتالي النظر إلى الأحداث في إطارها العام والشامل بعيدا عن روح المحلية والجهوية. فقد جرت كتابة التراجم على نفس ما كان يجري في العالم الإسلامي من تراجم للرجال الدولة والعلماء و الصلحاء والأعيان، بينما حياة الشعوب وأوضاعها الاجتماعية فلا نجد لها أثرا.

وضمن هذا الإطار، هل يمكننا الكلام عن علم التاريخ بالجزائر؟ أم هناك مجرد عملية سرد لأحداث تاريخية عرفتها منطقة من مناطق، أو مدينة من المدن وفق رؤية جهوية ومناطقية؟

الواقع التاريخي ثبت أن الكتابة التاريخية تواصلت على يد مجموعة من المؤرخين، وأنها لم تتعش الحياة الفكرية والثقافية التاريخية بحكم أن غالبية المؤرخين الجزائريين لم يكونوا من المختصين في الكتابة التاريخية وأن معظمهم فقهاء وقضاة ومدرسين حملوا على عاتقهم مهمة إحياء التاريخ بفضل تشجيع الحكام لهم فلم يتحرروا من الكتابات السابقة ولم يميزوا بين التاريخ والقصص والأدب والتراجم وإنما ظلوا يجمعون بين فن الكتابة التاريخية وبين غيرها من الدراسات الأدبية والتصانيف المتنوعة، وكانوا يمارسون الشعر في شتى المناسبات، لذلك كانوا جميعهم تقريبا مقلدين لأسلافهم فهم

<sup>1</sup> نفسه، ص 22.

يجمعون الأخبار والحوادث دون محاولة تعليلها تعليلا عقليا أو محاولة ربط بين الحوادث التاريخية الخطيرة التي شهدتها الجزائر<sup>1</sup>.

و عموما أن علماء الجزائر أرحوا للأحداث البارزة التي عرفتها الجزائر العثمانية نذكر منها:

أ- فتح وهران سواء الأول على يد الداوي محمد بكداش<sup>2</sup> 1119هـ/1708م، أو الثاني على يد الباي محمد بن عثمان الكبير 1206هـ/1792م، حيث نوه العديد منهم بهذا الفتح، فأفردوا له عدة تأليف، وملاحم، وقصائد، منها ما جمعه الأديب محمد بن ميمون الجزائري وسماه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" والذي ترجم فيه للبasha الفاتح، وما جمعه أيضا المؤرخ أبو رأس الناصري في تأليفه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" وكتاب "الحلل السندسية في فتح وهران والجزيرة الأندلسية"<sup>3</sup>، ابن سحنون الراشدي من خلال: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني الذي ضمّه أحداث الفتح الثاني لوهران 1206هـ /1792م، ويذكر عبد الرحمن الجامعي: "كنت وفدت عقب الفتح الأول على العالم أبي عبد الله سيدي مصطفى الرماصي القلعي، فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس الجبل يأوي إليه ليلاً ويظل نهاراً في داره ومسجده يطالع كتبه، ويقرئ طلبته فسألته عن ذلك، فقال: "كنا على هذه الحالة على عهد النصارى خوفاً منهم، لأننا كنا لا نأمن منهم في الدور من أن يصلونا ليلاً، فخرجنا لبيوت الشعر ليسهل لنا الفرار إلى الغابة ففتمتّع منهم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر....، ج1، مرجع سابق، ص24.

<sup>2</sup> بكداش أو بكتاش: كلمة تركية معناها: الحجر الصلب ولما وصل إلى الجزائر سماه الشيخ قاسم بن ساسي البوني (عناية) محمداً، تولى محمد بكداشدايا على الجزائر سنة 1118هـ 1707م، وتوفي مغتالاً سنة 1122هـ/1710م على يد الداوي دالي إبراهيم. ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص:112.

<sup>3</sup> حمدادو بن عمر، الجزائر المدينة من خلال الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لابن سحنون الراشدي، مجلة الحضارة الإسلامية، الصادرة بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، ع12، 1426 هـ /2005م، ص ص: 313-314.

الجامعي عبد الرحمن، فتح وهران، ج1، تحقيق مختار حسني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003، ص96.

ب- تشجيع حركة النسخ والتأليف، خاصة في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير الذي يعد من أشهر البايات، الذين شجعوا هذا العمل الثقافي، إذ كان يأمر باختصار الكتب المطوّلة، ونسخ المخطوطات النادرة النفيسة، وبتدوين غارات النصارى على مدينة الجزائر في عهد الأتراك<sup>1</sup>.

ج- دفعت الأوضاع الداخلية ببايليك الغرب أثناء الاحتلال الإسباني لمدينة وهران ببعض المؤرخين إلى تناولها في كتاباتهم، ونخص بالذكر عبد القادر المشرفي، ، ومسلم بن عبد القادر الوهراني، وأحمد بن سحنون الراشدي في كتابه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وعالم الراشدية أبو رأس الناصري في كتابه: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، وأن هؤلاء عالجا قضايا سياسية، واجتماعية وثقافية واقتصادية متعددة نظرا لطبيعة الأحداث المصيرية التي هزّت الجزائر العثمانية.

أهمية المصادر المحلية في التأريخ للوضع الداخلي بالجزائر:

من خلال دراسة واستقراء المصادر التاريخية يتبين لنا أن مؤرخي العهد العثماني كانوا جميعهم تقريبا موظفي السلطة الحاكمة يمجّدونها لأنها هي التي تقود في نظرهم - الجهاد والدّود عن العقيدة وتحمي الديار، غير أن هذه المعلومات التي قدمتها المصادر تعتبر شحيحة أغلبها إجازات في العلوم الدينية، لذلك نجد أن أعداد الكتب التاريخية فيها لا تكاد تذكر مقارنة بكتب النوازل والأحكام، بما في ذلك غياب الإسناد عند مؤلفي ومؤرخي الجزائر مما يجعلنا نهمل الكثير من كتب والأحداث التاريخية الهامة في تلك الحقبة التاريخية، و من جهة أخرى اهتم العلماء بالشكل على حساب المضمون، ف جاء التعبير ضعيفا وركيكا مليء بالمرادفات والتكرار مثل قول ابن هطال على سكان الأغواط: " وطلبوه أن يرحل عنهم ويخلف من يأخذ منهم ويبقى رهائنهم تحت يده فوافقهم فيما رغب وهو أجابهم لما طلبوه لشؤم بلادهم وقبح أرضهم"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>دوّن المؤرخ بن رقية التلمساني الجديري بأمر من الباي محمد بن عثمان الكبير وقائع وغارات جنود النصارى على مدينة الجزائر ضمنها تسع وقائع عسكرية أوروبية استهدفت مدينة الجزائر ما بين سنوات 1516م - 1775م، حيث انتهى من تنظيمها ونسخها في جمادى الثانية سنة 1194 هـ/ جوان 1780. ينظر: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة".

<sup>2</sup>ابن هطال التلمساني، رحلة الباي بن عثمان الكبير.....مصدر سابق، ص66.

ورغم هذه العوائق، قدم لنا هؤلاء المؤرخون معلومات قيّمة لا تقدر بثمن عن الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية في الجزائر سواء تعلق الأمر بالاضطرابات والفتن السياسية التي اجتاحت البلاد، حروب الجزائر الداخلية والخارجية، الحملات الأوروبية ضد الجزائر، موقف الباشاوات والأغوات والدايات منها، عقد الاتفاقيات العسكرية والتجارية مع الشركات الأوروبية، ولم تبخل علينا هذه المصادر المحلية في تسجيل أحداث مختلفة حتى بذكر الأقليات الدينية التي كانت تعيش في الجزائر بين السكان المحليين ودورها الاقتصادي والسياسي وموقف الحكام العثمانيين منهم، وضمن هذه الكوكبة من المؤرخين الجزائريين نذكر منهم على سبيل المثال:

-1/مسلم بن عبد القادر الوهراني<sup>1</sup>. توفى سنة 1248هـ/1832م، وله:

-تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر: مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم:1893، عدد الأوراق:45 قام بتحقيقه وإخراجه الأستاذ رابح بونار، مع العلم أن الكتاب قد ضاع من صاحبه ولم يبق منه إلا الخاتمة.

يمتاز الكتاب بأنه المصدر الأساسي الذي روى لنا الأحداث الأخيرة للحياة السياسية التي كانت بمدينة وهران مسرحا لها، لقد دونها الكاتب وهو شاهد لها ومطلع على ملابسها وظروفها، ووصفها وصفا دقيقا وذكر منها الحروب العنيفة التي دارت بين البايات الدرقاويين، بالإضافة إلى الأحداث المفصلية الأخرى التي عرفها البايليك مثل المجاعات والأوبئة التي عصفت بالآلاف السكان، كما يبين لنا "تاريخ بايات وهران" صورة صادقة وواضحة عن تدهور الوضع السياسي بعد الباي محمد بن عثمان الكبير محرر وهران من الأسبان الذي يعتبر بصدق العصر الذهبي لمدينة وهران والمقاطعة الغربية.

<sup>1</sup> هو مسلم بن عبد القادر الحميري الوهراني، لا يعرف عن حياته الخاصة سوى أنه تولى في شبابه وظيف "خوجة" الأغا المزاري أحد قواد المخزن الأتراك بنواحي وهران قبل أن يترقى إلى منصب رئيس الكتاب "باش كاتب" لدى الباي حسن بن موسى آخر بايات وهران. شارك مسلم بن عبد القادر في قوة عسكرية أرسلها الباي إلى مدينة الجزائر للتصدي للغزو الفرنسي 1830م، و عندما رجع إلى وهران قبل سقوطها في أيدي الفرنسيين ليستقر "بعين تموشنت" حيث وافته المنية سنة 1832م. أنظر: سعيدوني، من التراث التاريخي... مرجع سابق، ص470.

-محتويات المخطوط: يحتوي المخطوط على أخبار ومعلومات حول المقاطعة الغربية عامة، والأحداث التي عصفت بالمدينة عقب استرجاعها من الأسبان على يد الباي محمد بن عثمان الكبير وعلى عهد محمد عثمان باشا داي الجزائر 1792م، وتمتد هذه الفترة التاريخية من 1778-1832م، وأهم ما جاء في المخطوط:

-تاريخ مدينة وهران قبل الفتح الإسلامي.

-وهران تحت الاحتلال الإسباني.

-محاولات متعددة لفتح مدينة وهران.

-محمد باي الكبير وفتح مدينة وهران.

-جدول بايات مقاطعة الغربية في العاصمة: مازونة-قلعة بني راشد-معسكر -وهران بعد الفتح

الأول 1118هـ/1706م -ثم مستغانم، ثم معسكر، ثم وهران بعد الفتح الثاني 1206هـ/1792م-ثورة التيجاني-الثورة الدرقاوية- بنو عامر -معركة أولاد الزائر-حركته لتونس التي كانت عليه شقوته- هجوم الإنجليز على مدينة الجزائر<sup>1</sup>.

2/عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن الشيخ أحمد بوجلال المشرفي. توفي يوم الخميس

10 رمضان 1192هـ/أكتوبر 1778م ودفن بقرية الكرط بضواحي معسكر. من أكابر علماء وقته، واشتهر

بالفقه و التصوف والأدب، عين مدرسا بمعهد الشيخ محي الدين في زاوية القيطنة بوادي الحمام مدة من

الزمن، ثم أسس لنفسه زاوية أو معهدا علميا في مسقط رأسه بقرية الكرط أصبحت في مستوى زاوية

الشيخ محي الدين. تتلمذ على يديه علماء أجلاء منهم أبوراس الناصر الذي قال عنه: "... انتفع به

خلق كثير شريفة و حقيقة و برهانا و طريقة، له دروس حسنة بسلس عبارة، و أطف إشارة، يرفع

<sup>1</sup> مسلم بن عبد القادر الوهراني، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، المكتبة و.ن.ت. الجزائر، 1974، ص81.

الإيراد و يبلغ المراد<sup>1</sup>. كان يملك القدرة على الكتابة نثرا، عرض عليه القضاء مرارا لكنه لم يقبل حسب ما ذكره أبوراس رغم أنه كان يفتي للعامة من الناس و الخاصة،وله:

-بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من أعراب كبني عامر: مخطوط بمكتبة بلدية وهران تحت رقم:429، وهي ذات حجم متوسط وخطها مغربي جيد، وواضح جدا لونه أسود، تحققه وتقدمه "الأستاذ محمد بن عبد الكريم، و هناك نسخة ثانية مطبوعة بالمجلة الإفريقية) (العدد:65 سنة1924) التي قام بنشر نصها العربي و ترجمته إلى اللغة الفرنسية الأستاذ بودان: M. Bodin.

-محتويات المخطوط:

الفصل الأول: ذكر الأسباب-وأصلهم-وموطنهم.

\* ويعرف بنسبهم، وعددهم، ومهمتهم القائمة على النخاسة، يبيعون الناس إلى الأسبان، والتجسس

لصالح الأسبان(المغاطيس)<sup>2</sup>.

-العنصر الثاني:

ذكر قبائل بني عامر، أصلهم، نسبهم،موطنهم، أعمالهم اتجاه السكان ضواحي وهران طيلة استيلاء الأسبان على المدينة، ولخص المشرفي القبائل المتعاونة مع الأسبان بقوله:"إن هؤلاء الفرق الثمانية الضالة هم كريشتل، شافع، حميان، غمرة، قيزة، أولاد عبد الله،أولاد علي، الونازرة، لما اجتمعوا عند الأسبان وصاروا على كلمة واحدة في الدفع والجلب...فكانوا عيون العدو الذين يتطلع بهم على عورات المسلمين، وأعوانه الذين يشنوا بهم الغارات"

<sup>1</sup> أبوراس الناصري، فتح الإله و منته...مصدر سابق، ص53.

<sup>2</sup>المغاطيس: إن قبائل بني عامر كانوا يأتون بدوابهم بصفة بائعين للطور للتجسس وإذا وجدوا أخبارا نقلوها إلى الأسبان، و كانوا يخطفون الصغار أو الكبار و يضعون الجلود على أفواههم حتى لا يتكلمون و يبيعونهم إلى الأسبان و ينتفعون بثمنهم. أنظر: عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من أعراب كبني عامر، تحقيق محمد بين عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1984.

-العنصر الثالث: الحكم الشرعي بالنسبة لمواقف- بني عامر- بجانب الأسباب وبقي متعاوناً معهم، أو تاب توبة نصوحاً وندم على فرط منه. يقول المشرفي: "و العجب العظيم مع هذا التلاعب بالأديان و مولاة الكافرين لهم بالخدمة و النصيحة و المبايعة لهم على الطاعة والإذعان والإعانة لهم في أمورهم و تقوية سوادهم والاستضاءة بنارهم...كانوا يعتقدون أنهم على الإسلام .

3/ أبوراس الناصر العسكري، وله:

-زهرة الشماريخ في علم التاريخ<sup>1</sup>:

لا يوجد تاريخ محدد لزمان تأليف المخطوط، ولكن يمكن استنتاج تاريخه من بعض إشارات التي تضمنها المخطوط إلى سنة 1227هـ/1812م تاريخ رجوعه من حجته الثانية، و قد تكررت الإشارات في أكثر من مرة في المخطوط قوله: "وقد زرنا قبره بالقدس من الجهة الغربية سنة سبع وعشرين ومائتين وألف (ص54، صص104-105)."

ماهية العنوان: شماريخ معناه العذق عليه بسرا أو عنب، وشمريخ العذق أي خرط شماريخه.

الشمريخ: ج شماريخ، هو غصن دقيق رخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ، وقد يكون بمعنى رأس الجبل وأعلى السحاب.

**محتويات المخطوط:** ذكر أبوراس في مقدمة كتابه الأسباب الذي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب ومنها: الإهمال وعدم العناية بعلم التاريخ، فيقول: "وأن النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان وأندراسا، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلافا كثيرا في الأمة الواحدة لاختلاط الأنساب واختلاف المذاهب وتباين الدواعي"<sup>2</sup>.

يحتوي مخطوط: زخر الشماريخ في علم التاريخ" موضوعين رئيسيين هما، علم التاريخ والأنساب الذي يتمتع أبوراس فيهما بباع طويل وفي معرفة أخبار الأمم السابقة، وأجناسها، و يذكر ضرورة

1 توجد نسخة من المخطوط بمكتبة بمعسكر - وهي نفس النسخة الموجودة عند الأستاذ: الحبيب بن يعقوب أحد المهتمين بالتراث الوطني ومنطقة معسكر على وجه الخصوص، يحتوي النسخة على مائتين وأربع وعشرين 224 لوحة ذات وجه واحد، ولا يوجد بها توحيد لعدد الأسطر ويتراوح عدد الأسطر في كل ورقة ما بين 19 و20، باستثناء الورقتين الأولى والأخيرة من المخطوط.

2 بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند أبي راس الناصري من خلال مخطوط "زهر الشماريخ في علم التاريخ"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2008/2009م، ص88.

معرفة أخبار الأمم السابقة:"أن أخبار الأوائل ومعرفة أجناس الناس والقبائل من أهم ما يعتني به ويدخر"<sup>1</sup>.

وفي بيان فوائده يذكر-أبوراس:"أن البحث عن علم التاريخ ممن تقدم شأن الأدباء الأفاضل من أولى بصيرته، وقد اعتنى به أهل كل طبقة وجهابذة كل ملة من صلحاء السلف وحذاق الخلف...، في كل عصر عصابة هم أهل إصابة فألفوا وأجادوا"، وعليه، فالتاريخ عند أبوراس مطلوب لفوائده، الغاية منه الاعتبار واستخلاص التجربة والدروس والعظات من الأولين.

\*المواضيع التي تضمنها المخطوط: تناول المخطوط عدة فصول ومواضع رئيسية نذكر منها:

\* فصل خاص بالخبر عن العرب: تناول ذلك في موضوعين مختلفين، ذكر العرب العاربة وسبب تسميتها بذلك: فهي بمعنى الراسخة في العربية وأرضها جزيرة العرب.

\* العرب المستعربة وهي قسمان:

أ-القسم الأول: قحطان ونسله وهم من الجيل الأول أي العرب العاربة.

ب-القسم الثاني: إسماعيل عليه السلام ونسله لقنوا اللغة العربية.

\* فصل خاص بالأنبياء: منهم ابراهيم الخليل ويعقوب وسليمان عليهم السلام، وحديث عن حكام بني إسرائيل وكيف جمع طالوت فرقتهم في ولايته بعدما ضيعوا الشريعة.

\* فصل خاص بالفرس ودولهم العظيمة، وهم أربع طبقات.

\*فصل بدول اليونان والروم واللطينيين (اللاتينيين).

\* فصل خاص بالخبر عن ملوك الموصل ونيوى وبابل المذكورون بالقرآن الكريم.

\* فصل خاص بالخبر عن ملوك التبابعة من حمير.

\* فصل خاص بالخبر عن ملك الحبشة لليمن وتأمير كسرى على اليمن.

<sup>1</sup>بكري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية...مرجع سابق،ص89.

\* فصل خاص بالبربر وزيادات.

\* فصل خاص بملوك الأندلس.

\* فصل خاص بالسودان.

\* فصل خاص بالخبر عن الحكمة والمؤرخين والسحرة وعمن تولى الملك من النساء وملوك

الجاهلية وأعاجيب البناء قبل الإسلام<sup>1</sup>.

\* فصل خاص عن الأديان في الجاهلية: يعرض فيه أولى العبادات قبل الإسلام، حيث كانت الأمم

تصور إلهها من واقعها المعاش. ومن مؤلفاته الأخرى في علم التاريخ نذكر:

-درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة.

-الحلل السندسية فيما جرى بوهران والجزيرة الأندلسية<sup>2</sup>:

يضع بين أيدينا مجموعة من القصائد التي قيلت قبل فتح وهران الأول، وكذلك تاريخ وهران خلال العهد الإسلامي من خلال أهم القبائل التي استوطنتها وعلى رأسها قبيلة مغراوة، بالإضافة إلى الدويلات الإسلامية التي توالى على حكمها وأهمها: الموحدون، المرينيون، الزيانيون ثم يعرج ليخوض عن تاريخ الوطاسيين والسعديين، ويسهب في الحديث عن الأسبان ودولتهم وتاريخ وجودهم بسواحل المغرب العربي، وأسباب احتلالهم لها من خلال الصراع المسيحي- الإسلامي، وهذه الحوادث التاريخية المؤلمة ساعدت أبو رأس لاسترجاع تاريخ الفتوحات الإسلامية بالأندلس، والتي أسهب في ذكر مدنها وعلمائها والحروب المريرة التي خاضها المسلمون أثناء سقوط الأندلس"

-القصص المغرب والخبر المغرب عن الحال المغرب بما وقع الأندلس وثغور المغرب.

-غريب الأخبار عما كان بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار.

-عجائب الأخبار في لطائف الأسفار عما جرى بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار.

أنظر، بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية....مرجع سابق، ص90<sup>1</sup>  
2 أبو راس الناصري، الحلل السندسية فيما جرى بوهران والجزيرة الأندلسية، ترجمها إلى الفرنسية الجنرال فور بيقي، طبع بمطبعة ببيير فونتانا، الجزائر، 1320هـ/1903م.

- روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان في أخبار الأندلس ووهران.
  - ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس.
  - الزهرة الوردية في الملوك السعدية.
  - الزهرة السماوية في أخبار الملوك العلوية.
  - المسلك المروم في أخبار الترك والروم.
  - نور الاقتباس في ذكر ملوك كل جنس من الأجناس.
  - فتح الرحمان في شرف بني زيان وذكر فروعهم إلى هذا الزمان.
  - العز المتين في ذكر ملوك بني مرين.
  - فتح الجواد في الفرق بين آل زيان وآل عبد الواد وذكر ملوكهم الأوطاد.
  - لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان.
  - النور الأتقب في طبقات العرب.
  - القصص العماتة في ذكر البربر وزناتة.
  - القول الأسرب في أخبار أصول وفروع العرب.
  - الكلام الفشاش في أخبار سائر المدن والقرى والأعراش.
  - إزالة الصمم في الفرق بين العرب والعجم.
  - النقل الواضح المشهور من بدء الخليقة إلى النفخ في الصور<sup>1</sup>.
- \* أما كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"<sup>2</sup> -لنفس المؤلف- فيعتبر بحق مستودعا للأخبار التاريخية رغم كونه لم يشمل جميع الأخبار المتعلقة بفتح وهران الثاني، فجاء تأليف الكتاب أقرب إلى

<sup>1</sup>Arnaud.Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohamed Abou Ras.R.A.. Annee1878.p434.

<sup>2</sup> أبوراس الناصر، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، ج1، تقديم و تحقيق محمد عالم، م. و ف . م، الجزائر، 2005.

الرحلة بحيث تقاطعت المباحث الأدبية بالمباحث التاريخية، وكان القصد من التأليف شرح قصيدته "نفيسة الجمال" التي قرأها على مسامع الباي محمد الكبير فدعاه هذا الأخير إلى توضيح معانيها وألفاظها.

ذكر الصراع بين العثمانيين والأسبان في شواطئ المتوسط منذ سقوط الإمارات الأندلسية، ومحاولة الباشا إبراهيم و الباي شعبان استرجاع وهران، وكذلك أرّخ لفتح وهران الأول على يد محمد بكداش، وكيفية عودة الأسبان إلى وهران 1732م ونتائج ذلك، وما يجدر ذكره أن مخطوط "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" أخذ حيزا كبيرا من المجلة الأفريقية، فصدر أول مقال في المجلد تحت رقم 22 سنة 1878م، وآخره في المجلد رقم 28 سنة 1884م وبذلك تمت عملية النشر خلال 6 سنوات، وهذا ما يبرهن على أهمية الكتاب.

\*فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، 1990م. محتوى الكتاب:

-الباب الأول: ابتداء أمري.

-الباب الثاني: في ذكرى أشياخي النافضين عني قشب أوساخي شريعة، وحقيقة، وقرآنا، وطريقة.

-الباب الثالث: في رحلتي للمشرق والمغرب و غيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، و ما جرى لي معهم من المراجعة والكلام.

-الباب الرابع: في الأسئلة وما يتعلق بها.

-الباب الخامس: المسمى ب"المسجد والإبريز" في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز.

4/ أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني: وفاته، أستشهد في معركة: "فرطاسة"<sup>1</sup> في ربيع الأول 1219هـ/1804م وله:

<sup>1</sup>قرية تقع ما بين وادي مينا و وادي العبد تجمعت فيها القبائل المحلية بزعامة بن الشريف الدرقاوي 1219هـ/1805م وألحقت بجيش الباي مصطفى العجمي "هزيمة نكراء نتج عنها مقتل خلق كبير من الجيش العثماني، منهم: كاتب الباي العالم الجليل الحاج أحمد بن هطال التلمساني، وأبو عبد الله محمد الغزلاوي. تبعد فرطاسة 60 كلم على مقر ولاية معسكر وأصبحت تسمى ب: وادي الأبطال" ضمن التقسيم الإداري الجديد.

- رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري: مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1643، مخطوط حجم مربع صغير، خط مغربي واضح جيد، لونه أسود في كل صفحة 17 سطرا، وهذه النسخة نقلها محمد بن البشير التلمساني وقدمها وحققها محمد بن عبد الكريم سنة 1969، القاهرة.

- محتويات الكتاب:

- التعريف بالباي محمد بن عثمان الكبير. اسمه-كنيته-لقبه.

- دور الباي محمد بن عثمان في الحكم.

- مدة مكث الأسبان بوهران.

- استعداد محمد بن عثمان لفتح وهران.

- أعماله وانجازاته.

- اعتناؤه بالبناء و التشييد.

- مكانته بين رؤساء الدول.

- أوصافه الحسية وأخلاقه المعنوية.

- ذكر (المحلة).

5/ محمد بن ميمون الجزائري<sup>1</sup>:وله:

التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" تحقيق و تقديم الدكتور محمد بن عبد الكريم، ترجم فيه للباشا محمد بكداش 1119هـ/1708م.

أ/ قيمة الكتاب التاريخية: يعد وثيقة تاريخية ذات أهمية كبيرة من حيث الكشف عن استعداد الجيوش العثمانية، تفاصيل المعارك ضد الجيش الاسباني، مراحل الهجمات على مدينة وهران وأبراجها وحصونها، تحديد عدد القتلى والأسرى والغنائم...الخ من المعلومات ذات الصلة بالصراع العسكري والحربي مع اسبانيا الصليبية.

ب/ قيمة الكتاب الأدبية: يعد مصدرا هاما من مصادر الأدب الجزائري خلال العهد العثماني لأنه ذكر أغلب شعر و شعراء الجزائر الذين عاصروا المؤلف و فترة احتلال وهران وقلما وجد كتابا للأدباء العصر والقطر جمع بين الأدب و التاريخ.

ج/ قيمة الكتاب من حيث الترتيب الزمني للأحداث: يتميز الكتاب بترتيب دقيق للأحداث التاريخية التي ميزت فتح وهران الأول 1708م وبروجها. ذكر المؤلف: في ليلة النصف الأول من شهر ربيع الأول سنة 1119هـ النصف الأول من شهر جوان 1708م حاصر الجيش الجزائري "برج العيون" و في اليوم العاشر من جمادى الأخرى من نفس السنة فتحوه<sup>2</sup>.

- في اليوم الخامس من شعبان 1119هـ، نوفمبر 1707م فتحوا "برج بن زهوة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي، ولقد أهملت جميع المصادر ترجمة هذه الشخصية من حيث زمان الولادة والوفاة مثل الكثير من العلماء والشخصيات البارزة فأصبحت نسيا منسيا. ويرجح د. محمد بن عبد الكريم أن سبب إهمال ذكر هذا العالم سببه طبيعة العصر الذي تميز بالاضطرابات السياسية و الحزبات المذهبية ولهيب الحسد الفتاك. أنظر: التحفة المرضية في الدولة البكداشية... مصدر سابق، ص12. وذكر ابن حمادوش في رحلته: أنه زار العالم بن ميمون سنة 1158هـ مما يعني أنه عاش بعد هذا التاريخ. أنظر: رحلة ابن حمادوش... مصدر سابق، ص216.

<sup>2</sup> محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية... مصدر سابق، المقامة العاشرة، ص89

<sup>3</sup> نفسه، المقامة الثانية عشر، ص86.

-6/ محمد بن يوسف الزياني البرجي<sup>1</sup>. ت 1309هـ/1891م، وله:

- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران: يوجد مخطوطا بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 3324 كتبت بلون أحمر قاتم، قام بتقديمه وتحقيقه الشيخ المهدي البوعبدلي يعد الكتاب من أهم المصادر في التعريف بتاريخ بمدينة وهران وسبب تسميتها والتعريف بعلمائها وأولائها ومن أشتهر منهم بالشرف، وتضمن.

- ذكر عمال الأمويين أمراء الأندلس، ونسبهم وبطونهم.

- ذكر الملوك الذين حكموا مدينة وهران: العبيديون، المرابطون، بنو مرين، الزيانيون.

- ذكر الأسباب: نسبهم، بيان أرضهم وحدودها، مساحتها وعدد سكانها، وأقسام ولايتها وأشهر مدنها، جبالها وأوديتها.

- ذكر بيان محلها من أوروبا، بيان من ملك تلك العدة سابقا.

- ذكر ملوكهم من حين اجتماعهم على ملك واحد ومن ملك منهم وهران.

- ذكر الترك: نسبهم، بطونهم ومسكنهم.

- ذكر سبب انتشارهم في الأرض، وسبب مجيئهم إلى الجزائر، ملوكهم في الإسلام ومن ملك منهم وهران.

- ذكر باشاواتهم بالجزائر، ذكر معنى الباي وكيفية تصرفه وعمله بالعوائد وأسماء بايات الغرب ومن ملك منهم وهران.

- ذكر الفرنسيين.

<sup>1</sup> هو محمد بن يوسف الزياني البرجي نسبة إلى برج عياش (برج ولد المخفي بناحية معسكر) ينتمي إلى أسرة أشتهر منها عمه العالم أحمد بن يوسف الذي كان على صلة بالباي ابراهيم الملياني سنة 1757م، تعلم بمسقط رأسه ثم توسع في ثقافته بما قرأه من كتب. تولى منصب القضاء بالبرج حسب ما هو مسجل في إحدى المراسلات الموجهة إليه من طرف الحاكم العسكري الفرنسي، انتقل إلى وادي تليلات قبل أن يستقر نهائيا "بسيق" مع أسرته حتى وافته المنية سنة 1902م. سعيدوني، من التراث التاريخي... مرجع سابق، ص 588.

7/ أحمد بن سحنون الشريف الراشدي<sup>1</sup>، توفي. 17 من ذي الحجة 1249هـ/1833 بمعسكر، وله:

-الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني<sup>2</sup>. احتوى الكتاب مجموعة كبيرة من المواضيع والأحداث عرفتها الجزائر العثمانية نذكر منها:

- التعريف بالباي شعبان- التعريف بباشا الجزائر محمد بكداش فاتح وهران الأول- ذكر الثورة الفرنسية 1789م<sup>3</sup>.

-مصطفى بوشلاغم مساعد بكداش في الفتح.- ذكر مدرسة معسكر ومنشآت الباي محمد بن عثمان الفاتح.

-اهتمام الباي بالتعليم وتنظيمه.- ذكر القبائل المتمردة-هجوم الباي على مدينة الأغواط وعين ماضي.

-ذكر موضع الرباط عند نشأته الأولى-ذكر البروج بأسمائها الإسبانية.

-تنظيم الرباط ودعوة أهل العلم من أساتذة وطلبة للمرابطة و منع التدريس في غيره- زلزال وهران مدة الحصار

-وصف أنواع الخيل وأصنافها وأجناسها وألوانها- منافع الصيد والرياضة البدنية- التعريف بتيمورلنك.

-بحث في الفلك والنجوم.

1 هو: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف الراشدي من أبرز علماء معسكر خلال القرن الثامن عشر (18م) فهو ينتمي إلى أسرة علمية، أشتهر بالعلم كثير من أفرادها من بينهم والده محمد بن علي بن سحنون قاضي قضاة معسكر على عهد الباي محمد بن عثمان الكبير. تلقى الشيخ ابن سحنون على يدي علماء غريسي ثقافة فقهية وأدبية دلت على اطلاعه الواسع للأدب والفقه، التاريخ الإسلامي بمختلف أطواره، يتضح من خلال الإجازات التي تحصل عليها. و من أبرز مولفاته:-الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني- مختصر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني- الأزهار الشقيقة المتضوءة بعرف العقيقة- عقود المحاسن. أنظر: الثغر الجماني...المصدر السابق، غانم محمد، الشيخ والثورة الفرنسية، نظرة عالم جزائري معاصر للثورة 1789م. مطبعة مركز الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافة، وهران، ص. 2

2 ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تقديم وتحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البحث، قسنطينة، 1973.

3إنها محاولة و لو متواضعة من ابن سحنون الراشدي لتحليل أسباب الثورة، فبعد أن عرض بعضا من أحداثها، أشار إلى إفلاس الخزينة المالية نتيجة الإفراط في مصاريف القصر. نوّه ابن سحنون بالصراع الطبقي الذي كان يمزق المجتمع الفرنسي في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي" الرعية" وهم العامة و يمثلون الأغلبية...أبن سحنون من القلائل في العالم العربي الذين عاصروا الثورة الفرنسية الكبرى وكتبوا عن أحداثها الأولى. أنظر: بوغوفالة ودان، الثورة الفرنسية في الاسطوغرافيا المغربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13هـ/19م، ص 58-59.

ب/ الترجمة: ترجم صاحب-الثغر الجماني- للعديد من الشخصيات التاريخية بارزة وكذلك إلى الإمارات والدول بما في الثورة الفرنسية الكبرى 1789م التي هزت أركان الدول الأوروبية بأفكارها التحررية ونبذها للملك والملكية فأتخذ منها موقفا عدائيا كغيره من علماء العصر التقليديين بحكم أنه أحد موظفي بلاط الباي، كما ذكر:

1/ محمد الهواري دفين وهران. 2 / ابراهيم التازي.

3/ التعريف بالبربر والإشادة بمجدهم الغابر/4 زعماء البربر وملوكهم والأدوار التي قاموا بها عبر

التاريخ

5/ سبب انهيار دول وإمارات المغرب الإسلامي/6 التعريف بمدينة الجزائر وتاريخ تأسيسها.

7/ تاريخ سيطرة عروج مدينة الجزائر.

ذكر الكتاب أحداث الثورة الفرنسية: وصف الشيخ بن سحنون الراشدي الثورة الفرنسية 1789م وصفا تاريخيا عجبيا، وتتبع أطوارها و فصولها، وأحداثها الكبرى رغم أن الشيخ لم يزر فرنسا و لا بلد أوروبي آخر مما جعل الكثير من المؤرخين يتساءلون من أين أستقى معلوماته حول هذه الثورة<sup>1</sup>.

8/ محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن زرفة: توفى. 1800/1215م، وله:

- الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء: لخصه الباحث "E. Mercy إرنست مرسية، في مجلة:

RECUIEL روركاي" القسنطينية سنة 1889م، ألفه بسبب ما كان يبلغ الباي محمد بن عثمان الكبير من

أخبار تتعلق بعدم قبول العلماء لجوائز الأمراء، وهذا الكتاب دليل بقبولها، وبعد تحرير وهران عين

الباي بن عثمان بن زرفة قاضيا بها حتى وفاته بالطاعون سنة 1215هـ/1800م.

- الرحلة القمرية: مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 2597. يقول العالم المصطفى بن زرفة

في تعريفه لمؤلفه: جعلت أمام المقصود مقدمة تشمل أربعة فصول و خاتمة:

<sup>1</sup> بوجوفالة ، الثورة الفرنسية في الاسطوغرافيا.....مرجع سابق، ص58..

-عنوان الفصل الأول: الترغيب في الجهاد و الترهيب لمن تغافل عنه من العباد.

-عنوان الفصل الرابع: التعريف بمدينة وهران.

دوافع التأليف: قال ابن زرفة. ولما كان الإمام فخر الملوك وناظم ما تنتشر من جذع السلوك واحد الأئمة الجلة ويدر الأقمار والأهله من زهرة حمائلة ورفعت شمائله واحتلبت بمصر الحلق من أنواره واحتنيت من التداني ثماره.

تضمن المخطوط:

ذكر-ابن زرفة -الرغبة في الجهاد، ويحذر من يتغافل عنه، كما ذكر مآثر الباي محمد الكبير الحربية، وأدرج بعض القصائد التي أمتدح بها الباي من طرف الشعراء. تتبع العالم بن زرفة تحركات الباي محمد الكبير و تعامله مع عساكره ترهيبا للكفرة، "...و بقي هو أيده الله في دائرته المنيفة وذوي خاصته الشريفة بالمحلة الكبرى"، و لم ينس دوره في هذه الرحلة من خلال ملاحظته للمجاهدين، و الرد على الرسائل التي تأتيه من الأمير، فيتدبر الأمور و يرأسل الأمير و يبرز له العواقب" في كل ما يتعلق بالتموين والأسلحة التي كانوا يحتاجونها.

أنهى العالم مصطفى بن زرفة الدحاوي سيرته عام الفتح 1206هـ/1792م وفق ترتيب الأشهر القمرية، ويختتم بفكرة الترغيب في سكنى وتعمير مدينة وهران، وفضل الرباط بها، وكآخر حدث يسجله بن زرفة هو إقلاع الباي من مدينة معسكر يوم 17 جمادي الثانية 1206هـ/ 12/ 1792/02م في مهرجان بهيج ليدخل وهران يوم 04 رجب 1206هـ/27/02/1792.

لخص "هوداس" هذه الرحلة القمرية في بحث لمؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة 1905م.

9-أبو العباس احمد بن محمد أحمد المقرئ التلمساني<sup>1</sup>: توفي. 986هـ/1631م، وله:

-نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب .

1 هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني الجزائري، نزيل مدينة فاس، ثم القاهرة و بها توفي، أخذ عن عمه الشيخ سعيد المقرئ الفقه و الحديث، وروى عنه الكتب الستة، وقرأ عليه البخاري سبع مرات، وأخذ عن الشيخ أحمد بابا التنبكي، والقصار، و احمد بن القاضي الفاسي وغيرهم. -مؤلفاته: ألف أكثر من ثمانية وعشرين تأليفا أشهرها: نفع الطيب، أزهار الرياض، فتح المتعال في مدح النعال، إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة. توفي بالقاهرة سنة 968هـ/1631م. أنظر، محمد بن ميمون الجزائر، التحفة المرضية... مصدر سابق، ص72.

أكتسب شهرة وعناية عالية عند المستشرقين ويأتي في مقدمتهم السيد: "ج.دوقات"، حيث كتب حوله مقالا ونشره في المجلة الإفريقية وهذا بعد عملية تصفية دقيقة والتمحيص التي شارك فيها مختصين في الأدب العربي من مسلمين وأوروبيين، وجاء فيه مايلي:

-ج1: عرض لأسبانيا مع التركيز على أهم الشعراء.

-ج2: خاص بالجزو العربي لأسبانيا (الفتح) بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، مع ذكر

أبيات للمؤلفين الذين كتبوا في هذا الشأن.

-ج3: تاريخ الخلفاء والرياس وهذا بناء على أكبر وأشهر المؤرخين.

-ج4: يستعرض فيه مدينة قرطبة كأجمل مدينة عربية.

-ج5، ج6: عبارة عن بيبوغرافيا لكل الرجال الذين خدموا العلم وشرفوه مجموعهم 376 رجلا

موزعون على النحو التالي:

\* 173 قاض محلف.

\* معلق وقارئ للقرآن الكريم ومفتين.

\* 48 فيلسوف ومرابط.

\* 69 شاعر وأديب ونحوي.

\* 23 محارب وسلطان.

\* 14 طبيب ومختص في الرياضيات.

-ج7: يذكر فيه أهم الأبيات والقصائد الشعرية التي تصف تقاليد وعادات وأعراف اسبانيا.

-ج8: يذكر فيه كيف غادر العرب المسلمين اسبانيا.

10- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: 1095هـ-1688م<sup>1</sup>، وله:

-تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها<sup>2</sup> ذكر فيه دواعي تأليف الكتاب فيقول:

1 ظل ابن المفتي مجهول الاسم لأنه لم يذكر في تأليفه، ولكنه ذكر اسم أبيه و جدّه. وبفضل المعلومات التي قدمها عن فقهاء وعلماء عصره تمكّن الأستاذ أبو القاسم سعد الله التعرف على تاريخ مولده و الذي قدره بحوالي 1095هـ/1688م.

ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتنى بها الأستاذ فارس كعوان، بيت الحكمة، للنشر و التوزيع، ط1، 2008.

أن هدفه هو تسليية النفس خاصة بعد فقدان أولاده فأصابه الحزن.

محتوى الكتاب: 1/ قسم الباشاوات:

ذكر ابن المفتي أن عدد الباشالار الذين حكموا الجزائر الغرب هو أربعة وخمسون، أولهم الإخوة برباروس، ولاية إسحاق باشا، ولاية عروج وخير الدين. تولى عروج سنة 1515م وأما خير الدين سنة 1517م. آخر الباشاوات الجزائر: إبراهيم باشا سنة 1657م.

2/ بداية عهد الأغوات: ابتداء بثورة الانكشارية ضد علي يورك رمضان وقتلوه مع حراسه سنة 1661.

3/ قسم العلماء: ذكر ابن المفتي أن المفتي قبل زمن الأتراك على المذهب المالكي وعند قدومهم -الأتراك- ظهر المذهب الحنفي الذي يمثل سلطة الترك.

ثم تطرق إلى حي القصبة القديم فيقول: " أن جامع سيدي رمضان دفن له هنا الولي، والحمام الذي يحمل نفس الاسم و مطحنة القمح والفرنين ومحلات تجار الخضر و ورشات الحياكة كل هذه كانت تشكل حي القصبة القديمة، ثم انتقل الى عنصر آخر وهو:

1/ التنظيم الاقتصادي: يقول الكاتب، أن مراقبة الموازين والمكايل والأسواق كانت لأمين الأمناء، وبتأمر كل طائفة أمكين يتصرف باسم الباشا.

2/ التنظيم العسكري: يقول الكاتب، كل ما يتعلق بالجنود كان من اختصاص الباشا، وأما التنظيم الخاص بالإنكشارية فان هؤلاء قد حافظوا على عدد من التنظيمات الخاصة يحرص كل منهم على التقيد بها.

3/ التنظيم القضائي: كلن القضاء بإيالة الجزائر يتشكل من قاضيان، الأول قاضي المالكية وهو مستقل من زون العرب، وأصبح زمن الترك يتولى الخطة تحت أمرهم، والثاني: قاضي الحنفية الذي استقر مع وجود الترك بالجزائر، فكانت المسائل الهامة تعقد كل خميس وفي ذلك اليوم يجتمع العلماء والقاضيان الحنفي والمالكي".

\* أهمية المصادر التاريخية.

اختزنت هذه المصادر معلومات قيّمة و متنوعة من خلال توظيف الشعر والنثر و الفتاوى الدينية، فالعالم بن سحنون الراشدي يذكر الضعف الأدبي والشعري في عهده قائلاً: "أعلم يا أخي أن الألسنة غلبت عليها العجمة وارتفع منها سر الحكمة فصار الناس يتغنون بالملحون، وبه يهجون ويمدحون"<sup>1</sup>، ونفس الموقف اتخذته الناصر منتقدا عصره الثقافي قائلاً: "إنني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادر وموارده، وخلت دياره ومراسمه، وعفت أطلعه ومعالمه، لا سيّما فن التاريخ و الأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان، وشرفت شمسها على الأفول، وأستوطن فحولها الخمول"<sup>2</sup>.

1: الجانب السياسي.

- 1- قيّد مؤرخو الجزائر أغلب الأحداث الهامة و الخطيرة التي تعرضت لها الجزائر ونذكر منها على سبيل الحصر:
- 2- فتح وهران الأول 1119هـ/1708م و الثاني 1206هـ/1792م..
- 3- الاعتداءات الصليبية المتكررة على الجزائر.
- 4- الثورات المحلية ضد الوجود العثماني أشارت هذه المصادر إلى الثورات المتكررة ( ابن الصخري، الثورة الدرقاوية- ثورة ابن الأحرش- الثورة التيجانية) والأضرار التي لحقت بالسكان، لقد ذكر أبو راس الناصر: أنها ( الثورة الدرقاوية) فتنة. " فاتصلت علينا أوامر النكبات والبليّات من الخوف و الروع الذي الفؤاد مودوع"<sup>3</sup>، كما أورد " العنتري" عن ثورة ابن الأحرش بنواحي قسنطينة قائلاً: "...أتلقت فيها خزائن عثمان، وانعدمت الحراثة، وافتقدت الحبوب وقل من يأتي إلى الأسواق، فحصلت للناس شدة ومجاعة...أشرف فيها

<sup>1</sup> ابن سحنون، الثغر الجماني....، المصدر السابق، ص203.

<sup>2</sup> أبو راس الناصري، عجائب الأسفار.... مصدر سابق، ص5.

ابوراس الناصر، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1990، ص24.<sup>3</sup>

الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض الجهات القبلية فإنهم تشتتوا بسبب الهول في

وطنهم<sup>1</sup>.

2: الجانب الاجتماعي.

لم تهمل هذه المصادر المحلية معالجة الوضع الصحي والمعيشي في الجزائر خلال نهاية القرن

الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر الذي تميّز بما يلي:

- الانتشار الواسع للمجاعات حيث أودت بحياة الآلاف من السكان بسبب انتشار الطاعون(1654م

الذي قضى على ثلث سكان مدينة الجزائر، 1664م، 1787، 1794 الذي أضر بسكان وهران

وقسنطينة والجزائر، 1818م وأدى إلى هلاك ثلثي سكان مدينة عنابة والجهات الجبلية والصحراوية)<sup>2</sup>.

-انتشار مرض الكوليرا والسل والجذري ومختلف الأمراض الأخرى<sup>3</sup>.

-انتشار كوارث طبيعية كالجراد والجفاف والفيضانات والزلازل ( زلزال مليانة وعنابة1723-

1724م، شرشال1735م، وزلزال1755م شمل البحر المتوسط الغربي عرف لدى المؤرخين بزلزال

لشبونة بوقوع مركزه بالقرب منها، فلم يبق منزل لم يتأثر بمدينة الجزائر والذي أدى إلى انقطاع الماء

وتهدم الحنايا، وشبت الحرائق ببعض الأحياء وشيوع أعمال النهب والفوضى.

<sup>1</sup> صالح العنثري، سنين القحط والمسبغة أو مجاعات قسنطينة، تحقيق و نشر رابح بونار، الجزائر، 1974، ص72.

<sup>2</sup> صالح العنثري، الفريدة مونية أ و تاريخ بايات قسنطينة، مراجعة وتقديم وتحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2008.

<sup>3</sup> حمدان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت. الجزائر، 1968.

- أشارت هذه المصادر المحلية ( العنتري، الزهار، مسلم بن عبد القادر) إلى بداية العداء بين الحكام العثمانيين وزعماء الطرق الدينية والصوفية بعد تحرير وهران 1792م، وقلة مغانم الجهاد البحري مما أدى بالحكام العثمانيين تحويل أنظارهم إلى داخل البلاد لإيجاد مصادر دخل قارة، فأرهب كاهل السكان بالضرائب المتزايدة، فتحوّل رجال الدين من مدافعين عن الحكام إلى الداعين إلى الثورة.

- وأبرزت هذه المصادر المحلية أن طبقة الحضر "البلدية"<sup>1</sup> تتشكل من المجموعات القاطنة بالمدن، تميزت بعاداتها وتقاليدها الخاصة ووضعها الاجتماعي المتميز، ويشتغل أفرادها في الحرف والأعمال التجارية، ويتولون وظائف السلك القضائي والتعليمي<sup>2</sup>.

أشارت هذه المصادر إلى طبائع السكان وطريقة عيشهم من حيث اللباس، ونوع المسكن، وأبرزت العادات الجزائرية، كالتمسك الشديد بزيارة القبور والأضرحة، والتبرك بالأولياء، وكان هذه الوظيفة الاجتماعية هي روح المجتمع الجزائري، وكيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال بعادة "الناير" وأوضحت بالتفصيل على أنها عادة مشتركة بين أهل الحضر وأهل الريف، الهدف منها التوسيع على العيال، يحتفل بها أهل الحضر بالتمر، والتين، والجوز، واللحم، والزيت، بينما أهل الريف يحتفلون بها بالسمن، والبقول، والفول المسلوق بالماء والملح<sup>3</sup>.

- أشارت المصادر المحلية أن معظم علماء الجزائر عارضوا الثورات المحلية ووقفوا ضدها بحكم أنهم موظفي الإدارة العثمانية ( ذكر شريف الزهار: أنها بأنها نار فتنة، وذكر مسلم بن عبد القادر و صالح العنتري: أنها أدت إلى البلاء وحصل للناس شدة ومجاعة، كما ذكر أبو راس: بأنها فتنة ونكبات و البليّات من الخوف و الرّوع... خلافا للعالم أبو حامد المشرفي/توفي 1895م الذي أنتصر للثورة الدرقاوية ووقف إلى جانبها من خلال مؤلفه "درء الشقاوة عن السادات درقاوة"، كذلك كان موقف

<sup>1</sup> تتشكل من المجموعات القاطنة بالمدن، تميزت بعاداتها وتقاليدها الخاصة ووضعها الاجتماعي المتميز، ويشتغل أفرادها في المهن الصناعية والأعمال التجارية، ويتولون وظائف السلك القضائي والتعليمي. أنظر: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ... مصدر سابق، ص 82.

<sup>2</sup> الفكون، منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم و تحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، 1987.

<sup>3</sup> ابن زرفة، الرحلة القمرية... مصدر سابق، ص 128.

العلامة الطيب بن المختار الغريسي معارضا للثورة الدرقاوية و التيجانية بالصحراء - عم الأمير عبد القادر- معارضا للثورة الدرقاوية بقوله: "...ممن سعى في ذلك كابن الشريف وغيرهم من ثوار الصحراء لغباوتهم و جهلهم و عدم معرفتهم بالأحكام."<sup>1</sup>

-تناولت المصادر المحلية ( المشرفي، أبوراس الناصر، ابن سحنون الراشدي، المزارى، شريف الزهار<sup>2</sup>، مسلم بن عبد القادر، ابن حمادوش) وضع السكان و عددهم في الجزائر بإسهاب وتفصيل، تطرقت إلى القبائل الجزائرية من حيث نسبها، وبطونها، ونشاطها الاقتصادي وعلاقتها بالدولة، وأهم المجموعات السكانية، والأقليات العرقية بالأرياف والمدن وهي: الأقلية التركية، وجماعة الكراغلة، وطبقة الحضر، وجماعة البرانية والدخلاء.

-أشارت هذه المصادر إلى طبائع السكان وطريقة عيشهم من حيث اللباس، ونوع المسكن، وأبرزت العادات الجزائرية، كالتمسك الشديد بزيارة القبور والأضرحة، والتبرك بالأولياء، وكان هذه الوظيفة الاجتماعية هي روح المجتمع الجزائري، وكيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال بعادة" الناير" وأوضحت بالتفصيل على أنها عادة مشتركة بين أهل الحضر وأهل الريف، الهدف منها التوسيع على العيال، يحتفل بها أهل الحضر بالتمر، والتين، والجوز، واللحم، والزيت، بينما أهل الريف يحتفلون بها بالسمن، والبقول، والفول المسلوق بالماء والملح<sup>3</sup>.

\*أشارت هذه المصادر المحلية( العنتري، الزهار، مسلم بن عبد القادر، محمد بن يوسف الزياتي) إلى بداية العداء بين الحكام العثمانيين وزعماء الطرق الدينية والصوفية بعد تحرير وهران 1792م بسبب تراجع مغنم الجهاد البحري مما أدى بالحكام العثمانيين إلى تحويل أنظارهم نحو داخل البلاد

<sup>1</sup> الطيب بن المختار الغريسي، مجموع الحساب و النسب...مصدر سابق، ص149.

<sup>2</sup> ذكر شريف الزهار: أن عدد سكان مدينة الجزائر بلغ 50 ألف سكن، منهم 3000 من الأتراك، 7000 من اليهود، 2000 من الأسرى المسيحيين، أنظر، المذكرات...مصدر سابق، ص201.

<sup>3</sup> العنتري، سنين القحط والمسبغة....مصدر سابق، ص37.

لإيجاد مصادر دخل قارة، فأرهبوا كاهل السكان بالضرائب المتزايدة، فتحوّل رجال الدين من مدافعين عن الحكام إلى الداعين إلى الثورة عليهم<sup>1</sup>.

\* أشارت هذه المصادر إلى الثورات المتكررة ( ابن الصخري، الثورة الدرقاوية- ثورة ابن الأحرش- الثورة التيجانية) والأضرار التي لحقت بالسكان، لقد ذكر أبو راس الناصر: أنها ( الثورة الدرقاوية) فتنة أصابت البلاد والعباد<sup>2</sup>.

### 3: الجانب الاقتصادي.

أرخت المصادر المحلية للكثير من القضايا الاقتصادية وقدمت للقارئ صورة حقيقة لما كانت عليه الأوضاع في جانبها الاقتصادي ولو بطريقة عابرة وعفوية في غالب الأحيان.

\*قدمت هذه المصادر قراءة للوضع الاقتصادي من خلال انتشار التجارة بالمدن والمنتجات الزراعية والحيوانية التي اشتهرت بها بعض الحواضر والأرياف. فقد ذكر شريف الزهار: أن الجزائر تنتج مختلف المحاصيل الزراعية مثل القمح، الشعير، الخضر، الشمع، الصوف، العسل، الأرز بمنطقة مليانة وبلغ الإنتاج 6آلاف قنطار وهي كافية للاستهلاك المحلي- إنتاج الملح بأرزيو- القرمز بمعسكر<sup>3</sup> بما في ذلك الأشجار المثمرة مثل: المشمش، القطن، الكتان، الأرز، التبغ، وانتشار المهن التقليدية والحرف اليدوية، كما تنسج بالجزائر أقمشة من الكتان يلبسها الأهالي، وشاشيات من الحرير مختلفة الألوان والطول والعرض و صناعات من الشاشية المطرزة بالذهب والفضة تسمى الصارمة،

1 أشار مسلم بن عبد القادر، أن الباي مصطفى بن عبد الله العجمي الذي تولى الملك سنة 1800م ظهرت في أيامه الثورة الدرقاوية، وفي السنة الثانية من توليه الحكم غزا أهل أنكاد وانهزم أمامهم، ثم عزل. عاد إلى الحكم مرة ثانية سنة 1807م حارب الدرقاويين وهزمهم بوادي الخير، وفي هذه الأثناء جاءه الخبر بتعيينه خزانجيا فيها ففسار إليها. أنظر: تاريخ بايات وهران...مصدر سابق، ص27.  
2 أبوراس الناصر، فتح الإله ومنتته...مصدر سابق، ص24.  
3 شريف الزهار، المذكرات...مصدر سابق، ص202.4

صناعة الأحذية للرجال والنساء، المحافظ للأوراق النقدية، وتنسج الزرابي في عدة جهات من الوطن، كذلك الحياك من الصوف للباس الرجال والنساء في البوادي والبرانس للرجال<sup>1</sup>، وهي موزعة على عشرات النقابات المهنية<sup>2</sup>.

\*أشار ابن زرفة صاحب الرحلة القمرية-إلى الجانب الاقتصادي للمنطقة الغربية ومواروها الغابية، أن أشجار الصفصاف لعبت دورا أساسيا في الصناعة الحربية كصناعة المدافع، ويحدثنا عن الجلود ودورها في صناعة الأحذية المرسله إلى الجند المحاصر لوهرا، وتسجل المصادر العملة المتداولة في هذه الفترة، وهي: الريال، السلطاني، الأوقية<sup>3</sup>، و من جهته ذكر شريف الزهار: أن سعر الخبز يساوي صولدي للعشر خبزات، و الكيش يساوي 20-24 صولديا، أما الدجاجة تساوي 9 صولدي، وأجرة الدار المتوسطة ما بين 30-40 فرنكا في السنة<sup>4</sup>.

\* ذكر ابن هطال التلمساني صاحب "رحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الصحراء" مميزات المنطقة الجنوبية، وأنها منطقة يشتد بها البرد، "... ويوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا على "العمور" قمشى ثماني ساعات حتى نزل البيضاء... واشتد البرد في هذه الدار، ونزل من الثلج ما كانت الناس تظن أن مثل ذلك لا يقع في الصحو، لتسويتهم بين سهلها وجبالها... مع هذا الجبل ذو برد شديد وهو مرتفع جدا ومياهه كثيرة فكان له شبه بجبال التل، بل هو أشد بردا منها في بعض

1 أنظر: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، جامعة الجزائر، قسنطينة، 1965، ص 140.

2 . في مدينة قسنطينة وحدها ناهزت الحرف العشرين حرفة، أما مدينة الجزائر ناهزت الحرف أربعين حرفة انتشرت و توزعت بالمدن على شوارع وأسواق تنتسب إليها، على سبيل المثال: سوق الحديد، سوق الحرايرية، سوق الفخارين، سوق الفضة، سوق العطارين، سوق النحاسين، سوق الغزل، سوق الخبازين، زنقة الدباغين، ... تصنع الشاشية الجزائرية دون جودة التونسية التي تستعمل الصوف الاسباني ويبلغ ثمنها نصف الشاشية التونسية، أما النساء فيلبسن نوعا من الشاشية المطروزة بالفضة والذهب و تدعى "الصارمة". أنظر: نور الدين عبد القادر، -شريف الزهار، المذكرات... مصدر سابق، ص 202..

3 محمد المصطفى-ابن زرفة، الرحلة القمرية... مصدر سابق، ص 130.

4 الزهار، المذكرات... مصدر سابق، ص 202.

الأوقات...ولما رآه قد كثر<sup>1</sup> ولم ينقطع خاف منه على الإبل فأرتحل وسار أربع ساعات<sup>2</sup> ونزل قصر أوفل<sup>3</sup>.

\* ذكر "بن عثمان خوجة" ...إن المياه الراكدة التي تتجمع بمتيحة أثناء فصل الشتاء، تشكل مستنقعات وتتسبب في الهواء الموبوء الذي يسود أثناء فصل الصيف، وإن أراضي سهل متيجة أغلبها مستنقعات مضرّة بالصحة في فصلي الشتاء والصيف، و ظلت الزراعة تستعمل بواسطة الوسائل البدائية، وأن تنظيم الري والانتفاع بالمياه الجوفية والمجاري المائية كان لا يتعدى إقامة الحواجز البسيطة من الطين والأخشاب التي لا تقوى على الحد من الفيضانات والتي لا تسمح بتخزين المياه والانتفاع بها في الزراعة<sup>4</sup>.

-ذكرت المصادر المحلية ابن زرفة، ابن سحنون الراشدي بما في ذلك ( المؤرخ المغربي عبد الرحمن الجامعي) تفاصيل الحصار، وضخامة جيش المسلمين حيث بلغ تعداده حوالي 8500جندي، في حين تذكر مصادر أخرى حوالي عدد القتلى والأسرى ب40000، كما ذكرت أن الداوي بكداش تحمل الصعاب وتلقى مقاومة شرسة من الأسبان المدافعين عن معاقلهم قبل الفتح المبين لشعر وهران بقوله: " حملت فيه جداول السيوف على الألواح فأرهقتها، واطلعت من الحراجات شقائق النعمان ونبجها ثم أستمّر القتال بالكافرين فدخلوا البرج هاربين وأقام المسلمون بدنهم في حفر البرج يعملون الحيلة في الصعود إليه والتسور عليه، والعدو يرميهم بقدر كبيرة وهم صابرون."<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يعني به الثلج والراني هو الباي محمد بن عثمان الكبير..

<sup>2</sup> ابن هطال، رحلة الباي بن عثمان.... مصدر سابق، ص38.

<sup>3</sup> يعني قصر أفلو.

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص52.

<sup>5</sup> ابن زرفة، الرحلة القمرية....، مصدر سابق، ص98.

- ذكرت المصادر المحلية أن زلزال 29 محرم/01 صفر 1204 هـ الموافق 10/09/1790م، سبب ما لا يقل 3000 قتيل من الإسبان، والزلزال كان عاملا من عوامل فتح وهران، كما أنه كان سببا (الزلزال) في إقناع الداوي بقبول حصار وهران - حسب الرسالة التي بعث إلى الباي يأذن له بالحصار، شرط ألا يمدده لا بالمال ولا بالسلاح كما هو متفق عليه مع الأسبان في شروط الصلح<sup>1</sup>.

- تذكر المصادر المحلية ضخامة الجيش الجزائري المحاصر لوهران الذي قدر حوالي 50000 عسكري ومتطوع<sup>2</sup> من الطلبة وسكان القبائل، بالإضافة إلى استشهاد وجرح العديد من الجنود والمتطوعين.

- ذكرت المصادر المحلية تحرير مدينة وهران وظروفه، وهو 04 و05 رجب 1206 هـ الموافق 1792/02/27م بعدما خرب الأسبان جزءا من مبانيها، وبعد بقائهم بالمدينة مائتين وسبعة وثمانون سنة (1505-1792م).

### ثالثا: الأنساب (منطقة معسكر نموذجاً)

إن موضوع النسب من المواضيع الحساسة والشائكة في الجزائر العثمانية نظرا لتركيبية السكان واهتمام العام والخاص به، فالأشراف كانوا و ما زالوا يتمتعون برصيد روحي ومعنوي كبيرين بالمنطقة خضعت لفترة زمنية بعيدة هيمن فيها الأشراف تقريبا على السلطة والتعليم والقضاء

<sup>1</sup> رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م -دراسة تحليلية نقدية، ط1، 2007، ص21.

<sup>2</sup> لم يقتصر دور القبائل في تدعيم السلطة بالدعم المادي، بل كانوا مجندين في أعمال التعبئة العامة، حيث يذكر ابن سحنون: "...راسل عماله ينهضون الناس لإصلاح الطرق، فسهلوا منها ما كان وعرا، وكسروا ما كان حجرا، وقطعوا ما يعرض فيها من الشجر حتى يمكن جر المدافع فيها بسهولة". أنضر: الثغر الجماني، ص249. ويضيف ابن زرفة: "إن عملية الفتح لم تكن تأتي من الدولة فقط، بل من أهالي المدن والقرى خاصة مستغانم، معسكر، تلمسان، إلى أن حقق الله الأمانى بتقسيم الثغر الوهراني وراحت بشانرها تنادي في الحواضر والبوادي، فلاحت حينئذ من الحرم حركة النبض وقد كتبت بحمد الله تعالى أسجل مراحلها ومناهلها، ونهل شرابه ومعاقيله لا على وجه التأليف بل على سبيل ألف والتصنيف". أنظر بن زرفة، الرحلة القمرية، مصدر سابق، ص149. "...بفضل تزايد عدد الطلبة، وانتشار الخيام، والقياطين، والمضارب فأصبحوا كتاب وجيوش، منشغلون بقراءة القرآن والفقهاء ليلا، ومحاصرة الكفار نهارا.... ابن سحنون، الثغر الجماني، مصدر سابق، ص244. "...وأثن الطلبة في النصارى إثنانا حتى صاروا لا يتجاوزون أسوارهم، وإنما يخرجون بأغنامهم طريق البحر" ابن سحنون، الثغر الجماني، مصدر سابق، ص239.

واستشارة الحكام لهم في غالب الأحيان، و بما أن الشرف له أهمية بالغة في الجميع بلدان العالم الإسلامي ظهرت العديد من النوازل بخصوص الشرف من الأم و الجدة و شرف العلم، وظهر خلاف حاد بين العلماء في خصوص هذه النقطة<sup>1</sup>

لقد كان الوطن الراشدي منطقة استقطاب للأشراف منذ تأسيس دولة الأدارسة، وهذا ما عبرت عليه الكثير من المصادر التاريخية المختلفة الخاصة بدراسة النسب من حيث محتواها ومضامينها والتي بينت لنا من جهة حب المغاربة لأهل البيت، ومن جهة ثانية ثراء وتنوع مكونات الجزائر وسكانها سواء من البربر، العرب(مرابطين وأشراف وعربا) أتراك، كراغلة، أندلسيون.

يصنف الشرف بحسب المعيار الفقهي إلى مرتبات، فهناك الشرف القطعي الذي يأتي في المرتبة الأولى ويحصل بالشهرة العامة والحياسة و التواتر، ثم يأتي بعده من لم يبلغ شرفه التواتر، و يرتب في المرتبة الثالثة من لم يبلغ شرفه القطع و التواتر، و في المرتبة الرابعة يصنف أصحاب الشرف الظني الذي لا يستند على الشروط الفقهية السابقة. في البداية كان تصنيف الشرف يتم على أساس وضوح النسب والشهرة إلى أن أصبح في المغرب بمثابة"الحياسة الرمزية الموثوقة"، الأمر الذي أدى إلى جدل في الأوساط الاجتماعية مما أدى بالفقهاء إلى إصدار مجموعة من الفتاوى التي كانت متضاربة فيما بينها، و من أهم النوازل التي شغلت فقهاء المغاربة مسألة: ثبوت الشرف من قبل الأم و الجدة ومقارنته بشرف النسب الوراثي والشرف المكتسب بالعلم والولاية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>سمية مصدق، أشراف غريس من خلال مصادر النسب ما بين القرنين السابع عشر-التاسع للميلاد 17-19م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2016/2015م، ص40.

<sup>2</sup>محمد عمراني، الشرف والمجتمع والسلطة السياسية في الشمال الغربي المغربي نموذجا من القرن 16-19م، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، خزانة كلية الآداب، الرباط، 2008-2009 ص41 ص41.

1-تعريف علم النسب وأهميته:

أ-لغة:

نسب القرابات وهو واحد الأنساب، والنسب، وقيل هو في الآباء خاصة وقيل النسبة الاسم والنسب يكون بالآباء ويكون إلى البلاد ويكون في الصناعة، النون والسين والباء كلمة واحدة قيامها اتصال الشيء بالشيء<sup>1</sup>.

ب-اصطلاحاً:

عرفته الموسوعة الفقهية الكويتية بأنه: القرابة وهي الاتصال بين إنسانين بالاشتراك في ولادة قريبة أو بعيدة، وعرفه ابن حزم فقال: "علم النسب علم جليل رفيع إذ به يكون التعارف وقد جعل الله تعالى جزءاً من تعلمه لا يسع أحداً جهله وجعل جزءاً يسيراً منه فضلاً تعلمه يكون من جهله ناقص الدرجة في الفضل وكل علم هذه صفته فهو علم فاضل لا ينكر حقه إلا جاهل معاند"<sup>2</sup>.

انفرد العرب عن من سواهم من الأمم بعلم النسب<sup>3</sup>، قال الخفاجي: "وأما مراعاة الأنساب وحفظها وذكر الأصول والبحث عنها فباب تفردت به العرب فلم يشاركها فيه مشارك ولا ماثلها فيه مماثل، وللعرب حفظ الأنساب وما يعلم أحد من الأمم عني بحفظ النسب عناية العرب"، وتكمن أهمية علم النسب في أنه:

-حفظ النسب أحد المقاصد الشرعية الكبرى التي هي الأديان والنفوس والنسل والعقول والأموال.

-يؤدي الحفاظ على النسب والاعتناء بهذا العلم إلى التمسك بالفضائل والمحافظة على صلة الأرحام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحمن معينة في الأهل وميراث المال ومنسأة في الأثر"<sup>4</sup>.

2- مكانة الأشراف الثقافية و الدينية عند أهل غريس.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص112.

<sup>2</sup> بكر أبو زيد، طبقة النسابين، ط1، دار الرشد للنشر والتوزيع، 1987، ص6.

<sup>3</sup> الفاسم بن سلام، كتاب النسب، تحقيق مريم محمد خير درع، ط1، دار الفكر، 1989، ص61.

<sup>4</sup> الحديث رواه الحاكم في مستدرکه رقم: 7284 وصححه الذهبي.

جاء على لسان العالم العربي المشرفي عن مكانة الشرف قوله: "...وما خرب الله ذلك الوطن الذي لا وطن يضاهيه ويدانيه لا في أقاليم المسلمين ولا في أقاليم الروم إلا عدم توقيرهم للأولاد الصالحين وأولاد العلماء وأهل النسبة المحمدية، فإذا ذكرت الإنسان الفاسق والسارق والملطخ بقطع الطريق وأكل أموال الناس بالباطل وذا اليد العادية من المخزن يقول لك ونعم ما ذكرت لنا، وإذا ذكرت له المشرفي وابن سيدي دح بن زرفة، أو سيدي احمد بن علي أو سيدي محمد بن يحيى يقول لك إنما هو زاوي استهزاء به وتهكما وسخرية، وأهل المغرب يعظمون زواياهم وإليها يهرب الجاني والقاتل ومن تلطخ بكل عيب ولا يقربه أحد من المخزن أو غيره، فبسبب ذلك ستر الله عيوبهم على ما هم عليه من ظهور المنكرات وشهرة الزنا ومحرمات الكبائر"<sup>1</sup>.

خضع مجتمع الوطن الراشدي لتراثبية اجتماعية صارمة سيطرت من خلاله طبقة الأشراف على مناصب الفتوى و القضاء والتعليم بفعل وزنهم الديني و الروحي لأنهم يمثلون الفئة المتقفة في مختلف الفنون و العلوم، أي أنهم كانوا متميزين عن غيرهم بصفة العلم وبناء المدارس والزوايا والإنفاق عليها ولهذه الأسباب جميعها كانت كلمتهم مسموعة و نافذة عند الرعية والملوك فتحصلوا بموجب هذه المكانة الروحية على العديد من الامتيازات منها امتياز سقوط الضرائب والتكاليف" ومن أجل ذلك خروا لنا العامة التي هاجرت معنا فلا يكفون مع عامهم بتكليف ولا يطالبون بين أظهرهم بوظيف...لنا الحرمة الكاملة والميزة الكاملة"<sup>2</sup>.

إن المكانة السامية التي تمتع بها أشراف غريس عبر العصور جعلت السلطات العثمانية تعتمد عليهم بمشاركتهم في حل الكثير من مشاكل الأسر و القبائل بدراية وبعد نظر منذ الأيام الأولى لوجود العثماني من خلال لقاء خير الدين برباروس وسيدي أحمد بن يوسف الراشدي الذي كان مؤيدا للوجود العثماني في الجزائر وأخذ البركة منه ودعا له بالتمكين والنصر: "... وكان إسحاق مع أخيه عروج المذكور حيث قال له الشيخ أخوك إسحاق أراد تلمسان وأنت أردت وهران وصاحب الدين مفتاح الدين

<sup>1</sup>العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي لمولى مجاجة، دراسة وتحقيق: العربي بوعامة-حمادو بن عمر، ط1 تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، دار قرطبة لنشر والتوزيع، 2011، ص12.  
<sup>2</sup>نفسه، ص13.

خير الدين أراد الجزيرة، ثم دعا له بقوله وفق الله أمرك، وجعل النصر لك وإخوانك<sup>1</sup>، ومنجهة أخرى شغل العالم "عبد الله سقاط" وظيفة سفير و مبعوث الأمير عبد القادر إلى السلطان العلوي عبد الرحمن بن هشام<sup>2</sup>، و هذا العالم أحمد بن خدة كان من بين الرؤساء الذين عينتهم السلطة العثمانية في المناصب الإدارية وغيرهم من العلماء و الأعيان، ويؤكد العربي المشرفي المكانة العلمية و السياسية للأشراف عموما و المشارف خصوصا بقوله: "المشارف علماء أبرار وفقهاء أخيار و بيوت العلم فيهم مشهورة بالصالح معمورة"<sup>3</sup>.

يقول محمد الأعرج الغريسي: "...و زاوية سيدي محمد السليمانى وسيدي محي الدين بن مصطفى الإدريسي وغيرهم ممن يطول سردهم وقد اقتفى أثرهم في صنيعهم من وفقه الله للسعادة من بربر و زناة فأسسوا الزوايا لطلب العلم وربما أدعى البعض منهم الإرشاد و صار يطلق على الجميع أسم المرابطين"<sup>4</sup>.

يقول الطيب بن المختار الغريسي: "...إلى أن انتقل إلى هذا القطر الغريسي منهم جدنا الأعلى السيد أحمد المعروف بمرضعته "خدة" وهو أول رجال العقد، وكان من الأئمة الراسخين والعلماء العاملين انتهت إليه رئاسة غريس"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> على بن الحاج موسى الجزائري، ربح التجارة و مغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة، ص 132.

<sup>2</sup> العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة... مصدر سابق، ص 20.

<sup>3</sup> العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة... مصدر سابق، ص 13.

<sup>4</sup> محمد الأعرج الغريسي، ضمن كتاب: مجموع الحساب و النسب و الفضائل و التاريخ و الأدب، ص 373.

<sup>5</sup> هو الطاهر بن البشير بن محمد بن عبد القادر بن المختار - عم الأمير عبد القادر - تلقى العلم عن مصطفى بن التهامي الوزير الأول للأمير عبد القادر، و عبد الله سقط المشرفي، سافر إلى فاس و درس على يد العلامة عبد الله المجاوي، كان له باع في العلوم العقلية و النقلية. تولى منصب القضاء بمعسكر ثم ذهب إلى مرسيليا لمقابلة الأمير عبد القادر سنة 1865م بموافقة فرنسا، كما زاره مرتين بالشام و ظل على صلة به، كما مدحه في عدم قصائد شعرية. ت. 1890م بالجزائر، ينظر: الهاشمي بن بكار، مجموع الحساب و النسب، مصدر سابق، ص 343.

3- علماء الجزائر وعلم النسب:

يمكن تقسيم كتابات الجزائريين في علم النسب إلى كتابات عامة وكتابات خاصة:

-أولا: كتب الأنساب العامة.

1-روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار لمحمد بن علي الشريف التلمساني<sup>1</sup>.

مخطوط من 13ورقة بخط مغربي واضح، نسخ بتاريخ 11شعبان1380ه/جانفي1962م من طرف

محمد بن بشير. قسم الكاتب كتابه إلى مقدمة وخمسة أقسام.

-المقدمة: ضمنها تمهيدا للموضوع وذكر فيه اسم الكتاب.

-القسم الأول: ضمنه عدد الأنبياء عليهم السلام ونسب خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم.

-القسم الثاني: عرف فيه آل الحسن.

-القسم الثالث: عرف فيه آل إدريس.

-القسم الرابع: عرف فيه آل عثمان.

-القسم الخامس: أورد فيه حكايات عن أهل البيت.

لقد عدد المخطوط بعض الأشراف وخصوصا في المنطقة الغربية للجزائر، وتحدث عن استقرار

راشد بن المرشد في مدينة أم عسكر، ومساعدته لإدريس الأكبر وأخوه سليمان، اللذين مكثا عنده مدة

سنة أشهر، وذكر إدريس الأصغر و ذريته، كما تحدث عن شرفاء تلمسان و عن راشد وذريته<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>وهو أبو عبد الله محمد بن علي الشريف الحسني التلمساني، ولد سنة 1515م، عالم مالكي من علماء تلمسان، ومن أعماله: شرح كتاب: الشفا للقاضي عياض" المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا" ينظر: نويهض، مرجع سابق، ص79.  
<sup>2</sup> الطيب بن المختار الغريسي، ضمن كتاب مجموع الحساب والنسب....مصدر سابق، ص ص1-13.

2-سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول لعبد الله بن محمد بن الشارف ابن سيد علي

الحشلاف.

لا بد علينا أن نشير إلى أن سيدي علي حشلاف كان قاضيا للجماعة خلال العهد الفرنسي وأنه لم يعاصر العهد العثماني أي الفترة التي نحن بصدد دراستها غير أنه تطرق إلى هذه الفترة التاريخية من خلال دراسته للفترة العثمانية.

يتكون الكتاب من مقدمة وخمسة أقسام، جاء في المقدمة دواعي تأليف الكتاب وفضل علم النسب وسرد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب تعظيمه واحترامه، ثم تحدث عن إدريس الأكبر ثم إدريس الأصغر<sup>1</sup>، أما الأقسام الخمسة التي وردت في الكتاب فهي على التوالي:

-القسم الأول: يذكر الشجرة الإدريسية، ويذكر فيها شرفاء غريس ويعتمد على "عقد الجمان

النفيس"، كما يذكر قصيدة لشعيب بن علي قاضي محروسة تلمسان في أشرف غريس<sup>2</sup>.

-القسم الثاني: يذكر الشجرة السليمانية.

-القسم الثالث: الشجرة الموسوية القاديرية.

-القسم الرابع: الشجرة الحسنية العلوية.

-القسم الخامس: الشجرة الحسينية. كما يختم الحشلاف كتابه في ذكر عبد القوي الحسني، وعبد

القوي الحسيني، وعبد القوي التيجاني ونسب زيان<sup>3</sup>.

و ذكر حشلاف في "الفصل الثاني" من المقدمة المصادر التي أعتمد عليها في كتابه: سلسلة

الأصول في شجرة أبناء الرسول" مثل : الدرر السني، الدرر المفاخر لسيدي عبد السلام، والدرر البهية

<sup>1</sup> عبد الله بن محمد الحشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص4.

<sup>2</sup> نفسه، ص109.

<sup>3</sup> عبد الله بن محمد الحشلاف، سلسلة الأصول....، مصدر سابق، ص35.

لمولاي أحمد الحسن الفاسي، كتاب: نحة الأفاضل في ترجمة سيدي نائل، وكتاب: روضة الأزهار<sup>1</sup>.

### 3- إثماد الأبصار في الاختصاص بالأشراف الأخيار:

يقع المخطوط ضمن مخطوط: "جوهرة العقول في ذكر آل النبي الرسول" لعبد الرحمن بن محمد الفاسي، ناسخ المخطوط: علي العروسي بتاريخ 18 رمضان 1344هـ/1926م، وهو بخط مغربي واضح<sup>2</sup>.

### 4- السلسلة الوافية والياقوتة الصافية فيه من الأنوار الزاهرة والسلسلة الطاهرة في الأشراف

و الكتب والظروف، للشيخ أحمد بن محمد العشماوي المكي.

يبلغ عدد صفحات الكتاب خمسة وخمسين ورقة، وهو مكتوب بخط مغربي واضح وفي حجم كبير. نسخه: محمد بن عبد القادر الجيلالي بن زيان وضع الناسخ مقدمة للمخطوط وذكر فيها أسم المؤلف و عنوانه.

ذكر "بن محمد العشماوي" في بداية المصنف سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم، ثم عرض الأحاديث التي تحت على حبه وآله، ثم ذكر قول ابن خلدون الذي يقول: "حرروا أنفسكم وثبتوها بالتواريخ"، ثم تحدث عن انتقال النور المحمدي من سيدنا آدم إلى شيث، إلى عبد الله، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر زواج فاطمة من علي كرم الله وجهه، ويتحدث عن الحسن والحسين، إلى ذكر إدريس بن عبد الله الكامل<sup>3</sup>.

ذكر -العشماوي- تأسيس مدينة فاس، ثم وفاة إدريس الأكبر، ثم ولاية ابنه إدريس الأصغر، ثم ذكر ذريته، وذكر الأشراف الذين ينحدرون من إدريس الأصغر، والأنساب الشريفة في جميع القطر

<sup>1</sup> محمد بن علي الشريف، روضة الأزهار في التعريف...، مصدر سابق، ص8.

<sup>2</sup> للتعرف على المخطوط، أنظر، مصدق سومية، أشراف غريس من خلال مصادر النسب.....، مرجع سابق، ص144.

<sup>3</sup> أحمد بن محمد العشماوي المكي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية... مصدر سابق، ص145.

الجزائري، ثم عاد وذكر سيرته صلى الله عليه وسلم، الخلفاء الراشدين ولاية كل منهم باختصار، كما ذكر ولاية الحسن والحسين، ولاية معاوية بن أبي سفيان، ولاية يزيد بن معاوية<sup>1</sup>.

أما في الخاتمة، فجاء فيها:

كملت أنساب الشجرة المباركة المذكورة المشهورة"، تعرض من خلالها للأحاديث التي تحث على حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم إيذائهم، ويضيف: هذا كتاب التحقيق في الحديث الصحيح في القول المعتمد الرجيح"، ثم يقول الناسخ: هذا الكتاب صح على مجموعة من الشيوخ، وأعلو أن أول من ألف هذا الكتاب هو الشيخ أحمد بن محمد بن أبي القاسم العشماوي، ولخصه بعده محمد بن علي بن محمد القيرواني، ثم لخصه بعده أحمد بن محمد الكرماني<sup>2</sup>.

#### 5-مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب لبهاشمي بن بكار.

يضم المؤلف أربعة كتب في كتاب واحد، وضع في البداية المؤلف مقدمة عامة للكتاب، عدد فيه المؤلفين الذين كتبوا في علم النسب منذ الجاهلية إلى الإسلام، وذكر فيه دوافع تأليفه وهو جمع كتب الأنساب في كتاب واحد حيث يقول: "أنه في عصر لا يهتم بالحياة الثقافية، وأصبحت المخطوطات مهملة"، ويقول أنه توجهت همته وتحركت عزمته إلى ما بقي من هذه المخطوطات في مجال التاريخ والنسب والحسب والفضائل والأدب، وأنه جمعها وقام بتصحيحها مع إبقاء كل كتاب لوحده<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن محمد العشماوي المكي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية...مصدر سابق، ص45.

<sup>2</sup> أحمد بن محمد العشماوي المكي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية...مصدر سابق، ص55.

<sup>3</sup> لبهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، ص56.

6-سلسلة الذهب: لعبد السلام بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإسكندري، صاحب محروسة سوسة بالقيروان:

مخطوط من حجم متوسط، عدد صفحاته تسع وعشرين صفحة، تاريخ النسخ يوم الأربعاء شعبان سنة خمس وثلاث مائة وألف<sup>1</sup>.

يذكر المخطوط نسب الأشراف في كل من تونس، الجزائر، المملكة المغربية، لكنه بالمقابل يركز على الأشراف بالجزائر، فيذكر الأشراف المتواجدين بمدينة مازونة وهذا في نسب السلطان سيدي الناصر بن عبد الرحمان صاحب مازونة وذريته المنتشرة في كل من الصحراء، والكاف بتونس، ومتيحة والشلف، وفي جبل عمور، و في مدينة تلمسان.<sup>2</sup>

ويذكر شرفاء تلمسان وهم: أولاد سيدي محمد بن رحمة، وأولاد سيدي محمد بن زيان بن أحمد، وبنو قايد، وأولاد سالم، وأولاد عبد الحليم، كما يتطرق الكتاب إلى أشراف غريس يذكر منهم: أولاد سيدي ابراهيم المغراوي، أولاد محمد بن يحيى قراري الجنون(مقرئ الجنون) و يذكر نسب عبد القاوي صاحب تفرسفت، كما يعدد نسب الأشراف في مناطق متعددة.<sup>3</sup>

و ختم عبد الله بن أحمد الإسكندري مصنفه بخاتمة ذكر فيها صحة هذا المصنف على مجموعة من الأشياخ، فيقول:"و علموا أن هذه المسألة السلسلة، ثم المسطرة خط العالم العلامة سيدي عبد الله التونسي الإسكندري صحيحا مليحا فلا يحل لأحد نقضها... بن عبد الله بن محمد بن علي محمد بن أحمد صاحب محروسة سوسة، أيده الله و العاطف عليها سيدي هاشم بن محمد القيرواني، في السادس من شهر الله المعظم ذي الحجة عام ستة وأربعين وألف1046ه الموافق ل1733م، واعلموا بصحة هذا الرسم، وهو صحيح ولا شك فيه ولا خلاف"<sup>4</sup>، ثم يقوم الناسخ بوضع خاتمته.

<sup>1</sup> عبد الله بن احمد الإسكندري، سلسلة الذهب، مخطوط ملك خاص، ص29.

<sup>2</sup> نفسه، ص7

<sup>3</sup> نفسه، ص8.

<sup>4</sup> عبد الله بن احمد الإسكندري، سلسلة الذهب...مصدر سابق، ص28. توجد نسخة من مخطوط على الموقع الإلكتروني: الرابطة العلمية albordj-blogspot.com العالمية للأنساب الهاشمية-قناة الأشراف أون لاين-. برج سيدي بن عزوز البرجي.

7- العقد النضيد في نسب البوازيد لعبد الله بن احمد بن عبد الرحمان البوزيدي<sup>1</sup>.

مخطوط في حجم صغير وبخط واضح مفهوم، عدد صفحاته تسع صفحات، ونسخ المخطوط ناسخين، الأول: وهو محمد العيد بتاريخ 13 جمادى الثانية 1347هـ الموافق ل26 نوفمبر 1928م، أما الثاني: محمد أبو القاسم بوالأنوار بتاريخ 28 شوال 1386هـ الموافق ل7 فبراير 1967م.

يذكر صاحب التأليف في مقدمة الكتاب دواعي هذا التأليف والذي كان بطلب من بعض أشرف المنطقة.

و في العرض يورد الأحاديث النبوية المطهرة التي تتحدث عن حب آل البيت، وعن نسب سيدي بوزيد بن علي وسيرته ونسبه فيقول: " هو القطب الرباني، والغوث الصمداني، الشريف الحسني، سيدي بوزيد بن علي بن موسى بن عيسى ابن سليمان بن عبد الله بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>.

يتحدث الكاتب كذلك إلى ذرية سيدي بوزيد ومواطنهم، وهم على التوالي: علي، عبد الله، اللذان دفنا بأرض راشد، وانتشار الأولاد والأحفاد إلى مناطق عديدة من الجزائر، والمغرب، وطرابلس، ومن أولاده الذين من منطقة غريس سيدي العيد، وفي الأخير يتطرق إلى وفاة سيدي بوزيد بن علي.

8- المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية والتعريف بمشاهير العلماء

ورجال المعاهد الصوفية، للجيلالي بن عبد الكريم اليحياوي العطاوي.

ذكر المؤلف في مقدمته دواعي التأليف، وهي أنه لما كان أولاد جده سيدي يحي بن صفية دفين سبدو غربي تلمسان متفرقين ومنتشرين في مناطق عديدة، بعضهم في البيض، وبعضهم الآخر في

<sup>2</sup> نسب البوازيد تحدث عنه مجموعة من المصادر النسب منها: ياقوتة النسب الوهاجة، العربي المشرفي. صاحب جوهرة العقول في ذكر آل النبي الرسول، وينظر إلى: العقد النضيد في نسب البوازيد، ص9.

الأصنام، وبعضهم في العطف، أراد أن يضع تأليفا يجمعهم، كما ذكر تسمية مصنفه وقسمه إلى مقدمة، وثلاث أقسام، وخاتمة<sup>1</sup>.

جاء في مقدمة الكتاب: فضل الشرف وضبط النسب، وما يترتب على من أدخل نفسه متعمدا في نسب غيره، ومن أخرج نفسه متعمدا من نسبه.

-القسم الأول: في ذكر نسب سيدي يحيى بن صافية.

-القسم الثاني: في ذكر أولاده وعددهم، والأماكن الموجودين فيها.

-القسم الثالث: أولاد سيدي الجيلالي بن يحيى بن صافية، والأماكن المتواجدين بها، وانتقالهم من مكان إلى لآخر والسبب في ذلك.

9- الدرر السنوية في أخبار السلالة الإدريسية لمحمد بن علي السنوسي الحسني الإدريسي

الخطابي<sup>2</sup>:

جاءت مقدمة المؤلف موزعة إلى فصلين بارزين:

-الفصل الأول: أصل النسبة الإدريسية وتووع أفنانها في أقطار الأرض.

-الفصل الثاني: فتح المغرب العربي، كما ذكر "المؤلف بن علي السنوسي الخطابي"<sup>3</sup> في المقدمة

أنه سيتحدث عن ست دول وهي على التوالي:

\*الدولة الأولى: الفاسية.

\*الدولة الثانية: التلمسانية.

\*الدولة الثالثة: الغمارية.

<sup>1</sup> الجيلالي بن عيد الكريم اليحياوي العطاوي، المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صافية والتعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، ط3، د.د.م، 2006، ص3.

<sup>2</sup> هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي، ولد 1792م في ضواحي مستغانم، تتلمذ على يد علماء مستغانم ومدينة مازونة، 1829 توجه إلى مدينة فاس ومكث فيها سبع سنوات، تتلمذ فيها على كبار العلماء، ثم توجه 1829م إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وعند مروره بمصر درس بها وأخذ الإجازات والأذكار الطرق الصوفية، توجه بعدها إلى مكة المكرمة التي تتلمذ فيها على الشيخ عبد الحفيظ بن محمد العجمي، كما أسس الشيخ السنوسي زاوية في جبل أبي قبيس المطل على الكعبة وأخذ بنشر طريقته الجديدة، واغتتم فرصة دعوة وفد الليبيين له بالذهاب معهم إلى ليبيا، فغادرها إلى برقة سنة 1843م، وفي ليبيا أسس عدة زوايا، أولها الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر. ينظر: بن نعيمة عبد المجيد وآخرون

<sup>3</sup> الجيلالي بن عيد الكريم اليحياوي العطاوي، المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق....مصدر سابق، ص5.

\*الدولة الرابعة: السبئية.

\*الدولة الخامسة: الأندلسية.

\*الدولة السادسة الصحراوية.

و لقد أورد المؤلف -ابن الخطابي- لكل دولة من هذه الدول المذكورة سابقا أسم حكامها<sup>1</sup>.

ذكر الخطابي في الفصل: "حادثة إدريس الأول ومجيئه إلى المغرب، وزواجه و زواجه من "كنزة المرضية" التي أنجبت له إدريس الأصغر، ويذكر أولاده<sup>2</sup>، كما ذكر عبد القوي الحسيني الإدريسي الزياني، كما تحدث عن نسب بني زيان الأشراف، أما الخاتمة فجاءت في ذكر بعض الخلفاء والملوك بداية بالخلفاء الراشدين، وخلفاء بني العباس<sup>3</sup>.

يقول الخطابي بخصوص المؤلفات التي اعتمد عليها: "وسترى لكل واحد بيانا شافيا على ما عند صاحب القرطاس، و ما في العبر لأبن خلدون، و ما في سلاسل الفصول لأبن خلدون التلمساني، و ما في عمدة الطالب في نسب علي بن أبي طالب لابن عنبه"<sup>4</sup>

ثانيا-كتب الأنساب الخاصة.

يمكن تقسيمها حسب الإقليم الذي تخصصت فيه أو الأسر التي تحدث عنها.

1:مؤلفات المتخصصة في الأقاليم: ونذكر منها،

1-1-عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله

بن أحمد بن محمد التوجيني:

<sup>1</sup>الخطابي محمد بن علي السنوسي الحسني الإدريسي، الدرر السنية في أخبار السلالة...مصدر سابق، ، ص98-128.

<sup>2</sup>نفسه، ص98.

<sup>3</sup>نفسه، ص ص98-99.

<sup>4</sup>نفسه، ص6.

هي عبارة عن رسالة ويوجد ثلاث نسخ من هذا المخطوط، فالنسخة الأولى نسخها الشيخ البشير يوم الأربعاء 29 رمضان 1380هـ/15 مارس 1962م وتقع في 8 لوحات، ويقول فيها: "أنه مهاجر ببرج ولد المخفي في إقامة الثورة العربية بين المسلمين ودولة أفرانسا أخرها الله"<sup>1</sup> والثانية نسخها العربي بن احمد المشرفي، والنسخة الثالثة مبتورة الأخير تقع في 10 لوحات، مع العلم أنه تم طبع المخطوط وأصبح كتابا متداولاً على شبكة الانترنت.

هذه الرسالة كانت مرجعا للشيخ عبد الله حشلاف في كتابه "سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول" طبع بتونس سنة 1347هـ/1929م، كما نشر بعض تراجمها الشيخ بلهاشمي بكار في كتابه: "مجموع الحساب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب" الذي تم طبعه بمطبعة ابن خلدون بتلمسان 1381هـ/1962م، ونشر كاملا باللغة الفرنسية السيد: ل.قان" في المجلة الإفريقية عام 1891م من ص 241-280.

شرح هذه الرسالة محمد الجرزي الراشدي بطلب من المؤلف وسماه: "فتح الرحمن في شرح عقد الجمان"، كما شرحها العلامة أبوراس الناصر وسماه: "إيضاح الغميس وأنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس"،

1-2- مخطوط لأبي راس الناصري في النسب: ذكر أبوراس "في فتح الإله ومنته... "عدة عناوين

منها:

\*"شرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس"

\*"شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن".

<sup>1</sup> أبوريد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بين محمد التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخطوط رقم: 3323، ص1، ذكر فيه دواعي التأليف أنه سأل بعض من أبناء زمانه أن يكتب لهم مؤلف يذكر فيه من سكن أهل غريس من الأشراف، وثبت أنه من ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم.

\*مروج الذهب في نبذة من النسب و من انتمى إلى الشرف و ذهب: هو شرح آخر للعقد الجمان، إذ يقول أبو راس: "وانظر كتابنا مروج الذهب في ذكر من للولاية انتهى وذهب شرح النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس"<sup>1</sup>.

\*أنوار البرجيس في شرح العقد النفيس: يقول عنه guin.i "غوين" أنه تم إتلاف هذا المخطوط من طرف أشرف المنطقة وخص بالذكر المشاركة وأولاد سيدي دحو وأولاد سيدي قادة، ويؤكد صاحب القول الأحوط: "غير أنه يعني أبو راس بعد موته بأمد حصل له نقض عند أهل الراشدية وسببه أنه ألف كتابا في النسب وصح فيه من هو شريف من غيره فحصل الإنكار عليه بذلك"<sup>2</sup>، بل أن صدى هذا القول وصل حتى الصحراء، فقد ورد في مخطوط لتاريخ الزاوية البكرية ما يلي: "قال صاحب كتاب عجائب الأسفار يتعذر معرفة الأشرف في وقتنا لاندماجهم في البرابر والعرب وقد نفى الكثير من الأشرف لهذا السبب"<sup>3</sup>.

و لعل ما يعزز هذا القول ويدعمه قول الشيخ أبو راس في كتابه زهرة الشماريخ: "أن النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان واندرسا فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلافا كثيرا في الأمة الواحدة لاختلاط الأنساب".

تطرق المخطوط لأنساب وأشرف معسكر فتحدث عن نسب سيدي بن يخلف وسيدي محمد بوجلال وسيدي دحو بن زرفة وسيدي احمد بن علي وسيدي عمر بن دوبة وسيدي محمد بن يحي وسيدي قادة بن مختار.

<sup>1</sup>أبو راس، الدر المهدي في شرح غوثية أبي المهدي، اللوحة 2.

<sup>2</sup>جورج دالفان، القول الأحوط، اللوحة 4.

<sup>3</sup>بوكعبير تقي الدين، مخطوط في الرد على أبي راس الناصري في قضية نسب أسرة المشاركة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2007/2006، ص 13

1-3- القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم للطيب بن المختار الغريسي<sup>1</sup>:

قال الطيب بن المختار الغريسي: "أني لما رأيت بعض الدخلاء في العربية، المتطفلين على أبوابها وفصولها، المتحاملين على قواعدها وأصولها من العرب المستعجمة، قد أكثروا الخوض في أنساب الحشم، فركب كل منهم مثني، وقال قولاً و ما أفاد معنى، أحببت أن أنفق شيء من العمر الضائع في هذه الرسالة، وأزيل الخبط والاضطراب عنهم في هذه العجالة، مقتصرًا على ما تدعو إليه الحاجة من مشاهير القبائل ورؤساء الفضائل وأعيان الأشراف<sup>2</sup>."

يحتوي الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول.

-الفصل الأول: ذكر أشراف غريس الذين لا شك فيهم وعددهم، وهم: أولاد سيدي دحو بن زرفة، وسيدي أحمد بن علي، سيدي محمد بن يحيى مقرئ الجان، والمشارف، وسيدي أحمد الورغي، وسيدي العيد بن مقاضي، وسيدي عبد القادر بن المختار.

-الفصل الثاني: تحدث عن من هو بمنطقة غريس من العرب الذين ليسوا بأشراف، وتحدث فيه عن الفتوحات العربية الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي و قدوم قبائل بني هلال، وسليم المضرية، والدولة الفاطمية، وردة البربر عن الإسلام، وتحدث عن فساد اللسان المضري واختلاط العرب، وعن انتشار اللغة العربية حيث صارت لغة البلاد، وتحدث عن العرب في غريس وأصولهم، وعن قبائل الحشم الذي يعبر عنهم بالأجواد، الذين كانت فيهم الرياسة حتى أواخر العهد العثماني.

-الفصل الثالث: خصه لقبائل زناتة الموجودين بالمنطقة وهم أقدم من العرب بالمنطقة استيطاناً

للمغرب، وأنهم امتزجوا بالبربر كلية.

<sup>1</sup>الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب الحشم، ضمن كتاب مجموع الحساب والنسب، مصدر سابق، ص337.  
<sup>2</sup>نفسه، ص336.

الخاتمة: يقول فيها،"ولا ثمرة في تميز إحدى الفريقين على الآخر، فلا تضيع زمانك في الفرق بينهما، ثم إذا عرفت الأشراف على حدتهم، وقريش المعبر عنهم بالأجواد على حدتهم، وعرفت العرب الذين ليسوا بقريش حسبما عرفنا، وعرفت أن الزناتي والبربري من سواهم، لأن الأشياء تعرف بأضدادها"<sup>1</sup>.

1-4-تسهيل المطالب لبغية الطالب لمحمد بن محمد المعروف بين الأعرج الغريسي. ت.962ه/1554م.

يقول الأعرج الغريسي: أن مؤلف "بغية الطالب" هو: سيدي عيسى بن موسى التجيني الغريسي<sup>2</sup>، بعدها يقوم ابن الأعرج بوضع شرح لبغية الطالب سماه: "تسهيل المطالب لبغية الطالب"، وكان هذا الشرح بطالب من والده، ويقول أن المؤلف قد ضمن كتابه بكل من كان على عهده من العلماء والأولياء والأئمة من منطقة غريس<sup>3</sup>.

فقد تطرق الغريسي بصفة عامة لأشراف منطقة غريس وعددهم، مثل: سيدي بن موسى في فروحة، وشرفاء مهاجة، وسيدي بوسكرين، وسيدي أحمد بن يحيى، وسيدي يوسف، وعمود نسب المشارف، وسيدي قادة بن المختار، وسيدي محي الدين بن المختار، والأمير عبد القادر، ويذكر بعض الأنساب خارج منطقة غريس مثل: أبو الحسن علي أبهلول، ونسب المحافظين في الجزائر والأصنام، وأولاد سيدي علي بن أيوب في بني عامر، ويذكر نسب بعض الفاطميين في منطقة غريس، ويذكر زوايا سيدي بن خدة العلمية، وما تخرج منها من علماء ويعرض نسبه<sup>4</sup>.

-ثانيا: مؤلفات الأنساب المخصصة للأسر:

<sup>1</sup>الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب الحشم، مصدر سابق، ص354.  
<sup>2</sup>هو سيدي عيسى بن موسى التجيني، نسبة لبني توجين أحد بطون زناتة، أخذ عنه العلم عدد كبير من علماء الراشدية، ومن مؤلفاته: اللسان المعرب على تهافت المعمرين حول المغرب".  
<sup>3</sup>محمد الأعرج الغريسي، ضمن كتاب مجموع الحساب والنسب...، مصدر سابق، ص358.  
<sup>4</sup>نفسه، ص374.

2-1-ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي لمولى مجاجة:

يوجد نسختين من المخطوط، الأولى موجودة بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم:1534 وهي بخط مغربي واضح، وعدد صفحاتها مائة وثمانون ورقة، أما النسخة الثانية فهي موجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية ومكتوبة بخط مغربي، عدد صفحاتها ثمانية و ثلاثونورقة وتحتوي على مقدمة وأربعة أقسام.

أما المقدمة بين فيها دواعي تأليف الكتاب، أما أقسام الكتاب فهي:

-القسم الأول: فقد تطرق المؤلف إلى نسب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.

-القسم الثاني: التعريف بمولانا الحسن رضي الله عنه.

-القسم الثالث: أشار المؤلف إلى ذرية سيدنا الحسن وعن شرفاء منطقة غريس وهم على التوالي:

أولاد سيدي دحو بن زرفة، سيد أحمد بن علي، أولاد سيدي عبد القادر بالمختار، أولاد سيدي محمد بن يحي، أولاد سيدي العيد المااضي وخلوية، سيدي عطا الله والزلامطة، أولاد سيدي بن المرين، وفي هذا القسم خصص "المشرفي" حيزا كبيرا لذكر نسب وعلماء أسرته وتفرعاتها.

-القسم الرابع: خصصه "المشرفي" للتعريف بسيدي محمد بن علي المجاجي، كما ناقش مختلف

الآراء حول نسبه وأصله.

2-2-تنوير قلوب أهل التقوى والمعارف بذكر نسب سادات غريس الموسومين بالمشارف لمحمد

بن الحاج البيدري المدعو بابن عبد الرحمن.انتهى من كتابة المخطوط في شهر

رمضان1178هـ/1764م

ذكر الكاتب في المقدمة سبب تأليفه هذا الكتاب بعد أن سأله أحد الأخوان أن يضع في المشاركة

رسالة تبين نسبهم وفضلهم، كما حدد موقعهم الجغرافي قائلا:"المشارف القاطنين بإزاء أم عسكر"<sup>1</sup>.

1البيدري، تنوير قلوب أهل التقوى والمعارف بذكر نسب سادات غريس الموسومين بالمشارف، اللوحة1.

-الفصل الأول: ذكر فيه العائلات الكبرى في المشارف وهي: أولاد سيد أحمد أبي الجلال، أولاد سيدي علي، أولاد سيدي عب، أولاد سيدي منصور، مشيراً أنه اقتصر على المشهور منهم<sup>1</sup>.

-الفصل الثاني: تطرق فيه "المشرفي" إلى ما وقف عليه من شهادات العلماء حول ثبوت نسب هذه الأسرة واستند إلى شهادة كل من مصطفى الرماصي وسيدي دحو بن زرفة وشهادة أبي زيد عبد الرحمن صاحب عقد الجمان.

-الخاتمة: ذكر فيها -المشرفي- بوجوب تعظيم الأشراف وتقديرهم وإكرامهم.

2-3-الجوهر الصافية في بيان نسب البحاithية لبن عودة بن آغا السيد الحاج محمد المزاري بن آغا السيد قدور الكبير ابن آغا إسماعيل<sup>2</sup>.

انتهى من كتابة المخطوط في 16 من شوال 1302هـ/29-07-1885م، عدد ورقات المخطوط 20 ورقة قسّمه الكاتب إلى مقدمة وأربعة فصول.

-المقدمة: تطرق فيها إلى سبب التأليف فقال: "أردت بحمد الله وضع تأليف أحقق فيه نسب

## البحاithية"2

-الفصل الأول: رفع نسب البحاithية إلى غاية سيدنا آدم عليه السلام.

-الفصل الثاني: في كونهم من بني هلال لا من بني مخزوم.

-الفصل الثالث: سبب تسميتهم بالبحاithية وأول قادم منهم إلى الجزائر.

-الفصل الرابع: ذكر فروعهم وسيرة أعلامهم.

1 مصدر نفسه، اللوحة 2.

2 الجوهر الصافية في بيان نسب البحاithية لبن عودة بن آغا السيد الحاج محمد المزاري بن آغا السيد قدور الكبير ابن آغا إسماعيل.

الخاتمة: جاء فيها تقرير لكل من محمد بن يوسف الزياني الذي مدحه بقصيدة طويلة، وتقريظ للشيخ احمد نكروف الملياني الغريسي وقال عن الكتاب: "يا له من كتاب جليل عزيز لقد أبلغ المراد فيه وأجاد"<sup>1</sup>

وبعدما تعرفنا عن بعض المصادر الخاصة بالنسب والأسر الشريفة في الوطن الراشدي علينا أن نتساءل عن أهمية هذه المصادر التاريخية، ودورها في الكتابة التاريخية المحلية؟.

إن هذه المصادر تعد مرآة عاكسة للنمط السياسي والاجتماعي والثقافي السائد في الجزائر العثمانية ومصدرا لا ينضب في التعريف بواقع الجزائر، فمن خلالها نتعرف على القبائل الشريفة وأسمائها ومناطق انتشارها في الوطن الراشدي.

ذكر المشرفي أبرز العائلات الشريفة ونسب أسرته "المشارف" وأسماء فروعها الكبرى ( أولاد سيد أحمد أبي الجلال، أولاد سيدي علي، أولاد سيدي عب، أولاد سيدي منصور).

ومن جهته تحدث أبو راس عن أشرف معسكر ونسب إليهم سيدي بن يخلف وسيدي محمد بوجلال وسيدي دحو بن زرفة وسيدي احمد بن علي وسيدي عمر بن دوبة وسيدي محمد بن يحي وسيدي قادة بن مختار.

ومن جهته ذكر السيد الحاج محمد المزاري نسب البحايتية وأكد أن نسبهم يرجع إلى قبائل بني هلال لا إلى بني مخزوم.

من خلال هذه المصادر نتعرف عن القبائل التي كانت لها الرياسة والقيادة خلال العهد العثماني، فقد أشار "الطيب بن المختار الغريسي" في كتابه: القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، عن أجواد غريس الذين كانت لهم الزعامة والرياسة زمن العثمانيين وكان لهم شأن كبير في دولة الأمير عبد

1 بن عودة بن محمد المزاري، الجوهر الصافية في بيان نسب البحايتية، مصدر سابق، اللوحة 20

القادر، ومن الناحية الاجتماعية تبين مدى تجيل وتعظيم ومكانة الأشراف في المجتمع الراشدي، ويجب الذود والصفح عنهم عند صدور إذابة منهم وتعظيمهم<sup>1</sup>.

كذلك رصدت لنا هذه الكتب التاريخية مكانة الشريف في المجتمع، فالعالم المشرفي كان كثير الافتخار بنسبه الشريف ويظهر هذا جليا في مؤلفاته الكثيرة ويذهب إلى: "أنه يجب على العامة تعظيم الأشراف"، ومن سبّ أهل البيت فقد خرج من الدين<sup>2</sup>، لأن الساب لهم ساب الرسول عليه الصلاة والسلام، ويستدل "المشرفي على فضل أهل البيت بقوله تعالى: {إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}<sup>3</sup>

وبناء على ما سبق، كان رد "المشرفي" عنيفا وصارما ضد أبي راس عندما نفى الشرف عن أسرته المشاركة وسيدي دحو بن زرفة من خلال مؤلفه: رد المشرفي على أبي رأس الناصر في قضية نسب أسرة المشاركة<sup>4</sup>، ولم يدخر جهدا في الطعن في شخصه فوصفه بأوصاف تقدر في عدالته وتمادى في تجريحه حتى تكلم في ذريته فقال: "أن النفس الأمانة بالسوء حملته على أن يتكلم في المشارف"، "ومن أجل الطعن في نسبهم صرصرت الريح العقيم على ذريته فأجاحت فصار كأنه لم يعقب عقبا من ذكر يذكره أو أنثى تحمد عاقبتها وتشكر<sup>5</sup>".

<sup>1</sup> الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم... مصدر سابق، ص 352.

<sup>2</sup> المشرفي، الرد على أبي راس، اللوحة 34.

<sup>3</sup> سورة الأحزاب. آية 33.

<sup>4</sup> يرى-الطالب الباحث بوكعبير تقي الدين في مسألة نفي نسب أسرة المشاركة: "أنه لم يطلع على ما سطره الشيخ أبو راس وإنما بلغه أن الشيخ نفى الشرف عنهم ودليل ذلك أن المشرفي لم يورد ولو نسا واحدا من كلام أبي راس يثبت مزاعمه، ومن جهة ثانية يذكر "غويين": أنه تم إتلاف هذا المخطوط (أنوار البرجيس) من طرف أشراف المنطقة وخص بالذكر المشاركة وأولاد سيدي دحو وأولاد سيدي قادة". أنظر: بوكعبير تقي الدين، دراسة وتحقيق مخطوط للعربي المشرفي في الرد على أبي راس الناصر في قضية نسب أسرة المشاركة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص الدولة والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، السنة الجامعية 2013/2014م، ص 89..

<sup>5</sup> المشرفي، رد المشرفي على أبي راس الناصر في قضية نسب أسرة المشاركة" اللوحة 12.

– مؤلفات الأنساب التي أهتم بها الفرنسيون:

عنوان الكتاب	المؤلف – الباحث	المحتوى
التحقيق	محمد بن بوزيد Arnaud	يذكر المؤلف القبائل الشريفة ويبين موقعها الجغرافي في كل من المغرب الأقصى-تونس- الجزائر بصفة خاصة، ويذكر: بني خاثير وأولاد يحي، بنية حمزة وأولاد مالك، بني جرمونوالسقفية وفجيج، أولاد عيسى وأولاد نايل، سيدي بوزيد وذريته الموجودة بتونس، وأولاد عنان <sup>1</sup>
أنوار البرجيس في شرح عقد الجمان النفيس	أبوراس الناصر L.guin	قام أبوراس الناصري بشرح "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس" سمى شرحه "أنوار البرجيس في شرح عقد الجمان النفيس"، ويتحدث المؤلف عن شارح العقد الأول وهو الجوزي" الذي هم من بني زروال <sup>2</sup> .
عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس	أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التوجيني. L.guin.	وضع المؤلف دراسة على مخطوط عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس" والذي يعدد فيه أشرف غريس في القرن 17م <sup>3</sup>
أسطورة سيدي علي بن ملك	A.goly	يتحدث المؤلف عن سيدي علي بن ملك بن معزوز بن شعيب، كما يذكر سيدي بوزيد وذريته والمناطق المنتشرين فيها <sup>4</sup>

<sup>1</sup> Arnaud. Les tribus Cheurfa nobles. Traduction d'un fragment d'un livre de la vérité par Mohamed ben Bouzid weld Khaled djebel Amour. **R.A** vol17.1873.pp329-372.

<sup>2</sup> L.Guin.de la suppression du Manuscrit les réflexions brillantes de jupettes ou commentaire du collier précieux. Qu'avait rédigé Mohamed Bou Ras. **R.A**. T.31.1887.PP.7-26.

<sup>3</sup> L.Guin. le collier de pierres précieuses ou mention des principaux personnages d'origine noble de la contrée du Reris. **R.A**.T.35.1891.pp241-280.

A.joly. la légende de sidi Ali ben Malek. **R.A**..T52.1908.PP74-85.

<p>بحدث فيه المؤلف عن الأنساب في الجزائر بصفة عامة<sup>1</sup>، وأهل الشلف من بينهم ذرية سيدنا عبد القوي في تقدمت أما أخوانه وأحدهم "محمد الشراط" بقي في تاجرت سلطانا والآخر هو زيان بقي في تيارت<sup>2</sup></p>	<p>A.Giagobetti des peres blanches.</p>	<p>كتاب الأنساب</p>
---	---	---------------------

#### رابعاً: علم التصوف.

يعد جزءاً أساسياً من التراث الإسلامي حيث تبوأ مكانة هامة في الفكر العربي الإسلامي، والاهتمام بالتصوف قديم ألف فيه الفلاسفة كابن سينا والغزالي وابن خلدون، وتجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام، ولم يتفق هؤلاء على رأي واحد سواء تعلق الأمر بحدوده أو أصوله، فالتصوف ليس ظاهرة إسلامية خاصة، بل أن جذوره وعروقه تمتد في أي فكر ديني عموماً، حتى أن كثيراً من الدارسين ربطه بأصول غير إسلامية كالمسيحية والهندية والفارسية والفلسفة اليونانية<sup>3</sup>

#### أ- أصل كلمة التصوف:

أنه من الصوفة الأقوال في اشتقاق التصوف عند المسلمين على عدة أقوال، أشهرها:

- لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة استسلامه لله تعالى.
- أنه من الصفة، إذ أن التصوف هو اتصاف بمحاسن الأخلاق والصفات وترك المذموم منها.
- أنه من الصوفة، لأن صاحبه تابع لأهل الصوفة الذين هم من أصحاب الرسول صلى عليه وسلم الرعيل الأول من رجال التصوف وهم مجموعة من المساكين الفقراء كانوا يقيمون في المسجد النبوي ويعطيهم الرسول صلى الله عليه من الصدقات والزكاة طعامهم ولباسهم.

<sup>1</sup>A.Giagobetti des peres blanches kitab en nasab R.A.T59.1908.PP74-85.

<sup>2</sup>A.giacobetti. vol 46.op.cit.p.345.

<sup>3</sup> عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1989، ص21

- أنه من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله، وتسابقهم في سائر الطاعات.

- أنه من الصوف، لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف الخشن للتكشف والاختيشان.  
أما المستشرقون فإنهم يرون: أن كلمة صوفي مأخوذة من كلمة (صوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة، وعندما فلسفت العرب عبادتهم حرفوا الكلمة وأطلقوها على رجال التعبد والفلسفة الروحية، أو مأخوذة من (تيوصوفيا) بمعنى الإشراف أو محب الحكمة الإلهية بسبب المشابهة الصوتية بين كلمة (صوفي) والكلمة الصوفية (صوفيا)، وكذلك لوجه الشبه الموجود بين كلمة (تصوف) و (تيوصوفيا).

#### ب- من حيث الاصطلاح:

كثرت الأقوال في تعريف التصوف تعريفا اصطلاحيا على آراء متقاربة، كل منها يشير إلى جانب رئيسي في التصوف، والتي منها:

-قول الشيخ زكرياء الأنصاري: التصوف علم تعرف به أحوال تركية النفوس، و تصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية.<sup>1</sup>

-قول الشيخ أحمد زروق: التصوف علم قصد الإصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه.

-قول الإمام الجنيد: التصوف استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني.<sup>2</sup>

-قول الإمام أبو الحسن الشاذلي: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها للأحكام الربوبية.<sup>3</sup>

-قول الإمام ابن عجيبة: التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية....مصدر سابق، ص28.

<sup>2</sup> نفسه، ص29.

<sup>3</sup> مصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص57.

<sup>4</sup> نفسه، ص59.

والأظهر أن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف، فلما أختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة اختصوا بمواجد مدركة لهم، ذلك أن الإنسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك"<sup>1</sup>

### ج- ظهور التصوف كعلم:

بعد عهد الصحابة والتابعين، دخل في دين الإسلام أما شتى، وأجناس عديدة، واتسعت دائرة العلوم وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، فقام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذي يجيده أكثر من غيره فنشأ، علم النحو، علم التوحيد، علم الحديث، التفسير والمنطق، علم أصول الدين، الفرائض وغيرها من العلوم الإسلامية، وبعد هذه الفترة بدأ تأثير الدين يتضاءل شيء فشيء، وأخذ الناس ينتاسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، مما دعا أرباب الرياضة والزهد إلى أن يعملوا هم من ناحيتهم أيضا على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم، من باب صد النقص واستكمال حاجات الدين في جميع نواحي النشاط.<sup>2</sup>

لكن المعلوم عند المتصوفة المتأخرين أنهم لجأوا إلى كثير من الأمور المخالفة للشرع كالقول بالتسليم للشيخ وعدم مراجعته، وعدم الإنكار على ما ارتكب باطلا من الأولياء ولو بالقلب، وإلزام الناس الانتساب إلى طريقة من الطرق، واعتماد أحزاب معينة في الذكر وفرضها على المريدين، واتخاذ مصطلحات معينة في الدين لا حاجة إليها كما هو الشأن في علم الأصول،...إنزال الناس منازل وإطلاق أوصاف عليهم لم يأذن بها الله ولا رسوله كالغوثة وما قيل عن الأوتاد والأقطاب، واعتقاد أن هناك من الأموات أو الأحياء من له تصرف ما في الكون ومعرفة الغيب، ونجاة أتباع بعض الشيوخ.... والتحدي بالكرامات، وامتداح بعض أفعال المتصوفة المخالفة لهدي النبي صلى الله عليه

<sup>1</sup> حمدادو بن عمر، عرفانية الخطاب من خلال...مرجع سابق، ص6.

<sup>2</sup> حمدادو بن عمر، عرفانية الخطاب من خلال رسائل...مرجع سابق، ص80.

وسلم كالرقص والسماع، والاعتماد على المرثي والأذواق والكشف والأحاديث الموضوعية فضلا عن الضعيفة في الأحكام الشرعية".<sup>1</sup>

و لعل من أبرز علماء الجزائر العثمانية الذين ألفوا في هذا العلم نذكر منهم:

1- عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الأخضرى. ت. 983هـ/1534م: موله:

-القدسية:

وهي نظم في آداب السلوك، وتسمى المنظومة القدسية في طريق السنة، نظمها سنة 944هـ، وهو ابن أربع وعشرين سنة ويحتوي على ستة وأربعين وثلاثة مائة 346 بيت.

2- احمد بن ثابت الحسني البجائي. ت. 1152هـ/1739م: موله:

-التفكير والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار. جاء في أوله: "الحمد لله الذي أبدع الإنسان بنعمته وصوره في الأرحام...".

3- عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان أبو القاسم البجائي. ت. 1181هـ/1767م، وله:

-تبصرة القلوب. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم: 14.

-شمس القلوب. مخطوط بمكتبة الإسكندرية.

-محجة السعادة. مخطوط بالإسكندرية و الرباط تحت رقم: 519.

-قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصدقين. مخطوط بخزانة الرباط-المملكة المغربية-

تحت رقم: 293، وكذلك بالمكتبة التونسية تحت رقم: 606.

<sup>1</sup> أبو عبد القادر عابدين بن حنيفة، أبوراس الناصري المعسكري-حياته ونصوفه. من كتابه الحاوي، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1425هـ/2004م، ص 81.

4-الحسن بين محمد بن السعيد الورتيلاني. 1193هـ/1779م موله:

شرح القدسية للأخضري. وتعرف كذلك: الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح الألفاظ القدسية.

-شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار.مخطوط لمكتبة تيطوان-المملكة المغربية - تحت رقم:155.

5-محمد بن احمد بن عبد القادر بن محمد أبو راس الناصري الراشدي المعسكري.ت.1239هـ/1824م.وله:

-الزهر الأكم في شرح الحكم.يعرف كذلك ب: فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله، شرح فيه حكم ابن عطاء الله السكندري.

-التشوف في مذهب التصوف.

-كفاية المعتمد ونكاية المنتقد.

-الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي.

-الآيات البيئات.

-الدر المهدي لغوثية أبي مهدي.شرح بها منظومة عيسى بن موسى أبي مهدي التيجاني.تقع في 64صفحة.

6-احمد بن المبارك بن العطار القسنطيني. ت.1266هـ/1849م، وله:

-فتح الرحيم الرحمان في شرح منظومة نصيحة الإخوان: كتاب في أصول التربية وآداب السلوك في الطريقة المصالية الشاذلية..

-نصيحة الأخوان.

-سلم الوصول في الصلاة على الرسول:.. أعطاه لشيخه أحمد بن سعيد العباسي.

و مما يمكننا استخلاصه، أن التصوف طبع الثقافة والفنون في الجزائر والمنطقة المغاربية عموماً، وبواسطة الخطاب الديني تشكل في وسط الأهالي الخزان الذي لا ينصب لدواليب الطرق الصوفية والتي ظلت تشكل حلقة هامة من حلقات التاريخ الثقافي في الجزائر والحفاظ على تعاليم لغة الضاد ورفع لواء الجهاد.

بناءً على ما سبق، ظل علماء المتصوفة يقرّون الحركات الصوفية ولا يتناولونها بالنقد والإنكار من رقص، اللباس، التصفيق، الأذكار، كما ظلت كتبهم ومصادرهم التي يغلب عليها الحشو والخرافات والغلو في الشيخ تتحدث عن أهل الغوث والأولياء وخصائص المريدين، فهذا ابن مريم صاحب كتاب "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" و الذي كان معلماً للصبيان كان شديد الإعجاب بالعلماء و نظر إليهم نظرة إعجاب و قداسة لأنه لم يصل إلى مستواهم العلمي، فأضفى على العلماء صفة الكرامة و الخوارق، فوقع في الخط بين الصالحاء و العلماء.

و للوقوف على ظاهرة التصوف بكل دقائقها و حيثياتها اتخذنا من كتاب: "الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء و الفتاوى"<sup>1</sup>. للعلامة أبوراس الناصري "أنموذجاً".

ذكر أبو راس الناصري كتاب: "الحاوي" في أكثر من موضع، فقد ذكره في بداية الكتاب قائلاً: أما بعد فيقول المقل القاصر أبوراس بن ناصر، كما ذكره في كتاب: فتح الإله ومنتته ، وذكره أيضاً في شرح غوثية أبي مهدي عيسى بن موسى، وتعرض فيه الى مسائل: التوحيد- التصوف- الأولياء، الفتاوى، وبعض المسائل نذكر منها:

\*كيف الوصول إلى عين الشريعة المطهرة التي يشهد الإنسان اغتراف جميع المجتهدين

مذاهبهم منها؟.

<sup>1</sup> أبو راس الناصري، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء و الفتاوى،... مرجع سابق، ص132.

–يجيب أبوراس: "أن طريق الوصول إلى ذلك هو السلوك على يد شيخ عارف بميزان كل حركة وسكون، بشرط أن يسلمه نفسه يتصرف فيها كيف يشاء مع انشراح قلب المرید لذلك"<sup>1</sup>

### \*الولي لا يعرف:

ينقل عن بعض المتصوفة أن الولي لا يعرف، بل أن معرفته أصعب من معرفة الله تعالى.

–يجيب أبوراس: "قال المرسي: معرفة الولي أصعب من معرفة الله، فإن الله معروف بكماله وجماله، ومتى تعرف مخلوقا مثلك؟: يأكل كما تأكل، ويشرب كما تشرب، وقد أخفى الله الولي عن الناس كما أخفى ليلة القدر والساعة التي في الجمعة، واسمه الأعظم، وأسماءه الحسنی"<sup>2</sup>.

### \*التضييق على النفس:

الدعوة إلى التقل من الدنيا وزخارفها والاكتفاء بالقليل منها، و بنقل أبوراس عن بعضهم دون تعليق: "فإن قلت فهل ثم شروط تؤخذ في حال السلوك؟،

فالجواب: نعم من الشروط أن لا يمكث لحظة على حدث في ليل أو نهار ولا يأكل شيئاً فيه روح من أصله، ولا يأكل إلا عند حصول مقدمات الضرورة"<sup>3</sup>

### \*الاستغائة بالمخلوقين:

جاء في كتاب الحاوي: الاستغائة بغير الله تعالى<sup>4</sup>، الاستغائة بمن حضر من القادرين على الإغاثة، كاستغائة الناس يوم القيامة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

<sup>1</sup> أبو عبد القادر عابدين بن حنيفة، أبوراس الناصري المعسكري-حياته وتصوفه... مرجع سابق، ص 82.  
<sup>2</sup> أبو عبد القادر عابدين بن حنيفة، أبوراس الناصري المعسكري-حياته وتصوفه... مرجع سابق، ص 125.  
<sup>3</sup> الاستغائة هي طلب الغوث، أي الإنقاذ من الشدو والهلاك وهذا إنما يكون وقت الاضطراب، فهي وإن كانت من جنس الدعاء، دعاء المسألة إلا أنها أخص من حيث إبداء العجز وإظهار الحاجة والافتقار إلى الباري عز وجل، وهذا هو لب العبادة. قالتعالى: "أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء"، ولقد ذهب الكثير من الفقهاء إلى اعتبار الاستغائة بالمخلوقات من جنس التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم و جائزا عنده، فالاستغائة مثله لا يصح. فجواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أقل ما يقال فيه إنه مختلف فيه وظواهر نصوص القرآن والسنة وتفسير السلف وعلمهم تأباه، ثم رعاية مبدأ سد الذرائع. انظر: أبو عبد القادر عابدين بن حنيفة، أبوراس الناصري المعسكري-حياته وتصوفه.  
<sup>4</sup> أبو عبد القادر عابدين بن حنيفة، أبوراس الناصري المعسكري-حياته وتصوفه... مرجع سابق، ص 132.

وقد نقل أبوراس في أكثر من موضع في كتابه "الحاوي" استغاثة بعض المريدين بمشايعهم فأغاثوهم-حسب زعمهم وبجعلها أبوراس من جنس التوسل، ومن الأمثلة على ذلك:-قال: في مناقب تاج الأوتاد ومصباح البلاد سيدي أحمد بن يوسف أن رجلا من أصحابه عطش ببرقة في غيابه من الحج فاستغاث به فرزق الماء بعد ما أشرف على الموت، وكذلك أن بعض أصحابه غارت عليه قوم فاستغاث بالشيخ، فأغاثه من مسافة خمسة أيام.

### \*تصرف الأولياء في الكون:

يعتقد أبوراس بان للأولياء تصرفا في الكون بعد مماتهم فضلا عن حياتهم. يقول: " الحمد لله الذي جعل من عباده أهل إغاثة، تفضلا منه لا بسبب ولا وراثة وصرفهم بعد الموت فيحضرون في أقرب وقت بعجيب دلالته بأمر رباني لا بعقد ولا نفاثة"<sup>1</sup>.

وذكر أبوراس في كتاب سماه:"أنصاب رحمة الله في انعقاد ديوان أهل الله": أن جماعة من العلماء اغلبهم من المتصوفة أن أولياء الله يعقدون اجتماعات شهرية أو سنوية يطلقون عليها فيما بينهم اسم الديوان، يتشاورون أثناءها فيما ينجزونه في ذلك الشهر، أو تلك السنة من الحوادث الكونية فما أرادوا تنجيزه وقع في الوقت المحدد له، وما لم يريدوه لم يقع ويعبرون عن ذلك بالتصرف بالعالم العلوي والسفلي، وأن هذا الديوان يغشاه من الأنوار ما يغشى، ويكسوه من المهابة والإجلال ما لا يتكَيَّف"<sup>2</sup>.

و في هذا الصدد يقول صاحب "أنفس الذخائر وأطيب المآثر":...مما يقف معه العقل حائرا يسأل عن الباعث على انعقاد هذا الديوان الفريد من نوعه، وما الغاية منه؟ وماذا يترتب عليه من متجدد غير سابق والأمر كما معلوم مفروغ منه، وقد رفعت الأقلام وجفت الصحف، وما تعلق علن الله أزلا بوقوعه من الممكنات وقع....، ولكن الأسلم أن لا ننازع الأمر أهله، وأهل مكة أدرى بشعابها والذين قرروا المسألة وأقروها في مؤلفاتهم فضلهم معروف، ورسوخهم في علم مشهور وخيرهم مشهود بها، فلا ينبغي أن يقال لهم لم؟ وكيف؟ بل نتوقف ونجوز أن يكونوا على حق، ولا يقدر في حقيقتهم كون

أنظر، الدر المهدي لغوثية أبي المهدي لأبي راس، ص4.

أنظر الطيب المهاجي: "أنفس الذخائر وأطيب المآثر، فيما اتفق لي في الماضي والحاضر"، ص34.

المسألة لم يطلع فيها على علة، ولا يدرك أنها معقولة المعنى، إذ يوجد كثير من الأحكام الشرعية غير معقولة المعنى وتسمى تعبدية، بمعنى أننا مأمورون بالعمل بمقتضاها على وجه التعبد<sup>1</sup>.

#### \* معرفة الغيب:

قال أبوراس: "ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف: "الله رجال إذا غاب عنهم ما تصنع قملة تحيروا"، ومثله سيدي علي الهيتي تلميذ الشيخ عبد القادر أنه قال: "لو دبت نملة على صخرة من وراء جبل قاف، ولم يعلمن بها ربي منه وبلا واسطة لتقطرت مرارتي"<sup>2</sup>.

يذكر علماء الشريعة أنه لا يحل لأحد أن يقول أنه يعلم الغيب، فإن الرسل هم الذين أخبروا بالغيب وقد يكونوا لغيرهم شيء من الكشف وحتى الصحابة الذين رأوا رؤى لم يثبتوا ذلك حكماً إلا بعد شهادة الشرع لهم.

#### \* الاطلاع على اللوح المحفوظ:

لم ينكر أبو راس من أدعى من المتصوفة أنه أطلع على اللوح المحفوظ، بل حاول التمكين لهذه الدعوى من خلال قوله: "لقد تواترت الحكايات عنهم بذلك، قال المرسي: قرأت والتين إلى تقويم، ففكرت في معناها فكوشفت لي عن اللوح المحفوظ".

#### \* التحدي والتسليم لمن ظهرت عليه الكرامات:

دأب أبوراس في الحاوي اتخاذ كرامات الأولياء سلماً إلى التحذير من الاعتراض على ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال كيفما كانت، وما يروونه بالاعتماد على أدواقهم وأرائهم.

<sup>1</sup> الطيب المهاجي، "أنفس النخائر وأطيب المآثر.... مصدر سابق، ص 35.

<sup>2</sup> المخطوط، ورقة 125.

سرد-أبوراس- أمثلة عديدة من الكتب المختلفة لإثبات كرامات الأولياء وفي تعقيبه على هذه المسألة، قال: "فنعوذ بالله من الحرمان وتسويل الشيطان، فلا ينكر ذلك إلا من خلاه الله من توفيقه، ودفعه عن دين الحق وطريقه"<sup>1</sup>.

و بناء على ما تقدم، فإننا نسجل إنكار أبوراس لمتصوفة زمانه ما كان يراه مخالفا للحق والشرع ولو من شيوخه، ومع ذلك يلتمس لهم الأعذار، -وهذا في اعتقدنا- جزء من ثقافة العصر ونظرتهم إلى شيوخهم وثقافة التقديس إلى كتبهم وكل له علاقة بتراثهم العلمي والشرعي.

#### -خامسا:الرحلات.

يعد أدب الرحلات من بين الحقول الخصبة التي نبغ فيها العرب قديما، وهو ما تشهد عليه كتب الأدب الجغرافي والتاريخي ومدوناتهم بحيث تسدي لنا خدمات معلوماتية ذات قيمة بالغة في مجالها، وهي تعتبر من أهم و أجل المصادر في جانبها التاريخي و الاجتماعي لأن الكاتب يستقي معلوماته من مشاهد حية وتصوير مباشر، مما يجعل قراءاته مفيدة وممتعة ومسلية في الوقت نفسه.

و بناء على ما سبق، نجد أن التاريخ الحديث حفل بأسماء كثيرة من أعلام هذا الأدب ورواده الذين قاموا برحلات متعددة خارج ديارهم أو داخلها وطافوا بأنحاء شتى من بلدان العالم ولا سيما نحو المشرق العربي ولا سيما كان هؤلاء الرحالة من العلماء والفقهاء والقضاة والأدباء، أي أنهم كانوا بمثابة الطبقة المثقفة في عصرهم لذلك كانوا حريصين كل الحرص على تدوين وتوثيق دقائق رحلاتهم ومجرياتها، و تسجيل يومياتهم وملاحظاتهم من عادات وطقوس وممارسات بعين يقظة والتي لا تخلوا في الغالب على جوانب سياسية واجتماعية وثقافية للبلد موضوع الزيارة، كما دون هؤلاء جميع أشكال البدع والضلالات والممارسات التي حلت بعقيدة المسلمين وعملهم خلال القرن الحادي عشر بعين العالم التي لا تبتغي غير الحقيقة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>المخطوط، ورقة125.

<sup>2</sup>عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة...مصدر سابق، ص5.

و بقدر ما كانت الرحلة تقصيا للحقائق و صفا للأمصار و الأحوال، فإنها كانت من جهة ثانية عاملا من عوامل التزود بالعلوم والمعارف والأخذ من المشايخ والتلمذ عليهم، وقد كانت الجزائر واحدة من تلك البلدان التي عرفت هذا الفن، وخرج من أرضها رحالة صالحوا وجالوا داخل البلاد وسائر البلاد العربية، فبعضها كان لطلب العلم (رحلات علمية)، وبعضها للأداء فريضة الحج بالحجاز أو ما أصطلح عليه (الرحلات الحجازية)، إلى جانب زيارة مدن بلاد الشام وبيت المقدس.

و من الملاحظ أن الجزائريين كانوا قليلي الإنتاج في رحلاتهم بسبب أن عددا كبيرا من العلماء زاروا العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم و تدوينها لمواطنيهم، كما أن هذه الرحلات كانت مختصرا وبعضها مطولا، وكتب بعضها شعرا فصيحاً أو ملحونا، وبعضها كتب نثرا مسجوعا أو مرسلا، كما بعض من هذه الرحلات لم يصل منها إلا القليل، وبعضها وصل كاملا<sup>1</sup>.

#### 1-الرحلات العلمية:

المقصود بها الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والإطلاع على البلدان و الأخذ على علمائها وممارسة التجارة أحيانا فيها.

1-1عبد الرزاق بن محمد أبو محمد ابن حمادوش الجزائري<sup>2</sup>.ولد بمدينة الجزائر

1110هـ/1695م، وتوفي: 1200هـ/1783م، وله:

–رحلة مسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال.

يبدأ الكتاب بالبسملة والحمدلة ثم ينتقل مباشرة إلى اسم المؤلف دون ذكر الغرض من التأليف والدافع إليه وخطته وسبب اختيار العنوان ونحو ذلك مما جرت عليه عادة المؤلفين.

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج2، مرجع سابق، ص396.

<sup>2</sup> هو:عبد الرزاق بن محمد أبو محمد ابن حمادوش الجزائري من أسرة متوسطة الحال يمتن أفرادها الدباغة. تلقى تعليمه بمسقط رأسه على الشيخين محمد بن ميمون، محمد كنجل، دأب طول حياته على القراءة فتوسعت معارفه في مسائل الفقه، قضايا الأدب، التاريخ، وعرف بمعلوماته العلمية الدقيقة في علم النبات، الطب، الرياضيات، الفلك، المنطق، الفرائض، وأجازه العديد من العلماء بالجزائر وخارجها.قام بعدة أسفار ببلاد المغرب و المشرق وأدى فريضة الحج مرتين سنتي 1130هـ/1161هـ، ترك مصنفا في علم النبات والتداوي بالأعشاب عرف ب:كشف الرموز. أشتهر ابن حمادوش برحلته المعروفة ب:"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال".أنظر:سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...مرجسابق، صص432-433.

وعليه فإن الرحلة تبقى مبتورة الآخر وبالتالي نفتقر إلى معلومات أساسية تأتي عادة في الخاتمة، تاريخ و مكان الكتابة، الناسخ أو الكاتب.

تنتهي الرحلة بالعبارات الدالة وهي: " وكتبت هذا الخميس والجمعة ثاني وثالث جمادى الأولى 1160هـ/الموافق آخر أبريل وأول مايو 1747م، رزقنا الله الهدى فيما بقى، وسامح و عفى فيما مضى.

فهي رحلة قام بها ابن حمادوش في القرن 12هـ/18م من مدينة الجزائر إلى تيطوان ومكناس وفاس ثم عاد إلى الجزائر من تطوان و كانت لطلب العلم والتجارة.

وصف ابن حمادوش الحياة السياسية والاقتصادية بالمغرب التي زارها مرتين، سنتي 1145هـ و 1156هـ سجل خلالهما ملاحظاته وإجازته وأحكامه في مذكراته.

#### -محتويات الرحلة:

كما جرت العادة عند رحالة العهد العثماني فقد تعدد مواضعها وتنوعت، ولم يخرج ابن حمادوش عن العادة لذلك نجد الرحلة تحفل بمواضع وقضايا مختلفة ومتعددة نذكر منها:

\*المؤلف عند جبل طارق.

\*وفاة الحاج عبد القادر بن كرشال بالوباء(وهو من المرافقين للمؤلف في سفره على ظهر السفينة).

\*دخول المؤلف مدينة تيطوان فنزلت في الثانية منها إلى البر، وركبت دابة و حملت ثقلي، فدخلت تيطوان في أول الساعة السابعة وصليت الظهر بها جماعة، فلقيت من علمائها الشيخ أحمد الورززي فسلمت عليه<sup>1</sup>.

1عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب و الحال، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص31.

\* عادة المكسب تيطوان: وكانت عادة قبيحة ابتدعوها، إنهم يأخذون كلنا معك ويحملونه إلى دار

العشر.

\* سلعة المؤلف: وكان عندي صندوق فيه ثلاثة وأربعون تزيينة شاشية تونسي وسبعة عشر حزام

حرير وقصاب زبد.

\* لقاءه بالشيخ البناني: ونزلت في فندق السرايري في بيت مقابلة عين الشمال، كراؤها ستة عشر

موزونة في كل شهر، فلقيت الشيخ محمد البناني الفاسي عند باب داره لأنني كنت أتيت له بأمانة من

الجزائر فدفعتها له وافترقنا<sup>1</sup>.

\* حضوره دروس البناني:

وكان أول يوم حضرت درسه بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وكان يدرس بجامع زاوية

سيدي أحمد بن ناصر، وجدته في كتاب الدعوات. فأول ما سمع له قول الشيخ البخاري - رحمه الله -

باب ما يكره من السجع في الدعاء.

\* حضور دروس الشيخ الورززي:

وفي يوم الخميس لقيت الشيخ الورززي في جامع "لكاش" فأتاني بالبخاري ومسلم و موطأ مالك و

سمى الله تعالى ثم سرد سنده إلى المؤلف وقرأ منه نحو الورقة فوضعه ثم سرد سنده لمسلم إلى

المؤلف فسرد منه ما تيسر، ثم وضعه وسرد سنده إلى الموطأ.

\* اجاوة الورززي للمؤلف:

"...ثم أجازني وكتب لي، ناولني كناشة فذهبت به إلى بيتي، فكتبت منه ما صورته، وصورة ما

كتب لي بحروفه وبخطه: الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله. يقول الفقير إلى الله

سبحانه أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي دارا ومنشأ الدليمي الحميري نسبا.... أن الشريف الفاضل

العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري دارا ومنشأ، رغب أن يسمع مني

<sup>1</sup> ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش.... مصدر سابق، ص33.

ما سهل الله سبحانه من الحديث مما سمعته عن أشياخي رحمننا الله وإياهم، فأسعفته في رغبته فأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري وأجزته سائره، ورغبتني أيضا أن أجزه في كل ما صحت لي روايته من مسموع ومجاز فأسعفته"<sup>1</sup>.

شيوخ المؤلف (ابن حمادوش) ذكر ابن حمادوش منهم:

\*محمد الفاسي: نجم الأمة، وتاج الأئمة، العارف بالله، والدال على الله الذي رباني وأحسن بي التربية، وغذاني بنفائس علومه ودقائق فهمه، مذكر الغافل والناسي سيدي ومولاي محمد الفاسي، قرأت عليه صحيح البخاري، وبعض تفسير القرآن من سورة الفرقان، وجميع الحكم العطائية، وكتاب دلائل الخيرات، وكتاب الاكتفاء للكلاعي،

وبعض صحيح مسلم، وجميع الشمائل مرتين، وبعض سنن أبي داود والترمذي، ومختصر الشيخ خليل، ومختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي"<sup>2</sup>.

\*أحمد بن العربي بن الحاج:

ذكره ابن حمادوش ب: العالم العلامة الدراك الفهامة، الفقيه المحدث الصوفي الألمعي الذكي، العارف بالله، الخاضع الخاشع إليه، أهل زمانه عطفًا وأشدهم لله خوفاً، قرأت عليه المختصر الخليلي أربع مرات، والألفية أكثر من ذلك، وقواعد الإعراب بشرحها للأزهري بلفظي، وجميع الرسالة، والربع أو نحوه من مختصر ابن الحاجب الفرعي، وصحيح البخاري ومسلم مرة واحدة، والشمائل أربع مرات"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 57.

<sup>2</sup> ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش.... مصدر سابق، ص 41.

<sup>3</sup> نفسه، ص 43.

\* محمد بن احمد القسطيني(الكماد):

اذكره ابن حمادوش ب: ثالث شيخنا العديم النظير، ذو الفهم الرايق، والحفظ الدافق، والبحث والتحرير، الإمام العلامة النحرير الذكي الأملعي الزكي، قرأت عليه المختصر، و الكبرى والصغرى والمقدمات، وكلها للشيخ السنوسي، وتهذيب السعد للشمسي في علم المنطق، وصحيح البخاري، وسمعت منه مذكرات في مسائل كثيرة لا تحصى<sup>1</sup>.

\*العربي بن احمد بردلة:

ذكره بن حمادوش ب:الفقيه العالم، العلامة النزيه، المحدث المفسر، النحوي، المحقق المدقق، القاضي الأعدل الموفق، المفتي الخطيب البليغ،...لازمت مجلسه في التسهيل لابن مالك، وتلخيص المفتاح، وشرح العضد على مختصر ابن الحاجب الأصلي أعواما كثيرة، وقرأت عليه بلفظي نحو من نصف صحيح البخاري، وسمعت عليه كثيرا من تفسير كتاب الله، والحكم العطائية، ورسالة الشيخ ابن أبي زيد<sup>2</sup>.

\*الحسن بن مسعود اليوسي:

ذكره ابن حمادوش ب: الخامس شيخنا الإمام الماهر الهمام الباهر المحقق المتقن، ذو التأليف العجيبة الجليلة المتقنة الحفيلة، الزاهد الورع، النقي النقي، الخاشع الخاضع، الصالح...قرأت عليه صحيح البخاري من أوله إلى آخره، حضرت مجلس درسه لحاشيته على المختصر المنطقي، وشرحه على قصيدته الدالية، وصحيح مسلم، و الموطأ والشافا وجامع الأصول لأبن الأثير<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص43.

<sup>2</sup> ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش.... مصدر سابق، ص44.

<sup>3</sup> نفسه، ص 46.

\* عبد السلام القادري: ذكره المؤلف ب: السابع شيخنا العلامة، اللابس من ملابس التقوى والورع، الزاهد المعروف بالخلق الحسن، والخلق المستحسن... قرأت عليه الألفية وتلخيص المفتاح والخزرجية، و سمعت من فوائده وأشعاره وقصائده الحديثية كثيرا، ولم أستجزه، رحمه الله<sup>1</sup>

\* علي بن محمد بركة التطواني:

ذكره المؤلف ب: الثامن شيخنا العلامة، الناسك العابد المنقطع الزاهد المفرد، المكثّر العبادة، المتصف بصفات الورع والزهادة، الشيخ العظيم البركة الحاج الأتقي الأبر أبو الحسن سيدي علي بن محمد بركة التطواني، المتوفى بها سنة 1121هـ.

\* سعيد الحميري:

ذكره المؤلف ب: التاسع شيخنا الإمام المعقولي البياني، خاتمة النبلاء وواسطة عقد النبهاء، العلامة الزكي أبو عثمان سيدي سعيد بن أبي القاسم العميري، المتوفى سنة 1131هـ.

\* محمد بن احمد المسناوي الدلائي:

ذكره المؤلف ب: العاشر شيخنا المهذب الأخلاق، الطيب الأعراق العلامة الأبهري، الفهامة الماجد الأطهر، الفصيح اللسان، الثبت الجنان، الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن الفقيه آية الله تعالى في الحفظ والإتقان والضبط، ما رأت عيناى قط مثله خلقا وخلقاً ومرؤة وتواضعا ووقارا. توفى رحمه الله 1136هـ.

كما تتلمذ عبد المالك التجمعوتي العالم ابن حمادوش على كوكبة أخرى من العلماء الأفاضل ذكر

منهم كل من:

<sup>1</sup> ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش... مصدر سابق، ص 47.

أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المتوفي سنة 1129هـ، أحمد بن يعقوب، محمد بن عبد الرحمان التازي المتوفي سنة 1119هـ، محمد الطيب بن محمد الفاسي، محمد بن صغير، محمد بن قاسم بن زاكور المتوفي 1122هـ.

#### علماء المشرق الذين أجازوه:

ذكر العلامة ابن حمادوش علماء المغرب الذين تتلمذ عليهم أخذ عنهم الكثير من العلوم العقلية والنقلية، كما أنه لم ينسى ذكر علماء المشرق الذين أجازوه أيضا في مختلف العلوم العقلية و الشرعية وذكر منهم:

الشيخ عبد الباقي الزرقاني المصري شارح مختصر خليل، المتوفي سنة 1099هـ، الشيخ أبو الأسرار حسن بن علي بن يحيى العجمي اليمني المكي الحنفي، المتوفي بالطائف سنة 1113هـ.

#### المؤلف يشتغل بكتب الحديث:

يذكر ابن حمادوش أنه في أول يوم الأربعاء من صفر 1111هـ بدأ يشتغل على ألفية العراقي وحاشية سيدي عبد الرحمن الفاسي علي البخاري، كلاهما بمتقالين عدة وفي يوم الخميس ابتدأت نسخ نسخة من ألفية العراقي على السيرة المحمدية،...أقرأ أولا أبياتا وهو يسمع ثم أضعها وأقرأ الشرح بنفسه<sup>1</sup>.

#### ابن حمادوش ينسخ ويشتري كتباً في السيرة والمنطق والأدب:

يذكر ابن حمادوش أنه: "اشتغل بنسخ ألفية العراقي، ويوم الأربعاء تمت نص ايساغوجي في المنطق والسيوطي في أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، ويوم الخميس تمت نسخ مختصر السنوسي في المنطق بل شرح، وشيخ الإسلام علي المنفرجة، و تمت حاشية سيدي حسن اليوسي على المولات في المنطق"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن حمادوش الجزائري، ..... مصدر سابق، ص 69.

<sup>2</sup> نفسه، ص 71.

كما أورد ابن حمادوش مجموعة كبيرة من الأحداث والأخبار وهو بالمغرب ومنها: قلة من يتقن الفلك والطب بتيطوان، ثورة حاكم تيطوان على السلطان عبد الله، لقاءه علماء مكناس 1156هـ/1743م، ذكر عادة المولد النبوي الشريف في فاس والجزائر، إصابة ابن حمادوش بالحمى وعلاجها، الصلاة المعهودة في الجزائر عقب ختم البخاري، عادة أهل الجزائر ليلة القدر، حاكم تونس وحاكم تيطوان في الجزائر، تهربه من دفع المكس في مرسى تيطوان، تهربه من المكس في الجزائر أيضا، وغيرها من أحداث التي عرفتها رحلة العالم ابن حمادوش الجزائري.

1-2 حسن بن علي بن عمر أبو علي بن فكون القسنطيني. ت. 1073هـ/1662موله:

—رحلة. نظمها في سفره من قسنطينة إلى مراكش، وذكر المدن التي مر بها.

1-3 رحلة عاشور بن موسى القسنطيني. ت. 1074هـ/1663م.

ذكر الدكتور سعد الله في—تاريخه— أن عاشور بن موسى القسنطيني<sup>1</sup> شد الرحال إلى عدة بلدان لطلب العلم، و طال غيبته والتي سمحت له بالإطلاع والمطالعة ومعرفة ثقافة الشعوب وطباعتها، زار المغرب الأقصى وتونس ثم عاد إلى الجزائر وأخبر "بغرائب ما شاهد وعجائب ما رأى وما أخذ عن أولئك العلماء وأرباب الأسرار، وحصل منهم فن القراءات، وجانبيا عظيما من الأدب"<sup>2</sup>، غير أنه لم يصلنا شيء عن هذه الرحلة وتعد في حكم المفقود.

1-4-4- رحلة محمد المصطفى-بن زرفة-. توفي سنة 1215 هـ /1800م. وله:

—الرحلة القمرية في الدولة المحمدية، قام بتحقيق المخطوط الدكتور مختار حسني. شملت

الرحلة"مواضيع عديدة نذكر منها:

1 هو عاشور بن موسى القسنطيني المعروف "بالفكيرين" بضم الفاء وفتح الكاف، وهو لقب والده أخذ العلم عن والده ثم شد الرحال إلى عدة بلدان وطالت غيبته حوالي عشرين سنة، كذلك زار المغرب الأقصى وتوغل في أرض السودان، ثم ذهب إلى تونس واستقر بها وانتصب للتدريس بالزيتونة بحكي لتلاميذه غرائب ما رأى، وعجائب المسموعات من زي أهلها لباسا وحكما وقتا.. توفي سنة 1074هـ بالحجاز. أنظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص397.

2 سعد الله، تاريخ الجزائر.... ج2، مرجع سابق، ص397

-التعريف بوهران في عهد المرابطين- التعريف بوهران في عهد الألبان- دخول الأتراك إلى الجزائر- سياسة الأتراك بعد دخول الجزائر- الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر- الترغيب في رباط وهران- موقف داي الجزائر- انطلاق حركة الفتح.

-دوافع التأليف: ذكر ابن زرفة أن الباي محمد بن عثمان كلفه بهذا التأليف،"و لما كان الإمام فخر الملوك وناظم ما تنتشر من خديم السلوك واحد الأئمة الدولة وبدر الأقمار والأهله من زهرة خمائله ورفعت شمائله واحتسبت بمصر الخلق من أنواره واحتنيت من تداني ثماره"<sup>1</sup>

لم تقتصر هذه الرحلة على عملية الفتح لوهران بمختلف فصولها و التحضير لها عن طريق جمع المعدلات وآلات الحرب و البارود ودور القبائل في توفير الأمن وتسهيل وصول الغذاء و الماء و السلاح لكتائب الطلبة، إن الرحلة تكتسي أهمية خاصة من خلال ودور الباي محمد بن عثمان الكبير في عملية التحرير برمتها من خلال حضوره إلى جانب الطلبة و العلماء برباط إيفري وقوله:" خرج من المعسكر قاصدا فتح وهران وقدم أمامه البارود في عدة صناديق بوادي سيق، و من هذا الأخير انتقل إلى وادي تليلات، ثم ارتحل من الغد صباحا فنزل بوطاء وادي الهائج واجتمعت عليه الاعراش، وجاءه المخزن وكان الوقت وقت الحصاد."<sup>2</sup>

المرحلة الثانية سنة1206هـ1791م :قدم لفتح وهران في مائة فسطاط فنزل وادي تليلات ثم ارتحل ونزل بالغابة قبلتها ثم ارتحل ونزل عليها وحاصرها و ضايقها و حضر القتال عدد من الطلبة يقرب الخمسمائة وفيهم العلامة سيدي محمد بن أبي طالب المازوني.

-إذا كان المطلوب هو دوام الحصار لها الصادر منه ومن جنوده وشدة صواعقه ومدافعه وكوره وباروده إلى أن فتحها بقتاله السريع في اليوم الرابع أو السابع من رجب الفرد الضحى يوم الاثنين سنة ستة من القرن الثالث في فصل الربيع."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد المصطفى-ابن زرفة، الرحلة القمريّة في الدولة المحمديّة، المصدر سابق، ص147.

<sup>2</sup> نفسه، ص148.

<sup>3</sup> نفسه ، ص149.

وبناء عما سبق، يمكننا استنتاج من الرحلة القمرية أنها بحق مصدرا هاما لا يمكننا الاستغناء عنه لمعرفة استعدادات الباي معسكر ودوره المحوري في الفتح الثاني لمدينة وهران والذي يعتبر من أبرز الأحداث التي عرفها بايليك الغرب منذ 1509م تاريخ سقوط وهران في يد الصليبيين الأسبان، وخذ المؤلف هذا الفتح وهذه الرحلة- كما فعل قبله الشيخ الحلفاوي في قصيدته من تسعة و سبعون بيتا في تحرير وهران الأول سنة 1708م والتي شرحها العلامة الجامعي، و من جهة ثانية كانت- هذه الرحلة- على منهاج معاصريه مثل أبو راس الناصر ومحمد بن يوسف الزياني صاحب: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، فغلب عليها طابع السرد للأخبار دون ذكر الأسباب و المسببات، وذلك من خلال ربط عملية تحرير وهران بغزوات النبي صلى الله عليه و سلم ضد كفار قريش مما جعل ابن زرفة يفرّد مقدمة خاصة بفضل الجهاد في الإسلام وذكر الآيات القرآنية التي تدعوا إلى ذلك بما في ذلك أقوال علماء المالكية.

1-5/ أحمد بن محمد بن هطال التلمساني.ت. /1219ه/1804م، وله:

-رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي 1785م. حققها و قدم لها د. محمد بن عبد الكريم.

بدأ العالم ابن هطال رحلته ب: "وقد أردت أن أذكر منه نبذة أخدم بها "حضرة" قانع المبغضين ومدوّخ المارقين، من جمع الله له خصال الشرف والمجد، وموجات الشكر والحمد: محل الجلال والعظمة والجود، المخصوص بنصر الآراء والبنود، ذا الأيدي العميمة، و المنن العظيمة، والسياسة السديدة، و النعم المديدة".

"...فلم يبق واد إلا وفيه طليعة، ولا جبل إلا وعليه كتيبة، وكانت منازل القوم بعضها في الوادي وأكثرها في الجبل، فقد قصد "سيدنا" من كان في الجبل منهم، ففروا هاربين بأنفسهم طالبين النجاة لذريتهم و عيالهم"<sup>1</sup>.

أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى جنوب الصحراوي الجزائري 1785م، حررها و قدم لها، د.محمد بن عبد الكريم، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004، ص38.

- "...وأمر عسكر الترك أن يقصدوا الجبل مكانهم بالأمس وباقي الطوائف أن يحدقوا بالبساتين من الجهة الغربية والجهة البحرية ويكون معهم أصحاب الفيسان ليهدموا الحيطان التي في طرقهم الحائلة بينهم وبين المدينة.

- فعندما وصلهم ذلك الرسول وجدهم في حيرة وكربة، وقد هربت عنهم الأعراب الذين كانوا محاصرين معهم وكذلك من خفّ حملهم منهم، وبقوا متحيرين لا يعلمون ما يصنعون ولا أين يتوجهون. فخرج يوم الخميس التاسع من ربيع الأول بقومه وعسكر، من "المعسكر" التي هي محل وطنه فنزل "وادي الزلامطة" وبينه وبين المعسكر ست ساعات، ولما نزل أتاه أهل أنقاد يطلبون منه التوجه لنا حيثهم والذهاب إلى بلادهم وعينوا له غنيمة كثيرة يأخذها في تلك الجهة.

- ويوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا على "العمور" مشي ثماني ساعات حتى نزل البيضاء، وهذا المنزل ذو آبار كثيرة وهي سهلة التناول منها ما يكون مأوها على قامتين ومنها ما يكون على أقل أو أكثر بقليل إلا أن بعضها أطيب من بعض.

- أن بعض أهل دائرة سيدنا "الباشة" نصره الله - بعث فرسا أثنى من عتاق الخيل محبة و رغبة في سيدنا، كما أن الأحرار الغرابة قدموا عليه في ذلك الوقت بخيلهم التي اشترطها عليهم فقبلها منهم، وأمرهم أن يأتوا له بخمسائة جمل، كلها جيدة قوية على الحمل فقبلوا ذلك، وطلبوا منه الأمان، فأمنهم<sup>1</sup>.

- فأقام يومه ذلك هناك إلى أن فات وقت العصر، فركب فجدّ في السير خمس ساعات، ونزل عين "سيدي سليمان" ينتظر الطوالع فأتوه بخبر منزل القوم وأنه خلف الجبل، فلما سألهم عن اسمهم وجدهم غير الذين أرادهم.... فعند ذلك جدد الطوالع في غاراتها، وتفرقت الخيل في نواحيها حتى أتوه عند "خنيق الملح" وبينه وبين "عين سيدي علي" تسع ساعات، لأن من "سيدي علي" أغلى "عين سيدي سليمان" خمس ساعات، و من "سيدي سليمان" إلى خنيق الملح" أربع سوانع.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> احمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى...مصدر سابق، ص39.  
<sup>2</sup> نفسه، ص65.

- فلم يبق واد إلا وفيه طليعة، ولا جبل إلا و عليه كتيبة، وكانت منازل القوم بعضها في الوادي وأكثرها في الجبل، فقصد "سيدنا" من كان في الجبل منهم ففروا هاربين بأنفسهم، طالبين النجاة لذريتهم وعيالهم، فاخذوا عن أجمعهم إلا من ستره الله، وكذلك الذين في الوادي قد أحاطت بهم الخيل، فلم يمنع لا قليل ولا كثير، فغنمت منهم الناس "غنيمة" كثيرة من خيام وفرش وأمتعة، ثم جمع ما أخذ لهم من الإبل وحسبها فوجدها نحو ألف جمل، وأما الغنم فزهدها فيها سيدنا، ثم انتهبتا الناس بالذبح حتى ترى الرجل الواحد يذبح شاتين وثلاثة وأربعة حتى استغنوا كلهم وفضل نحو أربعة آلاف سيدنا وبات مكانه ويسمى هذا الموضع ب"سلام"<sup>1</sup>.

ما يمكننا استخلاصه من رحلة "باي محمد بن عثمان الكبير إلى جنوب الصحراء" أنها جاءت حافلة بالأحداث و التواريخ وأسماء القرى و المدن ومختلف المناطق الطبيعية التي حلّ بها الباي مع محلته إلى الجنوب الغربي من الصحراء، و تضمنت-هذه الرحلة- أخبارا جغرافية واجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية لا يمكننا الاستغناء عنها.

ذكر -ابن هطال التلمساني- المناطق الجغرافية التي وصلها الباي بمحلته والجبال التي حاصرها بفرقتة وجيشه (وادي الزلامطة- العمور- ونزل عين سيدي سليمان- خنيق الملح"- عين سيدي علي) و من جهة ثانية ذكر -ابن هطال- القبائل التي غزاها الباي و منها: (أحرار الغرابة)، و الغنائم التي استولى عليها من قبائل ذكر منها: (خيام وفرش وأمتعة- وحسبها فوجدها نحو ألف جمل، وأما الغنم بنحو أربعة آلاف).

ورغم أهمية هذه الرحلة وما قدّمته لنا من معلومات في غاية الدقة و الوصف إلا أنها لم تخل من نقائص عديدة و منها:

- طريقة سرد الأحداث التاريخية ، فهي تقليدية بحتة دون تحليل للحدث التاريخي.

<sup>1</sup> احمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى....مصدر سابق ، ص67.

- عدم ذكر أسباب الحدث التاريخي مع التعليل، وهذا يعود -في تقديرنا- لطبيعة العصر وثقافة رجاله التي غلب عليها التصوّف التي توحى إلى أن كل ما كان فهو من الله.
- ذكر التواريخ دون تفصيل، كقوله: فخرج يوم الخميس التاسع من ربيع الأول- ويوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا.

1-6- محمد بن احمد بن عبد القادر بن محمد أبو راس الجزائري المعسكري.وله:

-فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته.

-عجائب الأسفار ولطائف الأخيار فيما جرى بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار.

- رحلتي ونحلتني في تعدد رحلتي: تم فيها لقاء العلماء الأعلام وجرى لي معهم من المراجعة و الكلام" وهي الفصل الثالث من سيرته الذاتية: فتح الإله ومنتته.

انتقل أبو راس الناصري إلى العديد من الأقطار و تعرّف على أوضاعها واتصل بعلمائها، وقد حج مرتين، الأولى عام 1204هـ/1790م و الثانية 1226هـ/1812م زار من خلالها تونس، مصر، الشام، المغرب. والواقع أن رحلة أبو راس كانت علمية أكثر منها دينية و بالتالي فهي تختلف عن رحلة الورثياني، و في هذا يقول: "لقيت بها<sup>1</sup> العلماء الكبار، أهل العلم و الأدب والأخيار، الإمام الأرض شيخنا السيد المرتض، ففاوضته في فنون، فوجدته كمالي فيه من الظنون، و رويت عنه أوائل الصحيحين، ورسالة القشيري، ومختصر العين، ومختصر الكنز الراقي، وأجازني بالباقي"<sup>2</sup>. و عندما دخل مكة المكرمة، قال: "...فاجتمعت بعلمائها و فقهاؤها كالعلامة الدارك السيد عبد المالك...وكنت قرأت عليه نبذة من الحديث، و نبذة من الكنز، و شيئاً من التفسير في سورة النور، وأجازني بالباقي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يعني بها: مصر.

<sup>2</sup> أبو راس الناصري، فتح الإله و منتته في التحدث بفضل ربي و نعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، م. و. ك. 1991، ص، 115.

<sup>3</sup> نفسه، ص 118.

وكذلك خلال رحلته إلى مكة المكرمة التقى الشيخ أبوراس بالعلماء الوهابيين و هم تسعة علماء أكابر جماهير وأفضلهم الشيخ علي تاسعهم، فوقع لي معهم مناظرة و مباحثة واعتراضات وسؤالات وأجوبة فائقات و دلائل قاطعات وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة من الأمهات، ثم تناظرنا بعد صلاة العصر قبالة الحجر في صلاة الفجر وقراءة دليل الخيرات و التسييح"بالسبحة"، ومشاهدة السادات، وهدم مباني الأولياء ذوي الكرامات، فرجعوا عن البعض بعد الاستدلال بالنصوص العظيمة، و كان ظني بهم حنابلة المذهب، ففاوضتهم في "قصر الصلاة"فقلت: أن الإمام أحمد بن حنبل عنده نية إقامة أربعة أيام صحاح تقطع حكم السفر، فقالوا: عندنا القصر لا ينقطع ما دام السفر، فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع، وأما في العقائد فهم على ما هو عليه الإمام أحمد<sup>1</sup>.

لقد ذكر-صاحب الرحلة-أنه سلك طريق الحج العادي بحرا، و من مصر ركب إلى "ينبع" و منها إلى مكة المكرمة فالمدينة المنورة، خلافا لكل من الرحالة الورثياني، أحمد بن عمار، عبد العزيز المصعبي وغيرهم من الذين قطعوا مسافات طويلة ودروبا صعبة برا وصولا إلى مصر ثم البقاع المقدسة سيرا على الأقدام.

1-7- /العربي بن عبد القادر بن علي أبو حامد المشرفي المعسكري. ت. 1313هـ/1895م،

وله:

-التحفة العريضة في أداء الفريضة. مخطوطة بزواوية الهامل بمدينة "بوسعادة"بالجنوب

الجزائري.

-رحلة إلى سوسة.

-رحلة إلى شمال المغرب، ألفها سنة 1306هـ.

-الرحلة الجزائرية.

-رحلة القبائل الجزائرية.مخطوط من مائة بيت، جاء أولها:

<sup>1</sup> ابوراس الناصري، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته، مصدر سابق، ص81.

الحمد لله منيل البركة\*\*\* و جاعل الرزق في معذى الحركة.

-ورقات في رواج السكة بالزيارة.مخطوطة في تيطوان تحت رقم:343.

8-1/ رحلة الحاج بن الدين الأغواطي إلى الصحراء.

مؤلف هذه الرحلة هو: الحاج ابن الدين الأغواطي لم يكن معروفا على مستوى الجزائر في وقته، وحسب معلومات من النص فإنه كان قليل التعلم ومعلوماته لا تدل على معارف دقيقة، وهو في الظاهر من "المستمعين" الذين لا يدققون الأخبار الذين تحصلوا عليها من وجوه مختلفة، كما يكتشف من الرحلة كثرة اطلاع ابن الدين وخيرته بالمناطق التي وصفها.

المترجم: جاء "هودسن" إلى الجزائر بين سنتي 1825 - 1829م ليساعد شالر في مهمته كقنصل عام لبلاده بالجزائر قبل عودته إلى واشنطن 1829م كاتباً بوزارة خارجية بلاده، وفي هذه الفترة كرس جهوده لإتقان العربية والتركية والتعرف على البربرية وجمع المعلومات حولها، غير أن هودسون لم يفصل عن علاقاته الشخصية بابن الدين، وهل ذهب هو إلى مدينة الأغواط والتقى به هناك؟ أم أن ابن الدين التقى به بمدينة الجزائر؟ وهل كانت الرحلة عملاً كبيراً أختصره السيد "هودسون"؟.

#### محتويات الرحلة:

نص الرحلة يحمل في نهايته تاريخ ربيع الثاني سنة 1242/1826م، ووصف مختلف البلدان والأماكن من قبل الحاج ابن الدين، كما يلاحظ أن الديباجة مقتضبة وجافة ولا تتلاءم مع أعتاده مؤلفو العصر العثماني.

-التعريف بمدينة الأغواط-تجمعات-عين ماضي- جبل عمور-رحلة من الأغواط إلى متليي  
-بوادي ميزاب-طريقة صنع البارود- رحلة من المنيعية إلى توات-رحلة من السودان إلى واحة توات-  
رحلة من ورقلة إلى غدامس-طريقة صيد النعام-الطوارق-مطامطة ونواحيها-قبائل أخرى-جزرة  
جربة.

## 2- الرحلات الحجازية:

هي أكثر وفرة من الرحلات العلمية نتيجة لعاطفة الرحالة الجزائريين الجياشة نحو أرض الحجاز مهد النبوة والصحابة العظام ، لذلك فإن الحجاز ليس مجرد بقعة جغرافية عادية ولكنها تحمل في طياتها معاني الوحي والطهارة و معنى الأمة الإسلامية، وأخيرا التبرك بتراب الحجاز وهوائه وإلقاء نظرة على قبر نبيه، و بناء على هذه المكانة الروحية الربانية" قصد جمهور من الأدباء والعلماء الأندلسيين والمغاربة البقاع المقدسة، وبرعوا في وصف رحيلهم وإقامتهم، حتى أصبحت كتبهم دليلا لمن ينوي السفر، ومرشدا لمن يحذر الخطر"<sup>1</sup>.

## 2-1- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني.ت.1139هـ/1726موله:

-الروضة الشهية في الرحلة الحجازية.تعتبر من الرحلات الضائعة ولا ندري ما كتب فيها، وما هي الأحداث التي سجلها، والحوادث التي جرت له و مرت عليه، وذكر أحمد الزروق ولد البوني الذي أصبح من علماء مدينة عنابة البارزين أن البوني الوالد قد تحدث عن شيوخه في رحلته الحجازية، كما نصح أحمد الزروق بقراءة هذه الرحلة بقوله: " فعليك به(التأليف) فان فيه طرفا وظرفا"<sup>2</sup>.

2-2/رحلة سيدي الحسين بن محمد الورثياني<sup>3</sup>. ت. 1193هـ/1779م في شهر رمضان و دفن

بقريته ببني ورثان، ودفن بها وقبره معلوم إلى الآن.وله:

-نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار. مخطوطة من 642 صفحة في كل صفحة من 21 إلى 32 سطرا، وكل 33 كراسة غير مخططة متخللة بأوراق مورقة طولها 271 مليمترا في عرض 210 مليمترا، من تحقيق الأستاذ: محمد بن أبي شنب. جاء في مقدمة الرحلة: "فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار، والرباع والقفار والديار، والمعاطن والمياه والبساتين والأرياف والقرى والمزارع

<sup>1</sup>د. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الجزائر، ش. و.ن.ت، 1981، ص12.

<sup>2</sup>سعد الله، تاريخ الجزائر...ج2، مرجع سابق، ص404.

<sup>3</sup> هو الحسين بن محمد السعيد الورثياني، فقيه مالكي، رحالة، مؤرخ، ولد ونشأ في قبيلة بني ورثان بجاية- أخذ عن والده و غيرهم ثم رحل إلى المشرق فحج وأخذ عن علماء مصر و الحجاز كالشيخ محمد بين محمد التونسي الشهير بالبليدي ثم رجع إلى وطنه. وله:- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار وهو وصف لرحلته بالديار المقدسة سنة 1179هـ. أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر...مرجع سابق، ص213.

والأمصار و العلماء والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الأخيار، والأشياخ العارفين والإخوان والمحبين المحبوبين من المجاذيب المقربين والأبرار من المشرق إلى المغرب، سيما أهل الصحو والمحو، إذ ليس لهم من غير الله قرار، أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف مم فتح به علي أو منقولاً من الكتب المعتمدة سيما وأن اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقودتنا و من على الله ثم عليه اعتمادنا سيدي احمد بن محمد بن ناصر الدرعي الجعفري، هذا وأني أنقل أيضا من بعض كتب التاريخ كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة، ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان، وكذا حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وغيرها<sup>1</sup>.

#### - وصف الرحلة:

ذكر الرحالة بن محمد الورثيلاني تفاصيل الرحلة بقوله:

-سبب حجه: "...أن الفاضل العالم الكامل الصالح أخانا في الله، والمحب من أجله سيدي احمد الطيب الزواوي، نجل الولي الصالح سيدي محمد السعدي من بني العزيز من وطن بني منجلات قدم إلينا زائرا واقفا علينا وطالع أحوالنا لعل الله بفرج ما بنا من الفتنة مع بعض المخذولين الخارجين عن طاعة الله ورسوله في الأحكام الشرعية بعد عطاء البيعة والإذعان في جميع الأحكام الشرعية، ونبذ العوائد الردية والبدع الشنيعة كقطع الميراث، وأكل أموال الناس بالباطل وأموال اليتامى ولين الجانب كالأرامل...فيوقع الصلح بين الفريقين وأظهروا التوبة والذل و المسكنة والندم بعد أن كانوا ممتنعين منها"<sup>2</sup>.

1الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأناظر في فضل علم التاريخ والأخبار، ج1، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، رويبة، الجزائر، 2011/1432، ص17.  
2 نفسه، ص18.

-اجتماع أهل الفضل و الصلاح في دار الشيخ: فلما كان ذات ليلة من الليالي إذ أجمع سيدي أحمد الطيب مع أخينا في الله سيدي أحمد بن حمود وسيدي مهنا وكلهم ذوو الفضل والعلم والصلاح في دارنا فأخذوا في حديث الانتقال من الوطن فترقى بهم الكلام إلى التحدث على الحج سنة إذ مع أنا سمعنا أن الشيخ الفاضل الكامل شيخ الركب سيدي محمد المسعود نجل الشيخ الركب سيدي الموهوب نجل الشيخ الولي الصالح والبدر الواضح سيدي محمد الحاج قد ضرب "طنبله" في المدينة المحروسة الجزائر على عادة الأمراء في ذلك<sup>1</sup>.

-دخوله مدينة "طولقة" واجتماعه بأهل الفضل: وقد دخلنا "طولقة" فاجتمعنا أيضا مع أهل الفضل والعلم، وزرنا الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخضر في قريته المشهورة، فلما وصلته وجدته كأنه حي في قبره وذقت (تقت) منه أمرا عظيما يكاد الجاهل أن يحيله، وقد زرت والحمد لله النبي سيدي خالد مرة أخرى قبلها مع الجم الغفير والجمع الكثير نحو الألف وفيه من الأفاضل ما لا يحصى<sup>2</sup>.

نزول الوثيلاني و من معه عند سلطان زواوة. -سفر الوثيلاني إلى مدينة "بجاية".

- التحذير من التعرض إلى الأولياء: إياك أن تتعرض أحد أهل الله ممن ثبتت له الخصوصية من الأولياء في زمانك فيما فيه الوسع شرعا فتزل قدمك بعد ثبوتها.

-ذكر على ما يجب على المسافر فعلة "ينبغي أن ينوي بسفره رضي الله تعالى عنه وأن يشغل نفسه بالتوجه إلى الله والى بيته ومواجهة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومواجهة أصحابه وآله وعترته، ومواجهة أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأن ينتظر شفاعتهم بأن يتعلق بهم بحيث ينوي الانتقال من أوصافه المذمومة إلى الأوصاف المحمودة، والسفر من الخلق إلى الخالق، ومن طبائعه

<sup>1</sup> الحسين بن محمد الوثيلاني، نزهة الأناظر في فضل...مصدر سابق، ص16.

<sup>2</sup> نفسه، ص22.

الرديّة إلى السجايا السنية، وإن كانت غير مكتسبة إلا أن أسبابها مكتسبة، وينوي أيضا أن يكون من وفد الله تعالى وضيوفه وأن يقصد أيضا إجماله الداعي الذي هو الأذان، وأن يحمّد الله ويشكره لما أن جعله من أهل الإجابة، و من الذاهين لبيت الله تعالى، ألا ترى إذا ذهب الإنسان إلى بيت قريبه يفرح فرحا عظيما و يسر سرورا كبيرا<sup>1</sup>.

-ذكر موعد السفر وما وقع فيه من الودائع و البكاء: فلما حان السفر وحان حاله ذكرنا بعض ما ورد ذكره وصلينا الصلاة الواردة وختمنا بالصلاة في المسجد، ثم أتينا أهل البيت والخدام والطلبة والجيران ومن لأتى يودعنا، ودعونا لنا ودعونا لهم، وعند ذلك رفعنا ما يحتاج الرفع وانفصلنا على حسن الانفصال، ووقع البكاء والصراخ من أهل البلد لما كان من أنسابهم بنا إذ اعتقادهم ما دمنا معهم لا يقع بهم إلا الخير والبركة<sup>2</sup>.

-ذكر وصوله إلى قصر الطير واجتماعه بالحجاج.

-خروج قطاع الطريق على المؤلف وركبه: "وفي ذلك اليوم تلاقينا مع عدو نفسه المحارب لله ولرسوله" الشيخ ابن روب"، وهو شيخ من شيوخ نفاوة خارجا عن ولاية صاحب تونس بأن استقر في وادي ريغ والله أعلم في ثلاثين من الخيل وعشرين رجلا ومعهم سلاح قوي والزاد على الإبل وأتى إلينا عند صلاة العصر فأعلمناه بأنا حجاج ووفد من وفود الله ورسوله، وأظن أن الشيخ أعطى له شيئا أحسبه فضة فذهب عنها، ونحن جددنا السير خوفا من شره إلى الثلث الليل أو نصفه<sup>3</sup>.

-ذكر وصول "الورثياني" إلى مدينة طرابلس: "...من ذكر أحوالنا وإخواننا في طرابلس إذ قد اجتمعنا بعامتهم وخاصتهم، إذ لهم المزيد في المحبة والاعتقاد في أهل الخير والتشبت بهم، ولا شك أن هذه الخصلة عظيمة شرعا.

<sup>1</sup>الحسين بن محمد الورثياني، نزهة الأنظار في فضل...مصدر سابق، ص78.

<sup>2</sup>نفسه، ص179.

<sup>3</sup>نفسه، ص274.

و من اجتمعت معه من الفقهاء ومقدم القاضي من الحنفية والفقهاء الأجل سيدي عمر السوداني والشيخ الصكلاني وأصحابهما ومن هو أخونا في الله حقا وصدقا"<sup>1</sup>

-ذكر من وجد من العلماء الصالحين في طرابلس ومدة إقامته بها: "...و من جملتهم أبو محمد عبد الله الشعاب أحد الفضلاء و الصلحاء من أهل طرابلس، وكان نجارا فحضرت له نية في إتمام هذا المسجد الذي نسب إليه...ويذكر أن "الخضر" كان يزوره وبخاذه وأنها رؤيا مجتمعين في المسجد المذكور".

-ذكر عجائب مصر وظلم والي بولاق وخروج"الورثيلاني" و ركبه من مصر: "فأمر مصر و حالها من يوم عمارتها إلى الآن أمر غريب وعجائبها في العلوم و المعرفة و الولاية لا تحصى، وغرائبها كادت أن لا تستقصى...وإذا رأيت شيئا عظيما ثم رأيت شيئا أعظم منه نسيت الأول ثم كذلك إلى هلم جرا، أحوال مصر داخل المدينة وخارجها كافية في الاعتبار إذ في أهلها وأسواقها ودكاكينها وأزقتها وديارها وقهواتها ومساجدها ومدارسها وعجائب قرائها و علمائها وصلحائها وطلبها وفقرائها وظلامها وبطارقتها وأهل شرطتها وجنودها وعساكرها وأمرائها وكثرة خلقها وكذا سحراتها وزناديقها، وكذلك كثرة اليهود فيها مع النصارى، وكذا مقاربها في القرافة الصغرى والكبرى، وكذا خارج المدينة ففيه من القصور والغرف وصهاريج من الماء، وكذا ما في داخلها من الحمامات من الأفران على أن سعة الديار فيها علو أسوارها وتزيينها بالنحاس و الفضة...، فإن رآها بعض الناس غاب عنه حسه بما أصابه من مشاهدة رونقها يكاد المرء أن تكون عنده الجنة عجائب وغرائب لا تكاد توجد في غيرها من البلدان"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأناظر في فضل...مصدر سابق، ص297.

<sup>2</sup> نفسه، ص173.

و يضيف "الورثيلائي" عن والي بولاق قوله: وقد علمت أن والي بولاق قد تعدى على ركبنا أهلكه الله وأخلى منه الأرض، وكذا معينه يمسك جماعة بعد جماعة من الحجاج ويلقيهم في السجن، فإذا أخذ منهم شيئاً من الدراهم سرح لهم من غير أن يدعوهم أحد للشريعة عدو نفسه، إلا أنه لا يقدر أن يربط من الركب هو و غيره من الولاية، وإنما يربطهم من السواق وقد نجاني الله منه والحمد لله<sup>1</sup>.

- وصول الركب إلى "رابغ" واستعداد الوارثيلائي "للإحرام ودخوله إلى مكة المشرفة": "...ورابغ قرية فيها نخيل وآبار كثيرة في واد يأتي إليه السيل من بعيد، تزرع فيه مفاتي كثيرة ودخن و ذرة وهو من أخصب أودية الحجاز، ثم اشتغل الناس بغسيل ثيابهم والاعتسال والتنظيف وشراء النعال، توجد هناك معدة للمحرمين إلا أنها في الغالب غالية، ولما حان للشمس أفول شمر الركب المصري الذبول فقام و ارتحل، وعن رابغ انتقل وبتنا هنالك وفي غد تهيأنا للإحرام فاغتسلنا وأزلنا ضحى الأحد ثاني الشهر إلى أن وازينا (رأينا) مهيعة و تراءت أبنية "الجحفة" لأتحفنا هدايانا بأكمل تحفة، فقلدنا وأشعرنا وجللنا و تجردنا، فركعنا واحرمننا ملبين بالحج مفردين وللغرض الكفائي ناوين، وحافظنا على استحضار النية وواصلنا الإحرام بالتلبية، واتبعنا فيها السنة السنوية، وتابعنا السير بها ضارخين، غير مفرطين و لا مفرطين"<sup>2</sup>.

- ذكر "الورثيلائي" من لقيهم من الأئمة في الحرم المكي: "الشيخ أحمد المخيلي (النحلي في النسخة الثانية) الشافعي، والشيخ عبد الله بن سالم البصري الشافعي، الشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية وابناه الشيخ عبد المحسن، الشيخ عبد المنعم، الشيخ عبد القادر بن أبي بكر الحنفي المفتي كان تولى الفتوى قبل، الشيخ محمد أكرم الهندي، الشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي المكي الشافعي وله تأليف على التاريخ ذكر فيه علماء الحادي عشر وصلحاءه وأدبائه و ملوكه وشعراءه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>الورثيلائي، نزهة الأنظار في فضل...مصدر سابق ص174.

<sup>2</sup>نفسه، ص256.

<sup>3</sup>نفسه، ص389.

-خروج ركب الحجاج من مكة المشرفة: "بعد قضاء المناسك كلها والإتيان بالعمرة على تفصيلها والإحرام بها من مكان الإحرام فقد تم ذلك على الوجه الأكمل تقبل الله منا جميع ذلك، وأنا مكثنا في مكة ما مكثنا أعني المدة المعلومة كما قيل:

-أقمنا بها يوما و يوما وثالثا \*\*\*\*\* و يوما له الترحل خامس.

إذ مدة إقامتنا في مكة و نحن منشغلون بالطواف والذكر والنظر في الكعبة على أكمل حال، وأتمه ليلا و نهارا والحمد لله تعالى على ذلك وقد انفصلنا من مكة عند الظهر والبعض عند العصر، أما أحوالنا وأهل بيتنا فعند صلاة العصر إذ ودعوا البيت عند ذلك الوقت، و أما أنا فقد ودعته ذلك الوقت ظنا مني الانفصال، ثم ظهر لي بعض الشؤون لا سيما المحب في الله والأخ من أجله سيدي محمد الشريف الطرابلسي فانتظرتة إلى أن صلينا المغربية فودعت التوديع بقلب حاضر فلما كمل الوداع، فتم الانتفاع واشتاق الروح وأصابه الاتساع من ألم الفراق، واضطربت نار الشوق في الفؤاد وأصابه حر الاحتراق<sup>1</sup>.

-ذكر بعض المزارات و المساجد التي زارها ركب الحجيج: "ولنذكر بعض المشاهد ممن زرناه وإلا فمقبرة المدينة لا مقبرة على وجه الأرض أشرف منها بالإجماع، فهي خارجة من الخلاف الذي في تفضيل المدينة على مكة، إذ لا نعلم مقبرة على وجه الأرض مثلها دفن من سادات هذه الأمة وأفاضلها من الصحابة خصوصا الخلفاء وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأكابر أهل بيته وسادات التابعين و تابعيهم بإحسان، فهم آل (أول في نسخة ثانية) زمرة تحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم فيهم خلفاؤه وأعمامه وعماته وبناته وولده إبراهيم وأزواجه وأكابر أهل بيته والجم الغفير من أصحابه وأنصاره وأولادهم وأتباعهم فلا يشك مسلم أن ليس أمة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الزمرة التي تبعث من المدينة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل...مصدر سابق ، ص429.

<sup>2</sup>نفسه، ص455.

مما يمكننا ملاحظته من رحلة الورثياني ، وبالرغم من أهميتها التاريخية والجغرافية والأحداث التي ذكرها الرحالة الورثياني من خلال التعريف بالطرق التي سلكها، والمدن التي زارها، والعلماء من مختلف البلدان والمصادر و التي خصّها بالذكر سواء من العلماء و الصلحاء في كل من: طرابلس، مصر، والحجاز إلا أن الرحالة الورثياني سكت عن ذكر التواريخ الرحلة بتفاصيلها، فنراه سكت عن الكثير من التفاصيل (نقصد أيام الرحلة) رغم أهميتها القصوى بالنسبة لنا، ولكل مؤرخ ودارس لتاريخ الرحلات حتى تساعدنا في معرفة أحداث مرتبطة ببعضها.

فالورثياني الرحالة، وهو يجتاز الفيافي والقفار والجبال والسهول والوديان والصحاري لم يذكر لنا دقائق الرحلة خاصة منها: تفاصيل الأيام و السنة التي قطعها ركب الحجيج، و نادرا ما يذكر تاريخا كاملا باليوم والشهر والسنة الهجرية، وهذا على عكس الرحالة الثميني " من خلال الرحلة الإباضية والتي من خلالها تعرفنا على دقائق الأحداث التي عاشها الثميني كرحالة والركب المرافق له، وذلك من خلال الأيام والشهور السنة التي ظل يدونها لنا -كرحالة- في مذكراته وباستمرار، وبالتالي يتخيل إلى القارئ أولا ودارسي الرحلات ثانيا أننا نعيش الرحلة بجميع حيثياتها و كأننا جزء منها بوجداننا وعواطفنا.

2-3/ رحلة أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار الجزائري.ت 1205هـ/1790م، وله:

-الرحلة المسماة: نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب.

قسم ابن عمار رحلته إلى ثلاثة أقسام:

\*مقدمة و جاء فيها: وصف ابن عمار أشواقه إلى الحرمين الشريفين والى الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تحدث عن شعر الموشحات المولدية والمدائح النبوية، عادات أهل الجزائر أثناء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

\* جاء في القسم الثاني: " ما يحدثه السفر إلى الإياب وحط الرحال"، وبعبارة أخرى تجهيز الرجوع إلى الجزائر عبر تونس و طرابلس كما فعل رفيقه الورتيلاني، وهذا القسم على أهميته يعد في حكم المفقود مع خاتمة الرحلة، مع العلم أن د.سعد الله يرجح فرضية إكمال الرحلة لأنه عاش حوالي أربعين سنة بعد حجته سنة 1166هـ<sup>1</sup>.

-2-4/ ابراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني المصعبي. ت. 1232هـ/1817م، وله:

-الرحلة الحجازية: قصيدة من 221 بيت، يبدؤها بديباجة ويختمها بتذييل وبتوقيع اسمه، بتاريخ أوائل ربيع الثاني 1197هـ، وتأخر نقلها إلى ذي الحجة 1217هـ. مطلعها<sup>2</sup>:

فبحمدك اللهم حمدا موافيا \*\*\*\*\* على نعم منها بلوغي مراديا.  
و نشكر مولانا كثيرا مسلما \*\*\*\*\* على سيد خير الخلائق هاديا.

تعدّ رحلة " المصعبي" من أبداع الرحلات وأجملها، وهي تكتسي عند الرحالة المغاربة أهمية معتبرة لما تحويه من تقييدات وأخبار تاريخية مهمة في نقل التجارب الإنسانية الرائدة و خاصة منها القيم النبيلة التي كانت دائما جزءا لا يتجزأ من سلوك الرحالة المغاربة عامة وأبناء المذهب الإباضي على وجه الخصوص.

نحاول من خلال -رحلة العالم المصعبي- نفص غبار التراث الإباضي في الجزائر في شقيه الأدبي والتاريخي والتعريف بهؤلاء العلماء والرحالة الذين تمكنوا التوثيق لأحداث تاريخية هامة، و منها ما لم يتعرض له بعض الرحالة المغاربة ومنها : الحجز من طرف السلطات، والإرغام على دفع المكوس وغيرها من الحقائق التاريخية التي تعكس جانبا مهما من أنظمة الحكم آنذاك مثل ذكره حادثة:"وعندما دخلوا مصر سمع بهم ابراهيم بيك خان طلب منهم ألوفا من بقايا من الفضة، لكنهم احتالوا لذلك الطلب وصرفوه بالحيلة...تفاوضوا معه فردت الغرامة إلى أربعة آلاف ومائتي ريال

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...ج2، مرجع سابق، ص406.

<sup>2</sup> يحي بن بهون حاج احمد، رحلات إباضية، تحقيق و تعليق يحي بن بهون حاج أحمد، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص51

وقسمت بينهم ثمانية فدفعوها مكرهين<sup>1</sup>، بما في ذلك التعريف بالمسالك المختلفة بأسمائها وخصائصها المقفرة منها والمخضرة التي عبر منها الرحالة، كذلك أشار الشيخ "المصعبي" إلى وقوع الأرجاس والأدناس البشرية وكثرتها من طرف الفلاحين الجهلاء قرب المسجد الحرام حتى صار هذا المكان المقدس مساويا لمسلخة أو مرحاض عمومي عتيق، وكأن القوم قد أباحوا كل محرم بما لم يكن معهودا في سالف الدهور<sup>2</sup>.

#### تفاصيل الرحلة:

ذكر الشيخ ابراهيم بن بيحمان أن انطلاق الرحلة كان من بني يسجن إلى غرداية حيث مقام الشيخ حمو والحاج الذي يزار للتبرك والذكرى، هناك اجتمعت القافلة فشيخ ومرافقيه بالأدعية المباركة كما جرت العادة ولا تزال إلى اليوم.

كان ذلك يوم الخميس 15 من رجب 1196هـ باتجاه الأغواط التي دخلوها يوم 18 من رجب بعد العصر، ثم واصلوا السير في البراري لينزلوا عند شيخ الركب الفيلاي ليلا الذي سينظم إليهم ويرافقهم في الرحلة، ويكون الدخول إلى بسكرة في الثاني من شعبان والإقامة بها يومين، ومنها إلى الجريد ثم الزرائب والنزول على غرسان التي بها واد مالح<sup>3</sup>.

-الإقامة بقابس يوما واحدا على واد بها طيب الماء، ومنها إلى طرابلس في أواخر شهر شعبان.

-وصلوا إلى كرداس على نهر النيل في أواخر من شهر شوال والدخول إلى ميناء "بولاق".

-دخل الشيخ الرحالة ابراهيم بن بيحمان مصر سائحا ونزل عند "علي بن عمر بن عياد" وهو

سليل عائلة ابن عياد من الحكام من جربة بتونس، وقد قام الشيخ بخزن متاعه عنده<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يحي بن بهون حاج احمد، رحلات إباضية...مصدر سابق، ص53

<sup>2</sup> نفسه، ص55.

<sup>3</sup> نفسه، ص45.

<sup>4</sup> نفسه، ص47.

-وصول ركب الحجيج إلى بيت الحرام في السابع من شهر ذي الحجة 1196هـ، حيث بادر الشيخ بالطواف والسعي بعد الشرب من زمزم والإحلال من العمرة، ثم أحرم للحج من ميزاب الكعبة يوم 08 من ذي الحجة.

و مما أستدعى اهتمام الشيخ الرحالة: ارتفاع الأسعار، المكوس الفادحة رجاء الريح السريع، وقوع الأرجاس البشرية وكثرتها داخل البيت الحرام بين المسجد والمقام علانية حتى صار ذلك المكان مساويا لمرحاض عمومي.

-يوم الأربعاء 11 من محرم تجددت رحلة العودة إلى ميزاب، وكان الشيخ يومها كئيبا حزينا غير راغب في الرحيل.

-وصول ركب الحجيج إلى مسقط رأسه في أوائل ربيع الثاني 1197هـ أي بعد مسيرة شهرين من مصر إلى ميزاب

-استغرقت رحلة المصعبي مئة وعشرين يوما ذهابا من ميزاب إلى الحجاز، ورحلة العودة كانت على مرحلتين من المدينة المنورة إلى مصر مسيرة شهر، ومنها إلى ميزاب مسيرة شهرين فيلاحظ أن رحلة العودة كانت أقل مدة من رحلة الذهاب.

ورغم الجوانب التركيبية للرحلات و التي غالبا ما كانت تكتب نثرا وشعرا بعضها مقبول والبعض الآخر قصائد ممتازة تعكس ثروة رحالة اللغوية وتكوينه الأدبي مما يبرز المحيط الفكري الذي كان سائدا في عصره وتحكمه في أدبيات الكتابة، بذلك جاء مضمون الكتابة مرآة صادقة عن ثقافة العصر والرحلة.

سابعاً: علم النحو.

اهتم علماء الجزائر العثمانية بـ"علم النحو" على وجه الخصوص على عكس العلوم الأخرى و تركوا لنا إنتاجاً كبيراً، و تعتبر مدرسة "زواوة" من المناطق الرئيسية في علم النحو و كذلك زاوية "خنقة" واشتهر من بين الجزائريين في هذا العلم كل من: يحيى الشاوي، إلى جانب العالم: محمد التواتي الذي قدم من المغرب و ترك بصمته في علم النحو حتى أصبح يلقب "سيبويه زمانه" و جلس في قسنطينة للتدريس فترة طويلة وورد عليه طلاب من زواوة و عنابة و نقاوس و غيرها<sup>1</sup>، و من ابرز العلماء الذين خاضوا في هذا العلم نذكر منهم:

1- عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الأخضرى.ت/983هـ/1534م وله:

- منظومة في قواعد الإعراب على كتاب: "مغني اللبيب"<sup>2</sup>.

لم تعرض لها جل المصادر وتكاد تكون مجهولة<sup>3</sup>، وجاء في مقدمتها:

هذا بحمد الله نظم سهل \*\*\*\*\* مورده للطالبيين نهل

معتمدا على كتاب المغني \*\*\*\*\* لأبن هشام تنسيج هذا الفن.

في عام إحدى وثمانين سنة \*\*\*\*\* من بعد تسعمائة مستحسنة

أبياتها ياسائلا قد وجدت \*\*\*\*\* سبعين بعد مائة قد رسمت.

وهذه القصيدة تكاد تكون مجهولة، وقد تعرض لها المهدي البوعبدلي في تصحيحه لسنة وفاة

الأخضري بعدما ذكر أنه توفي سنة 953هـ.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر.... ج2، مرجع سابق، ص180.

<sup>2</sup> إشارة إلى كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعراب" لجمال الدين بن هشام الأنصاري المتوفي سنة 761هـ.

<sup>3</sup> هذا ما أشار إليه عبد الرحمان تيبيرماسين في أطروحته: "عبد الرحمان الأخضرى وحياته وأثاره". مخطوط: 72، توجد منه نسخة بالمكتبة الأحمدية، خزانة الزيتونة.

<sup>4</sup> انظر: مجلة الأصالة، العدد: 53، 1978، ص25.

2- عيسى بن إسماعيل أبو المهدي النانلي. ت. 971هـ/1522م وله:

-رسالة في إعراب كلمة الشهادة.

3-/عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون. ت. 1073هـ/1621م وله:

-شرح شواهد الشريف على الأجرومية. مخطوط من أربعين صفحة بمكتبة بلعزوز القاسمي،

مذكور في قسم الآداب و الشعر، إعداد علي الخلقاني، طبع المجمع العلمي العراقي 1961.

-فتح الهادي بشرح المجرادي. مخطوط مجاميع تيمور تحت رقم 263.

-فتح المولى بشواهد ابنيعلى. مخطوط بمكتبة العباسية- البصرة- تحت رقم: 64.

-شرح نظم المكودي.

4/أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ. ت. 1041هـ /1631م، وله:

-إتحاف السيادة بضوابط حروف الزيادة.

-إعراب القرآن.

-التحفة المكية في شرح الأرجوزة الألفية. مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 2728.

- 5- يحيى الشاوي. وله:

- نظم لامية في إعراب اسم الجلالة: جمع فيه أقوال النحاة و شرحها.

- شرح على التسهيل لابن مالك.

- حاشية على شرح المرادي، توجد نسخة منها في المكتبة السلیمانية باسطنبول.

6- احمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني. ت. 1726م/1139هـ وله:

-تحفة الأريب بأشراف غريب.

-نظم الأجرومية. مخطوط يقع في تسعين بيتا.

-شرح لامية الأفعال لأبن مالك.

-نظم القطر لابن هاشم.

-شرح نظم الأجرومية.

-الألغاز.

-تعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة.

-مجموع في السماع.

7- /عبد الرزاق بن محمد أبو محمد بن حمادوش الجزائري. ت. 1156هـ/1743موله:

-حاشية على ألفية ابن مالك. سماها: "السائح في حواشي المتن و الشارح".

8- /عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله ضياء الدين الثميني.

ت1223هـ./1808موله:

-نظم الأجرومية.

-شرح المغني لأبن هشام.

9- محمد بن سليمان بن أدريسواالإباضي. ت1314هـ/1896موله:

-شرح الألفية لأبن مالك.

-نظم متن الأجرومية.

ثامننا: الغوثية.<sup>1</sup>

كان الشيخ سيدي عيسى بن موسى التيجاني من كبار المتصوفة دفين وادي طاغية وله كرامات، وزاجر الطير<sup>2</sup>، و تشير الروايات أن سيدي عيسى بن موسى كان له اسمه محمد قتل خلال القرن العاشر الهجري مما تسبب في فقدان عقل والده لأنه لم يتحمل الصدمة، مما جعله ينظم هذه الغوثية ينشد فيها ما أصابه وعظمة بلاءه وكربه، وقد تعددت أبياتها وأساليبها ذكر من خلالها المحطات الكثيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، كاليبعيتين، الغزوات، وفاته، ذكر الصحابة كالحواريين والمبشرين بالجنة .

واصل الشيخ عيسى بن موسى التيجاني شرح الغوثية وصولاً إلى توضيح شروط قبول الدعاء، وقد مثل السادات الصوفية، التوسل بالأنبياء، الكلام عن الثأر، الكرب، وشروط قبول الدعاء، يبدأها:

و صليت ثانيا على خير خلقه محمد المختار من آل غالب

ناديت غوثية يارجال الحق<sup>3</sup> يالأهل بدر يا عيون الخلق

كيف تنزل رحمة الإله على أم العساكر دار الظلم والفجر

ولما عجزت في بلاد الجور عن أخذ ثأري<sup>4</sup> ولدي المهجور

وقد خانته في ذلك الأمير<sup>5</sup> والأهل و الصاحب والبشر

تاسعا: الشعر.

<sup>1</sup>الغوثية: قصيدة شعرية من نظم الصوفية تتعدى الألف بيت، كان الشيخ سيدي عيسى بن موسى التيجاني معروف بهذا النوع من القصائد حتى عرف بالغوث الأكبر، والهدف من هذا النوع من القصائد طلب الإغاثة من الله ليخفف عليه كربة متوسلا إليه بكل شيء. وقد وضع عالم الراشدية أبوراس شرحا يحتوي على مباحث الشريعة ومسائل عجيبة فقال: "...فأجبتهم على ما في من شغل البال بتراكم الأهوال لذا سميت دار المهدي لغوثية أبي المهدي، ثم ذكر الأهداف التي دفعت به للشرح بقوله: فقد ضربت من بينها بسهم المصيب وأخذت من كل تحفة نصيب وحاته بالفرض والتعصيب ونثرت بردة الحامد على الإكرام الأماجد للذين خصهم الله بتهذيب الفطرة العلية وصف حياتهم من الكدرات البشرية، وقد شرحها ناظمها بما أعجب وراق ونحلت بها الأوراق شرحات، وانتقاء بالمحاسن خليقا بتحقيق وإتقان وتدقيق، وإيقان، إلا أنه لم يقنع به من صارت لهجة لسانه وروضة أجفانه، بل أراد زيادة ما تعطيه معانيها فتأملها ويختلف من منهلها الأصغر، ويكيل في معيارها الأوفى.  
<sup>2</sup>الزجر معناه النهي والمنع، وقد كان العرب يزجرون الطير فيتأملون به إذا مر من جهة اليمين وهو السانح، ويتشاءمون به إذا مر من جهة الشمال وهو البارح، وبعض العرب بعكس ذلك وهو من الطائيرة المنهى عنها شرعا، أما المراد بوصف أبي مهدي بهذا الوصف فقال فيه أبوراس: كان الشيخ أبو مهدي مجاب الدعوة بصيرا بزجر الطير كأنه من بني لهب (بكسر اللام).  
<sup>3</sup> وهم الأولياء، ويقصد بهم الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم إلى يوم القيامة، والحق هو الله تعالى.  
<sup>4</sup> يذكر عيسى بن موسى العجز وعدم القدرة على الأخذ بثأر ولده محمد الذي غدر به سنة 961هـ.  
<sup>5</sup> الأمير هنا قبيلة "الحشم"، قال أنه قتل بأمر منهم عن طريق أولاد عامر وقد من الله عليه بالشهادة على أيديهم، وقام " أولاد خالد" بإيصاله إلى أبيه وهو ميت ومغدور به.

عرف العهد العثماني ظاهرة إهمال الشعر و رجاله وأن دواوين شعراء الجزائر ما زالت مجهولة و مطمورة ولم تعرف بعد الجمع و التحقيق وان ابن حمادوش وسعيد المنداسي وسليمان بن علي التلمساني والمقري، ابن عمار، ابن سحنون، لهم دواوين في الغزل، المدائح النبوية، الفخر، الوصف، مدح الأمراء غير أن هذه الدواوين ما تزال مخطوطة<sup>1</sup>.

كان شعراء الجزائر يسجلون مشاعرهم في مواسم معينة محددة كموسم الحج والمولد النبوي الشريف والدعوة إلى الجهاد ضد النصارى وتمجيد النصر الذي حققه الحكام الأتراك على الأعداء في المناسبات المختلفة، و لمعرفة سبب تراجع فن الشعر علينا أن نتساءل: هل هذا راجع إلى الظرف السياسية التي مر بها المجتمع الجزائري؟ أم طبيعة العنصر التركي الذي كان يجهل اللغة العربية وفنونها؟ أم إلى طبيعة المجتمع المنغلق على نفسه؟ أم انتشار ظاهرة التصوف في المجتمع؟.

ارتبط الشعر بالسياسة في مناسبات محدودة يمكن حصرها في الجهاد ضد النصارى الصليبيين، وكان الباشاوات الأتراك العثمانيين لا يتذوقون الشعر ولم يشجعوا الشعراء عليه، بالإضافة أن فترات هؤلاء كانت قصيرة عموماً بسبب المؤامرات والاحتلالات التي طالت الحكام، فالشعر السياسي يتطلب ظروف هادئة يدوم فيها حكم الأمير فترة معقولة يعرف الناس خلالها أخلاقه ومواقفه ليمتدحوه عليها أو يذمونه.<sup>2</sup>

و من جهة أخرى سجل العلماء والشعراء غلبة الشعر الملحون (العامي) بدل الفصيح، لذاك شكاه العالم والشاعر ابن سحنون الراشدي بمرارة هذه الظاهرة و ندرة الجيد منه سواء في المدح أو الهجاء أو الغزل بقوله: "اعلم أخي أن الألسنة غلبت عليها العجمة، وارتفع منها سر الحكمة، فصار الناس يتغنون بالملحون، وبه يهجون ويمدحون، ولهم في ذلك فنون رقيقة، ومعاني رشيقة، وقد مدحوه (الباي محمد بن عثمان الكبير) بما لا يملك حصره، وذلك أمر خارج عن مقصد الأديب، لا يخصب روض البلاغة الجديب، وعلى قلة المعرب في هذا العصر، فقد قيل فيه منه الفقهي الذي لا يثبت إما لتكسر

<sup>1</sup>سعد الله، تاريخ الجزائر...ج2، مرجع سابق، ص248.

<sup>2</sup>نفسه، ص262.

مبانيه، أو لاختلال معانيه، و منه ما بلغ الغاية وصار في لطافته ورقته آية، وهو أيضا كثير غير أني

لم أف على أكثر جمانه النثير، وإنما أثبت هنا ما وقفت عليه من الجيد الأثير".<sup>1</sup>

-الأغراض الشعرية:

1-الاستجداد:

إن استمرار الاحتلال الاسباني لوهرا ن شكل حافزا من استثارة الشعراء المسلمين فمضوا يحرصون على الجهاد والقتال، و يبعثون في النفوس حماسة ويزرون الحكام بما يجب عليهم لتحرير المدن والمقدسات بعدما اشتدت كروب المسلمين وتعاضمت أحزانهم، وكانت وهران إحدى هذه المدن التي ظلت تحت وطأة الاحتلال الصليبي الاسباني لعدة قرون مما جعل الشعراء بمختلف مشاربهم يستجدون الحكام من خلال القصائد لتحرير المدينة المغتصبة، ومن هؤلاء الشعراء عبد الله بن عبد المومن<sup>2</sup> حيث يقول:

نَادَتْكَ وَهْرَانُ فَلَبَّ نِدَاَهَا \*\*\*\*\* وَأَنْزَلَ بِهَا لَا تَقْصِدَنَّ سِوَاهَا

وَاحْتَلَّ بِهَا تَيْكَ الْأَبَاطِحِ وَالرَّبَّاءُ \*\*\*\*\* وَأَسْتَصْرِخَنَّ دَفِينَهَا الْأَوَاهَا

وَاسْتَدْعَ طَائِفَةَ الْعَسَاكِرِ نَحْوَهَا \*\*\*\*\* يَغْزُونَهَا وَلَيَنْزِلُوا بِفِنَاهَا

مُسْتَصْبِحِينَ لَوَاءِكَ الْمَنْصُورِ إِذْ \*\*\*\*\* يَلْقَاهُمُ الْفَتْحُ الْمُبِينُ وَجَاهَا

صَرَخْتُ بِدَعْوَتِكَ الْعَلِيَّةِ فَاسْتَجِبْ \*\*\*\*\* لِنِدَائِهَا وَلْتَكْمَلَنَّ مَنَاهَا

وَعَلَيْكَ يَا فَخْرَ الزَّمَانِ تَحِيَّةً \*\*\*\*\* أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْفَتِيْقَشْدَاهَا

<sup>1</sup> ابن سحنون، الشعر الجماني... مصدر سابق، ص16.

<sup>2</sup> هو أبو عبد الله بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، توفي سنة 1101هـ/1690م، كان شاعرا وفقهيا وقاضيا.

2- الشعر الديني:

تعد المدائح الدينية من أقدم الأغراض الشعرية و برز في هذا المجال رجال الصوفية بقصائدهم النادرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومكة المكرمة والمدينة المنورة ووصفهما والحنين إليهما، كما تحدث هؤلاء على عادة أهل مدينة الجزائر و المولد النبوي الشريف وختم صحيح البخاري ونذكر في هذا المقام كل من الشاعر أبو محمد عبد الله بن عمر البسكري، أحمد المقرئ، وابن حمادوش، ابن عمار وغيرهم من الشعراء.

وفي هذا الغرض ذكر عبد الله بن عمر البسكري قائلا:

دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ أَنْ تَهْوَاهَا      وَ نَحْنُ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ذِكْرَاهَا  
وَعَلَى الْجُفُونِ مَتَى هَمَمْتَ بِزُورَةٍ      يَا ابْنَ الْكِرَامِ عَلَيْكَ أَنْ تَغْشَاهَا  
فَلَأَنْتَ أَنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِطَيْبَةٍ      وَ ظَلَلْتَ تَرْتَعُ فِي ظِلَالِ رَبَاهَا  
مَعْنَى الْجَمَالِ مَنَى الْخَوَاطِرِ وَالَّتِي      سَلَبْتَ عُقُولَ الْعَاشِقِينَ حُلَاهَا

3/المدح:

وهو غرض من الأغراض الشعرية الأساسية في الشعر العربي ترفع من شأن المدوح و تعلي مقامه وتنقل إعجاب الشاعر و تقديره بما يتصف به من خصال حميدة يحرص على إبرازها و تثمينها، وبناء على هذا الوضع ذكر الشاعر"القوجيلي" في قصيدة وجهها للحاج أحمد داي<sup>1</sup> أستهلها بتهنئته واستمألته فقال:

بِسَعَادَةِ تَجْدِيدِكُمْ وَ سُرُورِي      \* \* \* \* \*      وَبِهِ الْهَنَاءُ عَلَى مَمَرٍ دُهُورِ  
طَلَعَتْ طَوَالِعُ سَعْدِكُمْ مَقْرُونَةً      \* \* \* \* \*      بِالْيَمْنِ وَ التَّسْدِيدِ وَالتَّيْسِيرِ  
فَرِحَتْ جَزَائِرُنَا بِكُمْ وَتَأْنَسَتْ      \* \* \* \* \*      بِمَقَامِكُمْ فِيهَا بِحَالِ حُبُورِ

<sup>1</sup> هو الحاج أحمد داي تولى منصب داي سنة 1106هـ 1694م و توفي سنة 1110هـ 1698م.

يَدْعُو إِلَهَ جَمِيعٍ مَنْ فِيهَا لَكُمْ \* \* \* \* \* بِالنَّصْرِ وَ التَّأْيِيدِ وَ التَّبَشِيرِ

و من جهته ألقى العالم الشاعر ابن سحنون الراشدي قصيدة مطولة يمدح فيها الداوي " محمد بكداش" على فتح وهران واستردادها من النصارى الصليبيين، وبذلك عم الخير والرخاء واستتب الأمن و الأمان، وقال فيها:

يَأْيُهَا اللَّيْثُ الْهَزْبِيُّ الْمُنْتَقِي \* \* \* \* \* وَأَجَلٌ مُخْتَارٌ مِنَ الْأَخْيَارِ

أَبْشِيرُ فَتَغْرُ وَهْرَانَ أَصْبَحَ بِاسِمًا \* \* \* \* \* يُثْنِي عَلَيْكَ بَرِيَّةَ الْمِعْطَارِ

وَلَوَامِعُ النَّصْرِ الْمُبِينِ تَكَاثَرَتْ \* \* \* \* \* حَتَّى كَسَتْكَ أَشِعَّةُ الْأَنْوَارِ

طَهَّرْتَ هَذَا الْقَطْرَ مِنْ دَرَنِ الرَّدَى \* \* \* \* \* وَرَفَعْتَهُ عَنِ سَائِرِ الْأَقْطَارِ

4/ التوسل:

حين توالى النكبات والهزائم على الجزائريين وسكان وهران على وجه الخصوص، توجه الشعراء إلى خالقهم متضرعين ومتوسلين إليه وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم راجين منه أن يمدحهم ويساعدهم على تجاوز محنتهم، ويعتبر الشاعر أبي عبد الله سيدي محمد أول الشعراء الذي استولت عليه الهموم ولم يجد من البشر من يسكن آلامه ويطفئ ناره، فأتجه إلى خالقه راجيا منه أن يفرج كربته ويقضي حاجته وينصر الإسلام والمسلمين ويرجع مدينة وهران الأسيرة إلى حظيرة المسلمين قائلا:

نَرْجُو رِضَاكَ فَرَبَّنَا سُبْحَانَهُ \* \* \* \* \* مَهْمَا رَضَيْتَ بِفَتْحِهِ يَتَفَضَّلُ

إِنَّا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِسَادَةِ \* \* \* \* \* أَقْدَامِهِمْ فَوْقَ الْحَيَاةِ تَبَجَّلَةُ

فَبِحَقِّهِمْ إِلَّا قَضَيْتَ حُقُوقَنَا \* \* \* \* \* وَقَتَحْتَ مِنْ بَابِ الْعِدَا مَا يُقْفَلُ

وَرَجَعْتَ لِلْإِسْلَامِ رَجْعَةَ مُشْفِقٍ \* \* \* \* \* لِلدِّينِ تُنْصِرُ وَالْكَوَاغِرُ تُخَذَلُ

حَتَّى نَرَى وَهْرَانَ دَارَ إِقَامَةٍ \* \* \* \* \* لِصَلَاتِنَا لَعْدَ الْأَذَانِ تُكْمَلُ

## 5/ الرثاء:

لعل أهم ما امتاز به شعراء الجزائر عن غيرهم هو الارتباط الوثيق بالأرض، حيث نشأ لديهم غرض خاص هو رثاء المدن، فكانوا كلما سقطت مدينة في أيدي النصارى الصليبيين إلا و بكوها و تفجعوا عليها تفجعا شديدا ولم يعد الشاعر يملك إلا هذه الحسرات التي يطلقها من قلبه وأحشائه الذي يعتصر أما على ما آلا إليه وضع المسلمين من ذل و هوان، ولنا في الشاعر أبي عبد الله محمد المعروف بابن علي بن أبي عبد الله سيدي المهدي الجزائري نموذجا على ما قيل في الرثاء قائلا:

وَهَلْ طَاوَعَتْ وَهْرَانُ قَبْلُ مُمْلِكًا \* \* \* \* \* سِوَاهُ فَأَضْحَى أَنْفَهَا وَهُوَ رَاغِمٌ  
فَكَمْ سَامَهَا مَنْ لَا يُنَاهِضُهَا وَكَمْ \* \* \* \* \* حَوَالِي حَمَاهَا حَامٍ بِالزُّورِ حَائِمٌ  
تَمَلَّكَهَا حَزْبُ الشَّقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ \* \* \* \* \* زَمَانًا لِحَزْبِ الْحَقِّ عَنْهَا مُخَاصِمٌ  
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ صَيْحَةً مِنْ خِيُولِهَا \* \* \* \* \* يَنْوُحُ لَهَا الْإِسْلَامُ وَالشَّرْكَ بِأَسْمِ  
زَهَا وَاعْتَلَى التَّتَلِيثُ فِيهَا وَنَكَسَتْ \* \* \* \* \* لَمَّا دَهَمَ التَّوْحِيدُ مِنْهُ الْعَمَائِمُ

## 6/ الغزل والمجون:

شغل شعر الغزل مكانة ثانوية في الجزائر العثمانية قياسا بشعر المدح والرثاء والتوسل بسبب ظروف العصر التي غلب عليها الاعتداءات الخارجية الصليبية واحتلال المدن الساحلية، و ما يمكننا الإشارة إليه هو أن الصورة الجمالية للمرأة لم تتغير عند شعراء العصر العثماني فكان هو الآخر مرتبطا بعدة ظروف أجمها الدكتور سعد الله فيما يلي:

-قلة نشاط المرأة.

-انعدام الذوق والمشاعر الرقيقة عندهم.

-الغزل كان يفتقر إلى صدق العاطفة.

-ندرة مجالس اللهو التي تحرك المشاعر.

لهذه الأسباب جميعها جعلت شعر الغزل في هذه الفترة من تاريخ الجزائر قليلا نسبيا مقارنة بباقي الأغراض الشعرية، فالشعراء كانوا لا يتحدثون عن المرأة بعينها حين يتغزلون، وإنما يصفون المرأة من الوجهة المجردة، فكانت صورهم الشعرية إما مأخوذة من الماضي، وإما غير منطبقة على الواقع، وإما خيالية قل من يحس بها<sup>1</sup>

و في قصيدة مستقلة يقول الشاعر الفوجيلي فيها.

الْحُبُّ صَعْبٌ وَالرَّقِيبُ أَعَانَهُ \*\*\*\* وَالذَّمْعُ بَاحٌ بَدَا الْهَوَى وَأَبَانَهُ

وَ الْحُبُّ يَسْتَدْعِي الْقُلُوبَ إِلَى الْهَوَى \*\*\*\* فَتُحِبُّهُ مُنْقَادَةً وَلَهَانَهُ

وَ الصَّبُّ يَطْمَعُ فِي وَصَالِ حَبِيبِهِ \*\*\*\* بَعْدَ التَّدَلُّلِ لَا يَمَلُّ إِهَانَهُ

حَتَّى لَيُقْنِعُهُ الْمُرُورُ بِبَابِهِ \*\*\*\* يَسْتَنْشِقُ الْأَطْلَالَ كَالرَّيْحَانَ

وَ بِجِسْمِي الْمَضْنَى فَتَاةٌ غَاظَتْ \*\*\*\* قَلْبَ الْكَنْيَبِ بِأَعْيُنِ فَتَانَهُ

خَرَجَتْ مَعَ الْأَثْرَابِ بَيْنَ الْأَزَاهِرِ \*\*\*\* فَكَأَنَّهَا بَدْرٌ تَكَلَّلَ بَانَهُ

صَالَتْ بِسُلْطَانَ الْجَمَالِ عَلَى النَّهْيِ \*\*\*\* وَ قَضَتْ بِسَلْبِ الْعَاشِقِينَ دِيَانَهُ

و رغم ظروف العصر الصعبة ظهر محمد بن أحمد بن رأس العين ممن اشتهروا بشعر المجون، فقد كان يسخر من فتوى العلماء التي تحرم الدخان بعدم شربها أو تدخينها، كما كان يخاطب الخمر المحرمة ويخاطب النادل أن تحريمها كلام باطل، وإنها عنده حلال طيب، وأن ضوعها يغني عن الصباح، وأن تعاطيها لا يفسد العقل، وان من لم يشربها لا يدرك حقيقتها<sup>2</sup>. قائلا:

اسْقِنِيهَا تَبَاغَةً تَجَلًّا فِي حُلَى السَّبْسَبَى

شُرْبُهَا فِي الدُّجَا مَعَ الْإِخْوَانِ جَالِبُ الْإِنْسِ

<sup>1</sup>دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب جزائري قديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص276.

اسْتَقْبَيْهَا وَدَعَّ كَلَامَ اللَّاحِ فَهُوَ عِنْدِي مُحَالٌ  
تَعَطَّلَ شَرَابَهَا يَا صَاحٍ فَهِيَ عِنْدِي حَلَالٌ  
شَمَعُهَا يُغْنِي عَنِ الصَّبَّاحِ فِي ظَلَامِ اللَّيَالِ

7/ الهجاء:

يعد الهجاء غرض من أغراض الشعر يتناول فيه الشاعر بالذم و التشهير عيوب خصمه المعنوية والجسمية وهو نقيض المدح، ويذكر الرافي: " أن الهجاء شعر التاريخ، و يقص من التاريخ ما يستعين به على إحكام معنى الهجاء، وأن الهجاء يذكر مثالب الناس و مناقبهم".<sup>1</sup>

اتخذ شعراء الجزائر و علمائهم الهجاء وسيلة لهجاء أمراء الجزائر وحكامها بعدما انغمسوا في ملذاتهم، فضعت عزائمهم عن نصره أهل وهران الذين ظلوا يستنجدون و يصرخون عسى أن يسمعهم حكامهم فتتحفز همهم و الأبيات التي بين أيدينا للشاعر ابن حمادوش تبين كيف أن الحكام العثمانيين راحوا يعيشون في الأرض فسادا متناسين و وظيفتهم الحقيقية المتمثلة في العدل بين الناس و حقوق الرعية فيقول:

خَرَجْتَ ذَلِيلًا لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا وَ هَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيَحْكُ فِي غِمْدٍ؟  
بَنِي جَدْنَا فِي الْعَالِيَاتِ قُصُورُنَا فَلَا نَرْتَضِي الْأَدْنَى كِبَارًا وَ فِي الْمَهْدِ  
وَ مَنْ ذَا يَرَى فِي الْعَالَمِينَ قَرِينَنَا وَيَزَعُمُ أَنَّهُ يُفَوِّقُنَا بِالنَّقْدِ  
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقُلْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَعْلُو وَ مَنْ شَاءَ فَلْيَسْلُ جِوَارَنَا بِالْبُعْدِ  
فَلَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُوْتَّلَ غَيْرُنَا وَإِنْ أَدْرَكَ الدُّنْيَا وَحَازَهَا فِي الْأَيْدِ  
حَذَارِ حَذَارِ إِنَّا رَحْمَةُ الْوَرَى وَ غُصَّةٌ لِلْقَالِينَ فِي الْحَشْرِ وَاللَّحْدِ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مصطفى الصادق الرافي، تاريخ آداب العرب، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص56.  
<sup>2</sup> ابن حمادوش، رحلة لسان المقال في النبأ عن النسب و الحال، تقديم و تحقيق، أبو القاسم سعد الله، م. و. ف. م، الجزائر، ص185.

و من جهته وقف العلامة أبي عثمان سيدي سعيد قدورة يهجو ويذم قبائل بني عامر المتعاونة مع الصليبيين الأسبان التي ظلت تدمهم بالغذاء والأخبار قائلا:

فَمَنْ مُبْلِغٍ عَنِّي قَبَائِلَ عَامِرٍ      وَ لَا سِيْمَا مَن قَدْ تَوَى تَحْتَ كَافِرٍ

أَنَاشِدُكُمْ بِاللهِ مَا عُدُّكُمْ      لَدَى اللهِ فِي وَهْرَانَ أُمَّ الْخَنَازِيرِ

أَذَلَّكُمْ الْجَبَّارُ كَيْفَ رَضِيْتُمْ      بِسَبِي الْعَدَارَى مِنْ بَنَاتِ الْأَكَابِرِ

فَصِرْتُمْ مِنْ جُورِ الْبُعَاةِ كَأَنَّكُمْ      يَهُودُ الْجَزَى تُعْطُونَهَا فِي الْأَصَاغِرِ<sup>1</sup>.

و على النحو ذاته، ها هو الشاعر محمد بن علي يوجه هجاءه لحكام الجزائر قائلا:

وَ كُلُّ رَيْسٍ يُرْتَجَى لِخُطُوبِهَا      تَشَاغَلَ فِي لَذَائِهِ وَ هُوَ نَائِمٌ

وَ رَبُّ أَمِيرٍ أَزْمَعَ السَّيْرَ نَحْوَهَا      فَيَرْجِعُ لَمَّا كَثَرَتْهُ الدَّرَاهِمُ

رَضُوا بِالرُّشَى فِي الدِّينِ حِينَ تَخَلَّفُوا      وَ قَدْ رَسَخَتْ فِي الْأَرْضِ تِلْكَ الْأَرَاقِمُ<sup>2</sup>

9- الشعر الشعبي (الملحون):

يرى البعض أن الأدب الشعبي هو التعبير بالكلمة العامية عن وجدان الأمة بطريقة شفوية في أقوال مأثورة مجهولة المصدر تتوارثها الأجيال جيلا عن جيل<sup>3</sup>، و العامية أداة رئيسية لكل أنواع الأدب الشعبي من حيث قدرتها على استيعاب المتغيرات والتعبير عنها لما تتميز به من مرونة تجعلها دائما قابلة للنمو وقادرة على استيعاب الجديد من المتغيرات الاجتماعية.<sup>4</sup>

و الشعر العامي يختلف عن الشعر العربي الفصيح في شيء وهو أنه شعر إقليمي يقتصر فهمه إلا على ذلك الإقليم لاشتراك شعرائه في المدارك و التصورات الخاصة بهم، وإذا نقل إلى إقليم آخر و

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...مصدر سابق، ص241.

<sup>2</sup> أنظر: محمد بن ميمون، التحفة المرضية..مصدر سابق، ص295.

<sup>3</sup> أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1971، ص15.

<sup>4</sup> نفسه، ص16.

خفيت مراميه على أهله عز دركه<sup>1</sup>، فمثلا شعر شعراء الملحون في إقليم وهران لا يستسيغه أهل إقليم قسنطينة، وهو مباين للشعر العامي في الإقليم القسنطيني، مباين له في أوزانه، وفي مطالعه، و في العمود الشعري، وفي المعاني، و في التخيلات و إن كان الجيد منه تدرك جودته في الأقاليم المتقاربة للاشتراك في المنازع و البواعث لقول الشعر<sup>2</sup>.

انتشر الشعر الشعبي بشكل غير مسبوق في الجزائر العثمانية لأسباب عديدة ولعل أبرزها ضعف الثقافة العربية و تراجع دور الإسلام في السلطة والمجتمع الذي تحول إلى مجرد طقوس جافة بين جدران المساجد والزوايا وإبعاد اللغة العربية عن الإدارة وجهل الحكام وكذلك عدم وجود جامعة على غرار القرويين بفاس والقيروان بتونس، كل هذه العوامل ساعدت على إضعاف الثقافة الأدبية وتشجيع الشعر والأدب الشعبي<sup>3</sup>.

وأمام هذا السيل الجارف من الشعر الملحون وجد شعراء الأدب الفني أنفسهم قلة قليلة حتى أن العالم أبوراس الناصري كان أقل حماسة للشعر الفني وهو القائل: "وما في الملحون من بأس، فإنه في هذا العصر لسان الكثير من الناس"<sup>4</sup>، غير أن العالم ابن سحنون الراشدي شكا من انتشار الملحون و غلبة العجمة على الألسن وذهاب سر الحكمة على حساب الأدب الفني بقوله: "فصار الناس إنما يتغنون بالملحون، وبه يهجون ويمدحون"<sup>5</sup>.

بقي الشعر الشعبي إقليمي النزعة عامي الصبغة لأنه لا يصور إلا النزعات الإقليمية، و المفخرات الشعبية كالغزل العامي، والمدح، و الهجاء المحليين، و هذه كلها اعتبارات محلية تخف و تتهاقت إذا جاوزت حدودها الإقليمية فلا يهتز لها أحد ولا يتأثر بها أحد، إلا قليل من الأقاليم المجاورة لإقليم الشاعر<sup>6</sup>.

1 محمد البشير الإبراهيمي، التراث الشعبي و الشعر الملحون في الجزائر، تحقيق: عثمان سعدي، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2010، ص24.

المرجع نفسه، ص25.

سعد الله، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص324.

أنظر: أبوراس مقدمة شرح الحقيقة، مخطوط، باريس، ورقة2.

ابن سحنون، الثغر الجماني... مصدر سابق، ص245.

محمد البشير الإبراهيمي، التراث الشعبي و الشعر الملحون... مرجع سابق، ص33.

وكذلك كان للغة البربرية شعر لم يصلنا منه شيء لعدم التدوين، كما الشعر العامي في العربية أندثر بدوره للعلة نفسها وهي عدم التدوين، وقد ضاع بعضها و لم يبق إلا القليل مما يحفظه الحفاظ و يروونه وهو بدوره معرض للزوال لعدم العناية به.

والعوام في كل زمان ومكان وفي كل دولة أكثر عددا من المثقفين، فلا جرم أن يعلوا بالشعر العامي ويتناقلونه ويحفظونه ويرددونه في مجتمعاتهم لقرب معانيه من نفوسهم، فهم لا يهتزون للشعر الفصيح الذي لا يفهمون معانيه العميقة و يهتزون لهذا الشعر.

نشأ في الجزائر شعراء كبار يجيدون الشعر الشعبي الملحون، وقد سمعنا الكثير من بقايا المحفوظ المتداول على ألسنة الناس كلما يشتمل على معان بليغة مما كان يؤديه الشعر القديم، والجيد من الشعر الشعبي تمثل في قصائد الشعر الديني، منه الترغيب و الترهيب، والحكم والوصايا، المواعظ، المديح النبوي، التوسل بالأولياء، واشتهر الإقليم الوهراني في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي بجماعة من فحول الشعراء يتقدمهم، سعيد المنداسي ، الأخضر بن خلوف المستغامي .

1/ابن عبد الله سعيد المنداسي. ت1088ه/1677م.

هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني، عاش بتلمسان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، تعلم و أصبح له إصلاح و معرفة بعلوم عصره اللغوية والفقهية، أضطر المنداسي إلى مغادرة تلمسان مسقط رأسه و التحول إلى المغرب بسبب معارضته تصرفات الحكام الأتراك إلى أن وافته المنية سنة1088ه بإقليم تافيلالت<sup>1</sup>.

طَبِّ لِلْقَلْبِ دَوَاهِ

طَبِّ لِلْقَلْبِ دَوَاهِ يَا عِلَاجَ الْخَاطِرِ سُلْطَانِي

<sup>1</sup> ترك المنداسي ديوانا من الشعر حققه رابح بونار. أنظر:ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي" تراجم

مؤرخين و رحالة و جغرافيين"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1998، ص369.

بُعَيْتَ حُسْنِكَ وَبَهَاهُ فِي الْمَنَامِ نَشُوفَكَ بَعْيَانِي

يَا إِمَامَ أَهْلِ اللَّهِ يَا الْغُوتِي بَالِكَ تَنْسَانِي

يَا إِمَامَ أَهْلِ اللَّهِ

يَا بُومَدِينِ حَبِيتَ فِي الْمَنَامِ نَشُوفَكَ بِا ثَمَادِي

نُطُوفُ مَعَاكَ الْبَيْتِ وَ مَعَ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي

حَمَلِي طَائِحٍ وَ لَقَيْتَ عَلَيْكَ دُرُكِي وَ أَنْتَ اعْتِمَادِي

قَاصِدَكَ ضَيْفَ اللَّهِ هَارِبَ تَحْتَ جُنَاحِكَ تَرَعَانِي

بَانَ سِرِّكَ مَا أَعْلَاهُ لَكَ يَمْنَعُ مَنْ هُوَ جَانِي

يَا إِمَامَ أَهْلِ اللَّهِ

نَتَوَسَّلُ بِالْكَعْبَةِ وَ النَّبِيِّ وَازْوَاجِهِ وَانصَارِهِ

يَاغُوتُ أَهْلِ النَّسْبَةِ يَا شَعِيبَ مَغْنَمِ زِيَارِهِ

أَفْجِي عَنِّي الْكَرْبَةَ مُحَايِنِ الْوَقْتِ عَلِيَّ جَارُوا

جَاهُ قَدْرِكَ مَا أَعْلَاهُ يَا الشَّايِعِ فِي الرَّبِّعِ أَرْكَانِ

بَانَ فَضْلَكَ وَ تَنَاهَ بِكَ يَنْدَهُ حُرٌّ وَ سُودَانِي

يَا إِمَامَ أَهْلِ اللَّهِ

كُلُّ مَنْ قَصِدَكَ مَنَعَ سَلْكَتَهُ يَا تَانِيْسِ الْخَاطِرِ

بُحْرَ نَوَارِكِ شَعَشَعَ فَاضِ مُوجِهِ مَنَ سُوْسِ لِمُصْرِ

أَنَا جِيْتِكَ طَامِعٌ بَعَيْتَ نَعْرَفَ مَنَ بَحْرِكَ يَا سِرَّ

مَنْ قَصِدَ شَيْخَ غَنَاهُ عَسَاكَ أَنْتَ يَا سُلْطَانِي

جَايِبٌ مَكَّةَ فَالْجَاهِ وَ الرَّسُولَ الْعَرَبِيَّ الْعَدْنَانِي

يَا إِمَامَ أَهْلِ اللَّهِ.

2/ الأَخْضَرُ بنِ خُلُوفِ الْمَسْتَغْنَمِيِّ: 1024هـ/1585م.

هو أبو محمد لكحل بن عبد الله بن الخلوف المغراوي، ولد سنة 1024هـ/1585م وبالتالي فقد عاش كل القرن العاشر الهجري مثلما أكد ذلك في إحدى قصائده، مما يعني كان شاهدا على موقعة مزعران التاريخية. ينحدر شاعرنا بن خلوف من قبيلة "الزعافرية"، و عاش تقريبا 125 سنة الجزء الأكبر منها في بلدة مزعران.

سمي لخضر بدلا من الأكل من طرف والدته لسنة تخص إتياع الفال الحسن، فالأخضر هو لون السلام و الإسلام، تزوج لخضر بن الخلوف من امرأة تدعى "غنو" ورزق منها ببنت اسمها حفصة، وأربعة ذكور: أحمد، محمد، أبا القاسم، الحبيب.

1- قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه و سلم بعنوان: اختارك الواحد الأحد، يقول فيها:

اخْتَارَكَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ

سُبْحَانَكَ الْجَلِيلِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

أَنْتَ الْعَزِيزُ يَا مُحَمَّدَ

مَا اعَزَّ مِنْكَ إِلَّا رَبُّ الْعِبَادِ

سَعْدِي بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ يَا مَعْرُوزِي

عَزَّكَ بِالذُّوَامِ رَبُّ الْعِزَّةِ

سَمَّاكَ عَلَيَّ الرَّسْلَ افْرُوزِي

نَفْطَةَ مَنْ النَّعِيمَ مَفْرُوزَةَ

الْأَبْيَاتُ مَنْ مَدِيحَكَ تَجْزِي

وَالْخَيْرَ الْكُلَّ مَنْ يَجْزَا

مَشْغُوفٌ بِكَ مَانِي رَايْدُ

سَيُوسَى الْجَلِيلِ وَأَنْتَ نِعَمَ الْمُرَادِ

زَعَزَعَتْهَا وَزِيرٌ وَقَائِدُ

نَمْدَحُ النَّبِيَّ عَلَيَّ رُؤُوسَ الْأَشْهَادِ

سَعْدِي بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدَ

2- قصيدة "مزgran":

هي القصيدة التي اشتهر بها الشاعر الأخضر بن خلوف وفيها خلد "معركة مزهران" التاريخية التي دارت رحاها قرب مدينة مستغانم يوم 02 رجب 965هـ/أفريل 1557م<sup>1</sup>، وصف فيها هذه الموقعة التاريخية بتفاصيلها و بدقّة متناهية، ذكر فيها الطريق التي سلكها باشا الجزائر "حسن" عند خروجه من العاصمة في طريقه إلى مستغانم، كما ذكر الطريق التي مر بها الجيش الاسباني بعد خروجه من وهران في طريقه إلى مستغانم، فخالف الطريق المعتاد حتى لا يلفت النظر، و قصد جبال "تسالة" حيث تعود الجيش الاسباني الخروج إليها للمناورات العسكرية، و هذه مكيدة لم تفت عيون الجيش العثماني من القبائل المحلية الذين كانوا يتتبعون العدو في حركاته فأرسلوا بالخبر إلى الباشا حسن ذلكحين حاول الكونت دالكادوت" (Conte Dalcadote) اغتنام فرصة الاضطرابات التي عرفت الجزائر وانهزام حسن باشا في المغرب الأقصى فشن حملة كبيرة على مستغانم، وإلى هذا أشار الشاعر ابن خلوف بقوله:

ارْكَبْ فَارِسَ اسْبِقْ وَدُنَا \* \* \* \* بالتَّعْرِيفِ اَيْبَشَّرَ السُّلْطَانَ

الْبَارِحَ يَقُولُ جَاتِ الرُّومُ \* \* \* \* يَا فُرْسَانِي غَاوَلُوا انْتَمَا

كذلك أشار-ابن خلوف- وذكر القبائل المشاركة في معركة مزهران بقوله:

مَنْ بَنِي رَاشِدٍ، وَ آلِ سُوَيْدٍ \* \* \* \* وَأَفْرَ اسْنِينِ النَّطْحِ عَبْدِ الْوَادِ

يَا مَغْرَاوَةَ تَحَزَّمُوا لِلْكَيدِ \* \* \* \* مَنكُمْ خَلَقَتْ سَلْطَانِنَا وَأَجْوَادِ

شارك بن خلوف في موقعة مزهران التاريخية في صفوف القائد العسكري "حسن باشا بن خير الدين" تكبّد فيها الجيش الملكي الاسباني الصليبي هزيمة منكرة على يد القبائل المحلية المتحالفة مع الجيش العثماني و التي تجاوزت 12 ألف قتيل بما في ذلك قائد حامية وهران "الكونت الكوادت"، كما أسر أبنة"دون مارتن" في المعركة. فيقول:

يَا فَارِسَ مَنْ تَمَّ جِيَتْ الْيَوْمِ غَزْوَةَ مَزْغَرَانَ مَعْلُومَةَ

<sup>1</sup> أعمار بلخروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، ج1، المرجع السابق، ص103.

يَا عَجَلَانَا رِيْضُ الْمَلْجُومِ      رَايْنَا جُنَابَ الشَّلُو مَوْشُومَةَ  
يَاسَايْلُنِي عَنْ طَرَاذِ الْيَوْمِ      قَصَّةَ مَرَّغْرَانَ مَعْلُومَةَ  
يَاسَايْلُنِي كَيْفَ ذَا الْقِصَّةِ      بَيْنَ النَّصْرَانِي وَ خَيْرِ الدِّينِ  
اجْتَمَعُوا فِي بَرَهْمِ الْأَقْصَى      بِجَيْشِ قُوِي جِرَا مَتَهْدِينَ  
تَرَى سَلُونَ الرُّومَ مُحْتَرِسَةً      صَبَحُوا فِي الْمَنَا عِدَايِ الدِّينِ  
خَرَجُوا لَكَ لِلْبَرِّ خَرَجَ الشُّومُوَانَجَلَاوَا مَنْ فُوقَ وَجْهَ الْمَا  
غَيْرَ الْبَارِيَّةِ وَكَيْلِ الْقَوْمِ      تَمْشِي لَكَ بِأَمَاخَلْمَحْتَرِمَةَ  
اسْتَعَدَّ السُّلْطَانَ بِالْحَرَكَةِ      صَارَ الْغَيْبِ الْحَقَا وَ نَزَلَ  
اسْتَوْعَظَ فِي طَلْبَتِهِ وَ شَكَى وَ مَشَى لِحَرَمِ الثَّعْلَبِي وَ دَخَلَ  
وَاسْتَفْتَحَ بِالْبَرِّ وَ الْبَرَكَةِ      قَدَّمَ جَاهَ الْمُصْطَفَى وَ رَحَلَ  
ضَلَّ يَسِيرَ بَعْسَاكْرَهُ وَ الْقَوْمِ      فِي وَطْنِ مَتِيْجَا وَ لِبَحِ الْمَا  
فِي أَمْرِهِ جَاتِ الْعَرَبِ اَطْمُومِ      سُلْطَانَ عَادِلِ طَاعَتِهِ الْأُمَّةِ  
جَاوَا شُيُوخَ السُّوَيْدِ لِّلْسُلْطَانَ      وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَ مُحَمَّدٌ  
قَالُوا لَهُ يَا أَمِيرَ لَا تَلْيَانَ      لَا دِي الْآ دِيْنَ مُحَمَّدٌ  
اسْتَشْرَحَ سُلْطَانَا وَزِيَانَ      رَاهَا قَوْمَهُ الزَّاهِيَةَ تَرَعَدَ  
صَبَحَتْ فِي الْحَوْضِ الْجِيُوشِ الْمَامِ      نَزَلَتْ ذَاكَ أَخْبَا وَدِي خِيْمَةَ  
وَإِنَّ اصْحَابَ الْعَنَا ذُو الْإِنْسَانَ      وَإِنَّ أَنْصَالَه وَبَيْنَ جَسِيْسَا  
وَإِنَّ الْقَسَّاسِينَ وَالرُّهْبَانَ      اللَّيْ عَبَدُوا سَيِّدَنَا عَيْسَى  
حَشَاهُ رُوْحَ رَبَّنَا الرَّحْمَانَ      يَتَمَثَّلُ مَنْ قَوْمِ مَنْجُوسَةَ

مَنْ هُوَ مَنْ فُرْسَانُ ذَلِكَ الْقَوْمِ    إِلَّا زَادَ ظِلَامًا عَلَى ظَلَمَةٍ  
 تَرَجَاهُ الْإِسْلَامَ لَنْ يَقُومَ    خَيْرَ الدِّينِ بِسَائِرِ الْأُمَّةِ  
 طَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ السَّبْتِ    خَرَجُوا لَكَ مِنْ بَابِ مَرْغَرَانَ  
 إِلَى غَرْبِ الصُّورِ كَانُوا زَفَّتْ    وَالْأَدْوِدُ أَطْلُوهُ بِالْقَطْرَانِ  
 أَحْلَفَ لَهُمْ سُلْطَانًا وَتُبَّتْ    أَخَذَ النَّارُ وَرَجَعَ بِالْأَمَانِ  
 ذِي الْإِتْرَاكِ مُجَنَّدَةٌ لِلرُّومِ    فَزَعَتِ لِلْكَفَّارِ يَا فَهَمَا  
 حَنَا قَالُوا قِمَاحَ جِينَا الْيَوْمِ    وَأَتَهَدَمَتْ وَلَدَانِ مَقْطُومَةٍ

خاتمة عامة

## الخاتمة:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني انتشار ظاهرة التصوف والتقليد والدروشة مما أدى إلى ضعف التعليم وانحطاط العلوم، أما الأدب والشعر وفنونها فلم يتعد المدايح النبوية والمقطوعات الصوفية وأن منتوج علماء الجزائر غلب عليه طابع التقليد من حيث التفكير، سواء لعلماء المغرب الأقصى أو لعلماء تونس، أو علماء المشرق العربي.

تبيننا من خلال هذه الدراسة أن الحياة الثقافية كانت بعيدة عن كل إبداع أو تجديد وأن غاية المتعلمين كسب المعارف التي خلفها السلف دون الاجتهاد مما أدى إلى تعطيل العقول، وخلصنا إلى نتائج من المصادر والمراجع نوجزها فيما يلي:

- أن انحطاط العلوم وجمود العلوم الشرعية واقتصارها على الفروع والشروح والتعليق واعتماد على الحفظ كانت سببا رئيسيا في انتشار الطرق الصوفية وتفريغها الأمر الذي أدى إلى أنتساب الكثير من العلماء المشهورين إليها، فتحوّلت الزوايا إلى معقل كبير للخرافة وعقلية التواكل والانصراف إلى عالم الخوارق والكرامات، ومن الأمثلة على ذلك الصوفي العارف بالله عبد الرحمن الثعالبي والإمام السنوسي، وعلى الرغم من إنتاجهما العلمي وسلوكهما الصوفي كانا يدعوان الناس جهرة إلى العزلة والهروب إلى الآخرة والصبر على ظلم السلطان، وأن ما أصاب البلاد من ظلم هو لمصلحة لا يعلمها إلا الله.

- أنه على رغم الضعف العلمي والتخلف الحضاري فقد ظل مستوى التعليم في الجزائر العثمانية يضاهي التعليم في العواصم العلمية الكبرى، حيث كانت الدروس الممنوحة لطلبة العلم تجاوز أحيانا ما كان مثل بفاس وتونس والأزهر الشريف بالقاهرة وهذا على الرغم من أن البلاد لم تكن تتوفر على مثل تلك المدارس والمعاهد ولعل هذا يرجع بالدرجة الأولى إلى ثمره جهود أفراد العلماء وليس نتيجة اهتمام الحكام العثمانيين.

- إن الفضل في بروز علماء أجراء في علوم عصرهم يعود إلى عصاميّتهم وانقطاعهم للعلم حيث احتلوا مكانة مرموقة بين كبار العلماء، ونذكر منهم على سبيل المثال العلامة أبورأس الناصري والعالم الحافظ محمد الرماصي ففيه بلاد الراشدية الذي تبوأ بمكانة مرموقة في علم التوحيد باعتراف من ألف في الفن المذكور، والعالم يحيى الشاوي الذي ذاع صيته بمشاركته في المناظرات والدروس فتصدّر للتدريس والإفتاء حتى سمي أمير ركب حج المغاربة، وأبو العباس المغربي الذي أذن له شيخه " الصعيدي " بتدريس المغاربة في رواقهم، وقد أسندت له المشيخة بعد موت شيخه.

وضمن هذا المسعى، وضّحنا أن المنشآت الدينية حملت على عاتقها مسؤولية نشر العلم ولم تخالفها السلطة الزمنية في ذلك، فكثرت بذلك المساجد والزوايا والكتاتيب والجوامع والرباطات وتعدت مهامها الدينية إلى مهام تعليمية وتنقيفية، فالمساجد والمدارس والزوايا والتي كان بناؤها يقوم بالدرجة الأولى على تبرعات المحسنين، ولا يتعدى مجهود الحكام في هذا الجهد مجهود الأفراد، لذلك فغالبا ما يكون بناء مسجدا أو وقفه من أحد الباشاوات أو الدايات ما يعبر عن إحسانه وحبه للخير وواجبه الديني مثلما فعل باي مدينة معسكر محمد بن عثمان الكبير وصالح باي قسنطينة.

بالإضافة إلى المساجد والمدارس والزوايا والجوامع توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الوقف إلى جانب كونه مؤسسة خيرية فقد كان له دور حضاري محوري في نشر الثقافة والتعليم وبناء المؤسسات الثقافية وذلك بفضل المساعدات التي قدمتها مختلف أطياف المجتمع ونخص بالذكر النساء اللواتي قدمن من ميراثهن المسكن وأراضي زراعية مسقية وأراضي بور المعدة للحرث والتي تنتشر في مختلف الفحوص والأوطان بما في ذلك المساهمة في إسعاف الفقراء والمحتاجين والاعتناء بالمرضى.

-وخلصنا من خلال المكانة العلمية والدينية التي حضي بها العلماء والمرابطون في الجزائر العثمانية عند الحكام والسكان إلى ما يلي:

- إن طبقة الرسمية التي تقلدت القضاء والإفتاء والتدريس، وهي طبقة المتصوفة ورجال الزوايا والأشراف وتأتي في المرتبة الثالثة في المجتمع الجزائري بعد العثمانيين والكراغلة، وهذارغم عدم توليها للمناصب السياسية، كما أنه من جهة ثانية قدأصبح المرابطون يحلون محل الوزراء والعلماء بالمدينة، ويقومون بحل النزاعات بين القبائل والإصلاح بين الناس، ويُدأوون المرضى، ويتولون الوظائف والمهام الإدارية والقضائية في الريف.

- أن "المجلس العلمي" هو عبارة عن هيئة تشريعية وقضائية هدفها تجاوز التضارب بين المذهبين الملكي والحنفي وتقريب الرؤى بينهما أو على الأقل عدم إفشاء ذلك الاختلاف إلى الإخلال بالإدارة العامة وحصره بين العلماء دون العامة.

-إن العثمانيين قد تقرّبوا من العلماء والمرابطين منذ وصولهم إلى الجزائر بكل الوسائل لمكانتهم العلمية ونفوذهم الروحي بالمقابل ترضيتهم بالمناصب كالقضاة والمشرفين على الأحباس وإمامة المساجد وإمارة ركب الحج وغيرها من المناصب الدينية، كما أفضى البحث إلى أن دور علماء الجزائر لم يقتصر على التدريس بل شمل التأليف والمفاوضات لفض النزاع كالذي حدث بين حكام الجزائر وتونس بالإضافة إلى تقريب وجهات النظر في المسائل المستعصية خاصة بين الجزائر ومملكة المغربية وموضوع تحديث الجيش الذي كان الشغل الشاغل عند علماء التجديد.

-إن علاقة علماء الجزائر مع بعضهم والسلطة السياسية كان يشوبها الكثير من الصعاب بسبب انتشار آفة الحسد والبغضاء والنفاق والتفاخر بالشرف مما أدى إلى الصراع بين العائلات الحضرية الكبيرة وخاصة الوشاية والقّح في أخلاق العلماء ومكانتهم، بالإضافة إلى ظاهرة سرقة الكتب من المساجد وتغيير وبيع الأحباس من القائمين عليها والعلماء على السواء مثلما حدث لكتب الجامع الأعظم التي توزعت بعد ذلك وردّوا بعضها، وأن هذه الظاهرة نفشت كذلك في عالم الراشدية وأن الكثير منها استولت عليها أيدي المنتهبين حتى تلاشى عنها أثر الحبس.

- أن الجهاد ضد الصليبيين كان القضية الأولى في اهتمامات العلماء الذين شاركوا في الرباطات مما جعلهم يطلبون من الحكام في كل مناسبة بتحرير المدن والثغور ونظموا الأشعار لإلهاب حماس الناس وتذكير الباشاوات بواجباتهم الجهادية وبذلك نسجت علاقة تحالف بين العلماء والسلطة السياسية من خلال إدراك الحكام مكانة العلماء لدى السكان المحليين على أنهم حماة البلاد.

- إن الفضل في إرساء الروابط بين الشعوب المغاربية يعود الفضل فيه إلى دور العلماء في نشر ثقافة التسامح رغم التفتت السياسي والتباين الاجتماعي وتبادل الآراء والأفكار والمعارف بين العلماء والمتقنين والفئات الاجتماعية المختلفة، كما كان لعلماء المغرب الإسلامي حركة واسعة تؤدي في غالب الأحيان بالعلماء إلى الهجرة والبحث عن الهدوء والاستقرار مثلما حدث لعلي بن عبد الواحد الأنصاري وأبي القاسم الزياني، وأن الروابط الثقافية والعلمية لم تنقطع يوماً بينهم.

- أن التواصل الحضاري بين علماء الجزائر وعلماء المغرب وتونس قد أدى إلى التوافق في الرؤى العلمية والفقهية والقضايا المستحدثة من بينها على وجه الخصوص: فتوى خروج مسلمي الأندلس، وفتوى شرب القهوة والدخان.

- إن هناك كتب ما زالت لم تر النور وهي عبارة عن مخطوطات في مختلف العواصم العربية تتضمن محتوياتها شتى أصناف علوم العصر منها: علم التوحيد، علم التفسير، علم الحديث، علم السيرة النبوية المطهرة، علوم الفقه، علم الكلام للشيخ السنوسي .

-إن علماء الجزائريين قد تركوا بصماتهم في مجال العلوم الاجتماعية والتي من بينها نازلتني شرب القهوة والدخان وموقف العلماء الجزائريين منها من أمثال العلامة الفكون وأبوراس الناصر والعالم الورثياني.

-إن الأشراف كانوا يتمتعون برصيد روحي ومعنوي كبيرين بالمنطقة كما دللتنا على ذلك المصادر التي ذكرنا منها: -روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار لمحمد بن علي الشريف التلمساني- مجموع الحساب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب لبلهاشمي بن بكار.-

العقد النضيد في نسب البوازيد لعبد الله بن احمد بن عبد الرحمان البوزيدي-مخطوط لأبي راس  
الناصرى في النسب.

-إن موضوعالتاريخلم يرق إلى مستوى علم له ضوابطه العلمية والمنهجية مثلما هو عليه الحال  
اليوم، وأن الواقع التاريخي ثبت أن الكتابة التاريخية تواصلت على يد مجموعة من المؤرخين الذين  
لم يكونوا من ذوي اختصاص، وأن معظمهم فقهاء وقضاة ومدرسين حملوا على عاتقهم مهمة  
إحياء التاريخ بفضل تشجيع الحكام لهم كما هو الحال بالنسبةلمسلم بن عبد القادر الوهراني صاحب  
كتاب:تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، وعبد القادر بن عبد الله بن  
محمد بن الشيخ أحمد بوجلال المشرفي صاحب كتاب: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية  
الأسبانيين بوهران من أعراب كبني عامر، أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن  
أحمد بن هطال التلمساني صاحب كتاب:رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب  
الصحراوي الجزائري، ابن سحنون الراشدي صاحب كتاب: الثغر الجماني في ابتسام الثغر  
الوهراني.

- إن التصوف تبوأ مكانة هامة في الفكر العربي الإسلامي، وأن أهم علماء الذين كتبوا في هذا الفن  
منهم: - عبد الرحمان بن محمد عامر الأخضرى صاحب: "الغراء في التوحيد"، وأبوراس الناصر  
صاحب كتاب "الحاوي لنبذ من الوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى".أن موضوع الرحلات كان هو  
الأخر من المواضيع التي كتب فيها علماء الجزائر الذين قاموا برحلات متعددة خارج ديارهم أو داخلها  
وطافوا بأنحاء شتى من بلدان العالم ولا سيّما نحو المشرق العربي ممن قاموا بتسجيل يومياتهم  
وملاحظاتهم من عادات وطقوس وممارسات بعين يقظة والتي لا تخلوا في الغالب على جوانب  
سياسية واجتماعية وثقافية للبلد موضوع الزيارة غير أن الجزائريين كانوا قليلي الإنتاج ونذكر من بين  
هؤلاء الرحالة: -عبد الرزاق بن محمد أبو محمد ابن حمادوش الجزائري صاحب رحلة مسماة: لسان  
المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال فيالقرن12/ه18م،-حسن بن علي بن عمر أبوعلي بن فكون

القسنطيني. ت. 1073هـ/1662م صاحب: -رحلة نظمها في سفره من قسنطينة إلى مراكش، وذكر المدن التي مر بها.

- رحلة محمد المصطفى-بن زرفة. صاحب: الرحلة القمرية في الدولة المحمدية،

-إن الرحلات العلمية هي أكثر وفرة من الرحلات العلمية وحملت في طياتها معاني الوحي والطهارة ومعنى الأمة الإسلامية والتبرك بتراب الحجاز وهوائه وإلقاء نظرة على قبر نبيّه، حتى أصبحت كتبهم دليلاً لمن ينوي السفر، ومرشداً لمن يحذر الخطر، ومن بين هؤلاء العلماء الأعلام:

- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني صاحب: -الروضة الشهية في الرحلة الحجازية. سيدي الحسين بن محمد الورثياني. صاحب: -نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار.

- ابراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني المصعبي. صاحب:

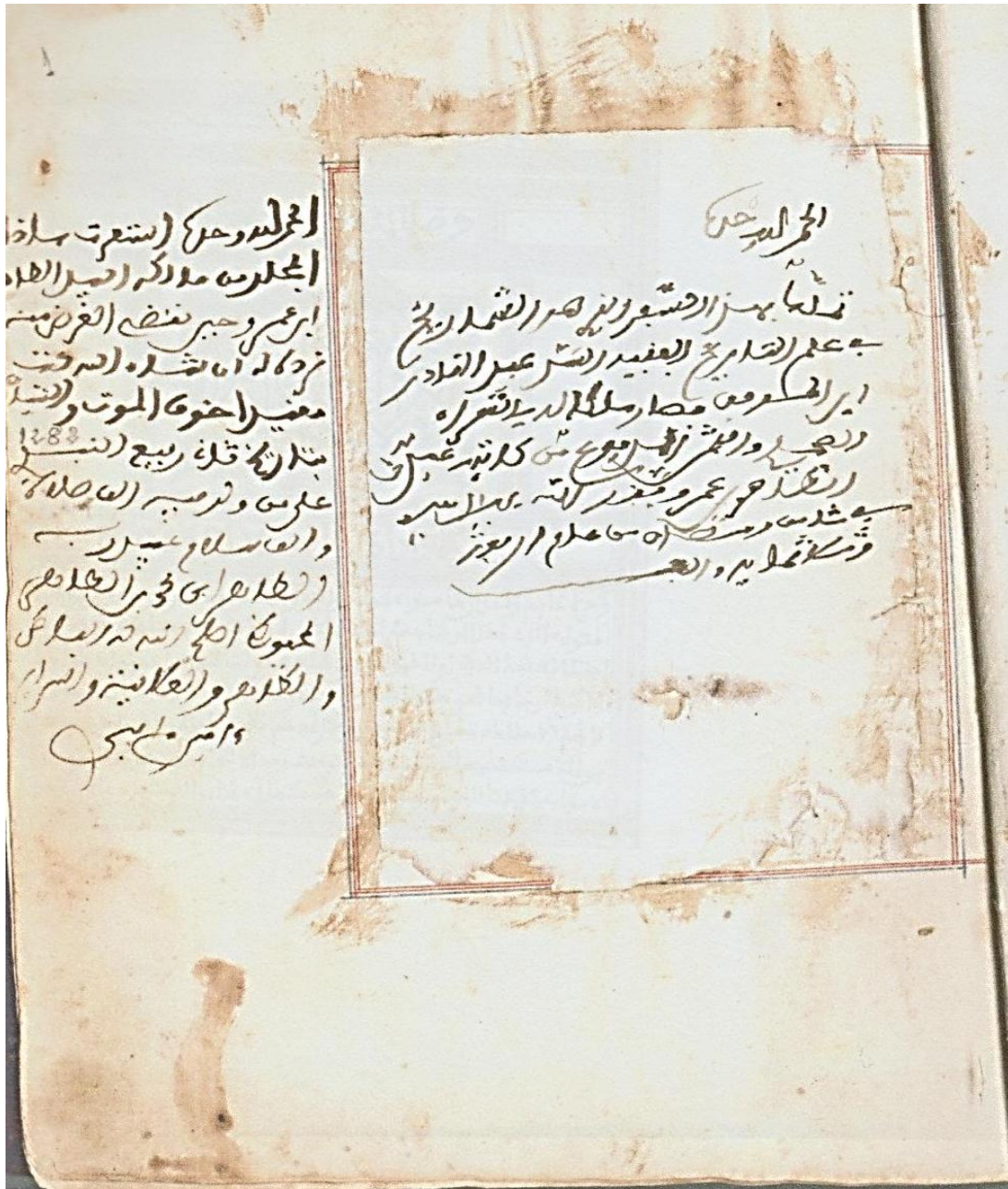
الرحلة الحجازية: وهي - في رأينا- من أبداع الرحلات وأجملها لما تحتويه من تقييدات وأخبار تاريخية مهمة في نقل التجارب الإنسانية الرائدة وخاصة منها القيم النبيلة التي كانت دائماً جزءاً لا يتجزأ من سلوك الرحالة المغاربة كما أنها لم تهمل ذكر الأحداث ووصفها بكل دقة وموضوعية بالأيام والشهور والسنوات على عكس رحلة ابن حمادوش الذي لم يتوقف على هذه الدقائق من الأمور.

-أن الشعر عرف خلال العهد العثماني ظاهرة إهمال رجاله ودواوينه التي لم تعرف بعد الجمع والتحقيق وما زالت مجهولة ومطمورة، لأن الباشاوات الأتراك العثمانيين لا يتذوقون الشعر ولم يشجعوا الشعراء عليه نذكر منهم: سعيد المنديسي، سليمان بن علي التلمساني، المقري، ابن عمار، ابن سحنون، في الغزل، المدائح النبوية، الفخر، الوصف، كما أرتبط الشعر بالسياسة في مناسبات محدودة يمكن حصرها في الجهاد ضد النصارى الصليبيين، وأن القصائد غلب عليها الشعر الملحون (العامي) بدل الفصيح، ومن أهم الأغراض الشعرية الاستنجاج، الشعر الديني، امدح، التوسل.

وفي الأخير أتمنى من خلال هذه المساهمة المتواضعة أني قد أضفت لبنة في هذا الصرح العلمي من شأنه أن تكون قاعدة انطلاق صوب تجديد المعارف، وتعريف القارئ بعلماء الجزائر خلال العهد العثماني ومؤلفاتهم التي كتبوها بالجزائر وخارجها وتبيان الوضع الثقافي وموقف الحكام منه، وأتمنى قد أجبت على الإشكالية التي طرحت في المقدمة.

مع العلم أن الموضوع ما زال مطروحا بكل حيثياته وتفرعاته وفي حاجة إلى تفضيل في بعض جوانبه من قبل الطلبة والباحثين الذين يشدّهم اهتمام بالموضوع.

الملاحق



الملحق رقم 01: الورقة الأولى من مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لأبي رأس الناصري  
(مخطوط تحت ملكنا)



الملحق رقم 02: الورقة الثانية من مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لأبي رأس الناصري







الملحق رقم 05: الورقة الأولى من مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لصاحبه أبو اسحاق

الناصرى (نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية) تحت رقم: 3327

172

واياد في البري دوسر الي الم تبتة لاسمى وانما اوصى كل راغب ومالك ان لا يكون لكل كلاء عراب لان مع الخواص  
 سوسم صايب والسدر العلامة ابو الجوزة يملك علمه بقدر اد اهل علمه حيث يقول  
 عند ربه من عتقتك بالعلم اوفى فلو بدمه بالجملة قلب  
 يسرون العجب كلاء العراب يقول العراب فلا يعجب  
 عيار زيوسم ان تتدب بنيمي له غني جيمي انيسم تغلب  
**وقلت في المحتسبي**  
 يغضون اهل العلى من تالعب بداي وما كان منيوم الا عند فدر غيب  
 وما ذاك الا كون من له بينيوسم في وان غلب يوما في كتب بالذهب  
**قال ناظم القصيدة وشارحه بهذا الشرح المبارك في يوم الخميس ابراهيم بن ابراهيم عبد**  
**الناصر في غيب السكندر لول العديس ولما وضع ذلك لاجله وتبيننا ليس توتشيد الجملده**  
 ومحمد زرقه له اجده وجعل في يمه الدواوين ثوابه وخدمه وكيف لا وان الس لا يكلم مثقال ذرة  
 هذه اشي ما اردنا جمعده من العوايد ونكصه من العري كيد مع توزع البال وتشتية الاحوال وتكاشي  
 الاشغال وتعاقم الاعيان وقلته الاصد فله والخلان وتوازير هواجس اورثت الطبع ملاما والخلاص  
 كلالاكي لسف فجلت حكمته فدو بفننا للاتمام وحقق لنا العوز بهذا العلم او بالشكر لماندولين  
 الانام والملاحة على محضرة الس والسلاوة امية امية امية في اوانك في الفعدة سنة **سنة**  
**وما يتبين والعب اثني عشر** وكان العري اغ من تسعة يوم الاثني عشر بعد ما عقت من  
 شهر رمضان ٢٨ يوما على ٣٨١ الم موافق العري في يوم مارس سنة 1962 **اللهم ان فضل**  
 صدق البغيه ولا تجعلنا من ياكل الدنيا بالدين واجعلنا من يومه بكرمات الاولياء والاصا  
 ليس سلايلا من الس تعالى ان يبيد بعيوب نفسه وان يجعل يومه خيرا من امسه وان يتقم في بنيمي  
 وقت خروج نفسه وان يثبت للجواب في رمسه وان يجعل من العراب اليه ويجيش في تحت لواء  
 سيد الم سليمان وكان يقف لول الذي والمشايخي والاصحاب الجفوق على والخواص جميع المسلمين  
 والمسلمات الاخيار منهن والاموات امية والحرس لسرب العلم **اشعوى** من كاتبة عيدين  
 البشي به الحاد فدور به البشي به فدور به محمود به الملك به البشي به الجملان به احر به اعم به  
 ادوبه السباكي نسبا الافليس مغربك المالك مندها الاشعوى واعتقاد العراب مشهور هذا  
 وانه دعه نال ان الحرس لسرب العلميه

الملحق رقم 06: الورقة الثانية من مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لصاحبه أبو راس

الناصرى (نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية) تحت رقم: 3327

بسم الله الرحمن الرحيم  
 صلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

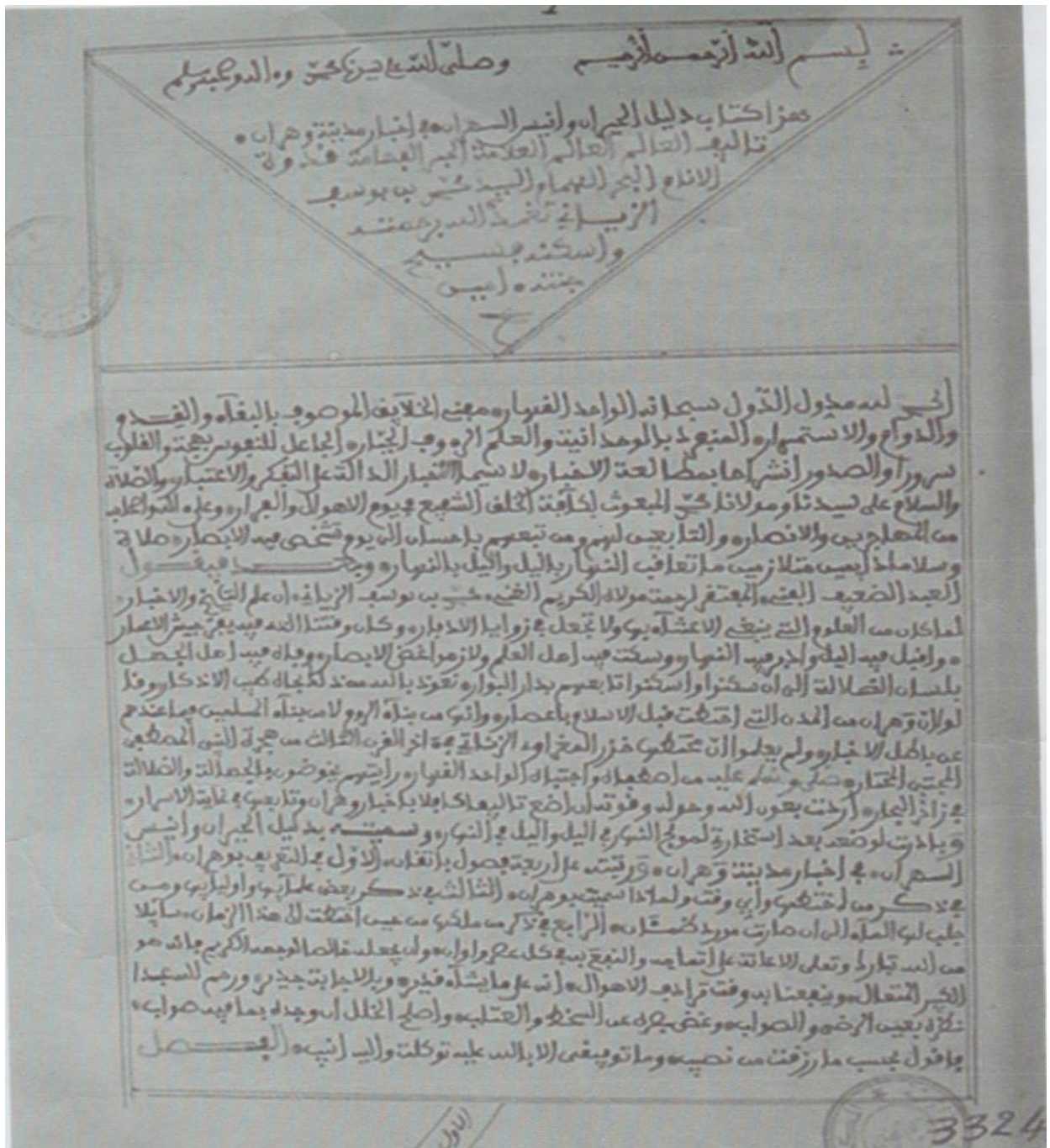
الحمد لله الذي جعلنا من خلقه  
 من الذرة والعنيفة في التعضد  
 بالاسماء المحسنة في العلم  
 في العلم ونهتفيم ونهتفيم  
 بالغالب والغالب واللسان  
 حتى اذعت له العويدة وانفادت  
 والسلاع على صفة من خلفه  
 الانس والحنان وعلى اليد  
 والعطف الحنان صلاة وافق  
 بد ابراب الجنان العصبية  
 الامة وشرفها اعيانها  
 ذون الدواوين من المصنوعين  
 المتصيين بشيم الاكرام  
 فيقول ابو الفخري  
 لنا صم بشر الله عليه  
 وواصل صيانتها وادل على التبر اعلمته ان الشع ميزان الادب الذي خب

بالعلم  
 العجبت  
 الحاصل

بطلبه

الملحق رقم 07: الورقة الأولى من مخطوط الدرّة الأتيقة في شرح العقيدة لصاحبه أبوراس

الناصرى (نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية) تحت رقم: 3195



الملحق رقم 08: صورة عن الصفحة الأولى من خطوط دليل الحيران الموجودة بالمكتبة الوطنية

الجزائرية

وبالله  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۱ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
 يَقُولُ أَجْفَرُ الْعِبَادِ إِلَى مَوَاهِ الْعُلُقِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيُّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي  
 الْحَسَنِ خَارِجُ اللَّهِ لَهُ أُمِّي وَعَامِلُهُ بِمَا يُعَامَلُ بِهِ الْعُلَمَاءُ الْعَرَابِيُّ  
 الْجَدُّ لِنَدِّ الْأَخْدِ مُشْرَفٌ هَادِكُ الْأُمَّةِ الصَّمَدِيَّةِ بِأَشْرَفِ الْحَلَلِ  
 مِنْهَا النَّثَابُ وَاللَّائِعَةُ وَالْكَطَاعِيَّةُ وَالْإِعْتِقَادُ وَالْإِنْتِفَادُ وَدَوْدُ  
 الْغَوَايَةِ وَالْقَلْبُ وَالشُّكْرُ لَهُ سَبْعَانَةٌ أَيْ مَثَلُهَا بِكِبَارَتِهِ ذُرِّيَّتُهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَوَاذِ وَالْعُلَّاءِ وَصَجَاءِ بُوَاطِنِهِ الْمَمْلُوكَةِ  
 بِالْعِلْمِ وَالْعِلْمِ وَمِنْ أَحْبَبْتُمْ نَحْبَهُ شَرِبَ مِنْ نَحْرِ النَّبِيِّ شَرِبَ قَسَلُ  
 وَعَلَى لَا يَكْتُمُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا وَكَانَتْ سَبْثُ الشُّرُوكَةِ وَالنَّجْدِ  
 وَالْمَرْوَةِ فِي الْيَوْمِ وَفِي غَدَاةٍ وَشُرْفُ بِالْإِضَافَةِ وَجَعَلَتْ رُتْبَتَهُ مِنْ  
 وَيَضَعُ عَلَوَّ أَنْفَرَهُ لَأَيَّ اللَّهِ أَخَصَّ أَهْلَ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بِمَقَامِ الْعِزِّ  
 وَالشَّرِيفِ وَأَكْرَمَهُمْ بِكِبَارَةِ الْجَنَابِ وَجَضَعَ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ  
 فِي حُكْمِ الْكِتَابِ لِيَعْلَمَ قَدْرَهُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ وَتَطَهَّرَ خِسْتَهُ  
 شَأْنِيهِمْ وَمِنْ غَضَبِهِمْ كَمَنْ قَابَلَهُ بِمَكْرُوكٍ أَوْ مَحْتَلَبٍ وَتَضَاهَرُوا  
 عَلَيْهِمْ تَكْهِيلاً بِغَالِ سَبْعَانَةٍ أَنْفَرِ يَرِيدُ اللَّهُ لِيَنْدَبَ عَنْكَ الرَّجْسُ  
 أَصْلُ السَّبِيَّةِ وَيَكْفُرُ كَمَنْ تَكْهِيلاً بِكَمْشَرٍ وَاحِدًا وَمَعْنَى وَهَذَا بِرَأْسِ  
 كُلِّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ أَصْلًا وَمَبْنًى بِكَانَتْ أَخْفَاهُمْ حَلْسِنِي  
 وَمِنْهُمْ يَوْمَ الْغَيْمَةِ وَمِنْ أَحْبَبْتُمْ الْمَغْرِبَ الْأَسْنَى فِي سَعَادَتِهِ  
 الْأَبَدِيَّةِ وَبِأَشْرَفِهِ وَمِنْ سَبْتِهِمْ وَتَنْغَضُّهُمْ تَغْلُوكَ سِرْمَدِيَّةً

وقد

الملحق رقم 09: الصفحة الأولى من مخطوط الرد على أبوراس الناصري في قضية نسب أسرة

المشاركة للعربي المشرفي - ملك خاص -

وقد زلت له الخدم، أي كم تيب قوتة الندم، والصلاة والشكر  
 على من بد عوته أصتدين للضواب، فحطوا الله عليه وسلم  
 وواله وعنتوته والأب، فنسب الله تعالى أي يحين على ملته ومجتمعه،  
 وأي يميننا عليها ونحشونا في زمرةهم، أنه على ما يشاء فدير، -  
 أنه على ما يشاء فدير، وبالإجابة لمن دعاه جديراً، أما بعد جديراً  
 برادة الاستهلال، توكيداً لقوم استعملوا أمراض الشدادات المتأثرين  
 والغادات الغلاف، غاية الاستكمال، فحشوا بعضهم من ذريتهم  
 كأنهم جاهلون ما كان عليهم وأبوا وهم من الرفعة والمكانة زوى  
 المتراكي بعلماء المتأثرين هم سيوف تلك الدولة ونجدة تلك  
 العصابة وفخات أيا لها واليه المرجع في الحل والتربك، والاتقان  
 والتصبك، يجلون ويبرمون ويفرون الضيف ويكرمون، وتسير  
 المتراكي بحم صاده الأمتة تحبة العلماء وأهل الدين لأنهم أتباع الماع بد  
 خبيجة النعمان، ولذلك يقال لهم التركمان فقد أسلم منهم في يوم واحد  
 مائة ألف ونحو التركمان مرتب من كلمتين الأولى ترك والثانية  
 ايمان بحم ترك ايمان ركبوا ما ذه اللبضة من كلمتين تركيب مزج  
 بصارت حج كلمته واحدة كبعك وحضر موت ومعنى حرب وفيلفان  
 أسماء المعواضع ومراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وأتركوا  
 الترك ما تركوهم أنهم أسلموا من غير استباحت حديرات كمر  
 ذلك صاحب الماشاة في اشتراك العبادة والله أعلم بصراذ فبيده

الملحق رقم 10: الصفحة الثانية من مخطوط الرد على أبو راس الناصري في قضية نسب أسرة

المشاركة للعربي المشرفي - ملك خاص -

# الفهارس العامة

# فهرس الأعلام والشخصيات

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الأعلام والأشخاص

"أ"	
148	ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى أبو إسحاق الأنصاري التلمساني
137	ابراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني المصعبي
119	ابراهيم بن يحيى بن محمد بن موسى أبو إسحاق التلمساني
105	ابن أبي بكر الدلائي
155	ابن العنابي
150	ابن الفكون
144	ابن القندوز
15	ابن المفتي حسين بن رجب شاوش
38	ابن حمادوش
53	ابن زرفة الدحاوي
55	ابن سحنون الراشيدي
174	ابن عبد الله سعيد المنداسي
195	ابن هطال التلمساني
109	أبو الأسرار حسن بن علي بن يحيى العجمي اليميني المكي الحنفي
148	أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي
152	أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري
99	أبو العباس أحمد الغربي
200	أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ
203	أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني
205	أبو العباس حميدة بن باديس

258	أبو المهدي محمد بن احمد بن عامر الجعفري الثعالبي
305	أبو رأس الناصري
165	أبو زكرياء يحيى بن محمد الفكون
48	أبو زيد عبد الرحمن التوجيني الراشدي
76	أبو عبد الله محمد بن جابو التلمساني
67	أبو محمد عبد اللطيف بن عبد الكريم بن القاضي
42	أبو مدين شعيب الأشبيلي
34	أبي القاسم الزياتي
44	أبي عبد الله الشوزي
32	الأحرش الدرقاوي
116	أحمد الحياتي
158	احمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي
130	أحمد الفاسي
191	أحمد المقرئ
113	أحمد المقرئ التلمساني
250	احمد بن المبارك بن العطار القسنطيني
278	احمد بن ثابت الحسني البجائي
136	أحمد بن سحنون الشريف الراشدي
49	احمد بن سعيد بدر الدين أبو العباس الشماخي
193	أحمد بن عبد الله الجزائري
153	أحمد بن علي يوسف بن تقي الدين أبو العباس البوني
108	أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار الجزائري
47	أحمد بن قاسم البوني
41	احمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني

39	أحمد بن محمد العشماوي المكي
143	أحمد بن محمد المبارك حسرون أبو العباس القسنطيني
289	أحمد بن محمد بن أحمد بن قاسم ساسي البوني
213	أحمد بن محمد بن حسين بن علي الشمني القسنطيني
101	أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي
42	أحمد بن محمد بن هطال التلمساني
179	أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي العيش أبو العباس المقرئ
108	أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني
56	أحمد بن يوسف الملياني
53	أحمد رزوق بن عمار
281	الأخضر بن خلوف المستغامي
281	الأفضلي يحيى بن صالح
248	أهشي مصطفى
"ب"	
228	بابا مصطفى
234	بركان بن باديس القسنطيني
95	بن عبد الله بن حواء التيجاني
39	بوعبدلي
"ح"	
50	الحاج محمد النيار
61	الحجوي الثعالبي
182	حسن بن علي بن عمر أبو علي بن فكون القسنطيني
170	الحسن بن مسعود اليوسي
210	الحسن بين محمد بن السعيد الورتيلاني

143	حمد بن القوجيلي
"خ"	
139	الخرشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي
40	خليفة بن حسن القماري
"د"	
71	الدردير
"ر"	
267	راشد بن المرشد
122	الرحموني محمد صالح
134	رقان الفلتي الوهراني
"س"	
54	سعيد ابن ابراهيم أبو عثمان قدورة
171	سعيد الحميري
161	سعيد المقرئ
135	سعيد بن أحمد أبو عثمان المقرئ
125	سعيد قدورة
118	سيدي أحمد السرائري
214	سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم
260	سيدي علي بركة
251	سيدي علي حشلاف
201	سيدي محمد بن عبد الله الزبوشي
"ش"	
210	شعبان باشا

130	شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي
111	الشيخ الأجهوري
146	الشيخ محمد الطاهر ابن حوا
"ص"	
213	صالح بن احمد بن موسى بن أبي القاسم السمعوني الجزائري
41	الصدامي
"ط"	
126	الطاهر بن حواء
148	الطبار الماروني
"ع"	
231	عاشور بن موسى القسنطيني
203	عائلة ابن باديس
217	عائلة ابن تهامي
219	عائلة آل الفكون
110	عائلة الخروبي
131	عائلة المشارف
173	عائلة المقرري
164	عائلة مصطفى بن المختار
102	عبد الباقي الزرقاني المصري
203	عبد الرحمان بن احمد بن باش تارزي القسنطيني
279	عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الأخضرري
281	عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان أبو القاسم البجائي
148	عبد الرزاق بن محمد أبو محمد ابن حمادوش الجزائري
139	عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله ضياء الدين الثميني

51	عبد القادر الجيلاني
69	عبد القادر الراشدي
188	عبد القادر بن عبد الله المشرفي
215	عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن الشيخ أحمد بوجلال المشرفي
268	عبد القادر بن محمد الراشدي
289	عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون
222	عبد الله الشرقاوي
207	عبد الله الغالب
203	عبد الله بن طاهر الحسني
42	عبد المؤمن
40	عبد الواحد بن محمد اللمطي الميموني المكناسي
61	العربي بن احمد بردلة
38	العربي بن عبد القادر بن علي أبو حامد المشرفي المعسكري
43	عروج برباروس
132	عزوز بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي
119	علي الأنصاري
109	علي بن عبد الواحد الأنصاري
108	علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي
121	علي بن عيسى الراشدي
102	علي بن محمد الميلي الجمالي
108	علي بن محمد بركة التطواني
47	علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن المطغري التلمساني
99	علي والد الشيخ أبي طالب المازوني
238	عمار عبدالرحمان المستغامي

218	عمر الترابي بن أحمد المشرفي
55	عمر الوزان
97	عمر بن محمد الكمادي الأنصاري القسنطيني
98	عيسى السكتاني
106	عيسى بن إسماعيل أبو المهدي النائلي
"ف"	
152	فتح الله
141	فرحات
"ق"	
288	قدور بن محمد بن رويلة الجزائري
"ل"	
218	لبوزيدي
210	لزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن
"م"	
116	محمد المصطفى-بن زرفة
96	محمد ابن أحمد بن عبد القادر بن نصر أبوراس الناصر المعسكري
103	محمد البوزيدي
134	محمد التواتي
56	محمد السنوسي
50	محمد السوسي الفاسي
250	محمد الصحراوي دفين القلعة
252	محمد المصطفى بن زرفة
260	محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن زرفة

173	محمد بكداش
99	محمد بكداش
58	محمد بلقندوز المستغانمي
162	محمد بن أحمد البوني
61	محمد بن أحمد الوقاد
39	محمد بن احمد بن عبد القادر بن محمد أبو راس الجزائري العسكري
205	محمد بن حسين الجزائري
248	محمد بن حين الجنوي
123	محمد بن سليمان بن أدريسو الإباضي
145	محمد بن شارف المازوني
61	محمد بن عبد الرحمان التازي
161	محمد بن عبد الرحمن بن جلال أبو عبد الله التلمساني
164	محمد بن عبد الكريم المغيلي
158	محمد بن عبد الكريم محمد أبو عبد الله المغيلي التلمساني
62	محمد بن عبد الله بن أيوب
190	محمد بن عبد الله بن موفق بوجلال
248	محمد بن عثمان الكبير
281	محمد بن علي الخروبي الطرابلسي
216	محمد بن علي الخروني القلعي
121	محمد بن علي القشتالي
105	محمد بن علي بن أبي الشرف التلمساني
35	محمد بن علي بن أبي الشريف أبو عبد الله التلمساني
51	محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الشريف الجعدي
160	محمد بن علي بن حسين

235	محمد بن قاسم بن زاكور
168	محمد بن محمد بن احمد أبو عبد الله بن مريم الشريف المليتي المديوني
226	محمد بن مصطفى بن المستي
110	محمد بن يوسف الزياني البرجي
112	محمد بوجلال
130	محمد رشيد رضا،
163	محمد مصطفى بن زرفة الدحاوي
265	محمد بن احمد المسناوي الدلائي
220	محمود بن حسين العنابي
228	محي الدين
61	المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين،
38	مسلم بن عبد القادر الوهراني
82	مصطفى الرماصي
36	مصطفى باشا
61	مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي أبو الخيرات الجزائري
171	مصطفى بوشلاغم
" ي "	
285	يحي الشاوي
55	يعقوب المنصور
193	يوسف بن عدوى بن حمو أبو يعقوب الإباضي الجزائري
245	يوسف بن عيسى البوخليلي الشريف الحسني
131	يوسف بن محمد أبو يعقوب
102	يوسف بن محمد أبو يعقوب

# فهرس المدن والقرى

ثانيا: فهرس المدن والقرى

"أ"	
203	اسطمبول
42	أولاد علي
"ب"	
114	بايليك الشرق
205	بجاية
236	بسجلماسة
263	بسكرة
"ت"	
105	تبسة
48	تروذانت
129	تلمسان
149	تلمسان
264	تماسين
298	تونس
"ج"	
130	جبابرة
58	جبل مسيد
44	جرجرة
53	الجزائر
195	الجزائر العثمانية.
189	جنوب غرب الجزائر
"ح"	
101	الحنانشة
68	حيدر أباد

"د"	
41	دقمة
"ر"	
110	الرباط
142	
"ز"	
171	زواوة
132	زيان
"س"	
176	سوق أهراس
"ش"	
217	الشابية
"ع"	
131	عنابة
61	عين البيضاء
"ف"	
53	فاس
237	فرطاسة
"ق"	
132	قسنطينة
111	قلالة
52	قلعة سنان
48	قيزة
"ك"	
153	الكاف
"م"	

129	مازونة
37	المدينة المنورة
267	مراكش
228	مصر
262	معسكر
279	المغرب
108	المغرب الأقصى
112	مكة
51	مكناس
56	منطقة زاوية
234	موزاية
259	ميلة
"ن"	
267	نفطة
156	نقاوس
122	النامشة
"و"	
148	وادي مجردة
119	الونازرة
135	الونشريس
202	وهران

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم:

المصادر المخطوطة.

- البيجري محمد بن عبد السلام ، فتح الرحمن لأفقال البرهان، مخطوط خزانة علال الفاسي، الرباط، رقم: 97.
- التحفة المكية في شرح الأرجوزة الألفية.مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم:2728.
- جماعة من العلماء القراء المغاربة، أنصاف في القراءات، مخطوط بالخزانة الحسينية، رقم12332.
- الحارثي عبد القادر بن عمر، ناسخ أرجوزة في التوحيد معروفة" بواسطة السلوك" 938ه نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم:899.
- الرماصي مصطفى المعسكري، حاشية على أم البراهين، المسماة بصغرى السنوسي،مخطوط بخزانة البشير المحمودي، البرج - معسكر.
- السنوسي، نصره الفقير،مخطوط في نسختين.
- الشيخ بن حواء، تفسير القرآن العظيم، مخطوط بخزانة الشيخ جلول جيلالي، معسكر.
- عمدة البيان في فروض الأعيان. نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم:3220، ونسخة ثانية بمكتبة تونس تحت رقم1500.
- الفكون عبد الكريم ، محدد السنان في نحور الإخوان، ورقة:2.
- الكتاني عبد الحي: رحلة الكتاني إلى الجزائر، مخطوط مصور بمكتبة خاصة.
- المستغامي، إعراب القرآن الكريم، من سورة الأنفال إلى سورة المنافقون، مخطوط بخزانة عبد الباقي الشعاعي، وادي الجمعة، غليزان.

- المشرفي العربي ، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، الخزانة الحسنية، الرباط، .
- ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة، وتعرف أيضا ب:"اليواقيت الثمينة"مخطوط بالمملكة المغربية-الرباط- تحت رقم: 1534.

### المصادر العربية المحققة.

- ابن المفتي، تقييدات في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتى بها: فارس كعوان، الجزائر، العلية، بيت الحكمة، 2009
- ابن حمادوش عبد الرزاق، رحلة لسان المقال في النبأ عن النسب و الحال، تقديم و تحقيق، أبو القاسم سعد الله، م. و. ف. م، الجزائر، 1983.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الإحياء العربي، بيروت، لبنان، ط4،.السنة1974.
- ابن منظور، لسان العرب، ج4،ط8، بولاق، 1900.
- البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المنصفين، ج2، دار العلوم الحديثة، بيروت، 1955.
- بن هطال أحمد، رحلة الباي محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 1969
- التمقروطي علي أبو الحسن، النفحة المسكية في السفارة التركية، ترجمة المقدم دو كاستيري، المغرب، 1929.
- الجبرتي عبد الرحمن ، عجائب الآثار في التراجم و الأخبار، ج7، القاهرة، 1958.
- الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح و تعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت، ط2، 1964.
- خوجة حمدان بن عثمان، " المرأة " ترجمة محمد العربي الزبير، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1973.

- الدحاوي بن عبد الله المصطفى بن زرفة ، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، تحقيق مختار حسني، الجزائر، مخبر المخطوطات، ملحقة بوزيعة، جامعة الجزائر، 2002.
- الراشدي أحمد بن محمد بن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973،
- الرماصي مصطفى العسكري، ، حاشية الرماصي على التتائي على خليل، ج1، حقق نصوصه ووثقها، مصطفى بن حسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، 2015.
- الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف، نشر أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974،
- الزياني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1979م.
- السنوسي محمد بن علي الخطابي ، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1968
- العروسي عبد العزيز العيادي ، الأنصاف القرآنية رواية ورش، مطبعة، بارطيل طنجة، ط3، 1999.
- العسكري أبو الحسن ، كتاب التصحيف و التحريف، ج1، القاهرة، 1808.
- عليش محمد، القول الوافي في السيد بخدمة شرح عقيدة التوحيد، بدون تاريخ.
- العنثري محمد صالح، الفريدة مونيصة أو تاريخ بايات قسنطينة، مراجعة و تقديم وتحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- عودة محمد بن عبد الله وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.
- العياشي محمد بن عبد الله، الرحلة العياشية 1661-1663م، ط1، تحقيق و تقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

- الفكون عبد الكريم، محدد السنان في نحور الإخوان، ورقة:2.
- // //، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تقديم و تحقيق و تعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987.
- فهرس أحمد المنجور، للتأليف والترجمة والنشر-سلسلة الفهارس- تحقيق محمد حجي أستاذ بكلية الآداب الرباط، المملكة المغربية، 1396هـ/1976، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
- المزارى بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران واسبانيا وفرنسا، ج1، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.
- الورتيلاني محمد، الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج2، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، ط1، 2011.

### ج-المصادر المعربة:

- شالار وليام، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب و تعليق و تقديم إسماعيل العربي، ش. و. ن.ت، الجزائر، 1982.
- كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت قنصل أمريكا بالمغرب، ترجمة و تعليق و تقديم إسماعيل العربي، د. م . ج. الجزائر، 1982
- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غرب افريقيا، ج 2، الجزائر، 1976.

### 2- باللغة الأجنبية.

- Ammerat. bureau de bienfaisances indigènes. R.A.année1899.-De Riancey Charles Camusat, La situation religieuse de l'Algérie, La librairie centrale, Paris.1846.
- André P.J, Contribution à des confréries religieuses musulmanes, maison de livres, 1956.
- Arnaud .Voyages extraordinaires et nouvelles agreables.Par Mohamed Abou Ras. R.A. annee1878.
- Babes Leila, Saints-Tribus et pouvoir politique dans le constantinois sous la domination turque, universitéd'Oran

- Belhmissi M. Histoire de mazouna. Les origines a nos jours. Imp. Ahmed Zabana. Alger.1982.
- Berque Jacques. Intérieur du Maghreb du15 au19ème siècle. Ed. Gallimard. Paris
- BOUGIE-FERAUD.C. HISTOIRE DES VILLES DE LA PROVINCE DE CONSTANTINE. PARIS. 1869.
- BOYER. P. LA VIE QUOTIDIENNE A ALGER A LA VEILLE DE L'INTERVENTION FRANCAISE. HACHETTE.PARIS.1962.
- Brahimi Denise. opinions et Regards Des Européens sur le Maghreb aux 17et18ème siècle société nationale d'édition et de diffusion. Alger 1978.-Devoulx Albert, les édifices Religieux de l'Ancien Alger. R.A.1864.
- Busson De Janssens Gérard. L'Independence du culte musulman en Algérie, Librairie générale du droit et de jurisprudence. Paris.1951.
- Charbonneau. A .inscriptions arabes de la province de Constantine.
- Delphin.G. histoire des pachas D'Alger de 1515-1749.in J.A.Avril. Juin. 1922.
- De-Paradis Jean Michel. *Tunis ET Alger au 18èmesiècle*. Edition Sindbad. Paris.1983.
- Devoulx.A. les édifices Religieux de l'Ancien Alger. R.A.1864.
- Feraud. C. histoire des villes de la province de Constantine. Bougie. Paris.1869.-
- Haedo. Topographie et histoire générale d'Alger .R.A.1870.
- Mercier. E. le code de habous ou ouakf selon la législation musulmane Constantine.1899
- Pélissier. Annalesalgériennes,T3,Dumaine.Paris1854.seigneur des Hanancha. R.A.1874.
- Raymond. A.grandes villes arabes a l'époque ottomane. Sindbad. Paris.1985.
- Saidouni.N.lalgerois rural a la fin de lépoque ottoman 1791-1830.Dar al Harb a lislam.Beyrouth.2001.
- Shaw. Voyage dans la régence d' Alger. Traduitde l'Anglais par J.Mc Carthy.2èmeéditionBousslama. Tunis.
- Trumelet Emile, Les saints de l'islam, légende et croyances Algériennes, les saints du tell, Dédier, 1881.
- Vayssette. Histoire de Constantine sous les beys. Constantine.1868.

-المراجع-

-باللغة العربية-

- الإبراهيمي محمد البشير ، التراث الشعبي و الشعر الملحون في الجزائر، تحقيق: عثمان سعدي، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2010.
- الألفي رضا ابراهيم ، فتاوى النوازل في القضاء المالكي المغربي، فاس، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب، 1980
- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968.
- بلحميسي ، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليلين، منشورات الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، الجزائر، 2005.
- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979.
- بن حموش مصطفى ، مساجد مدينة الجزائر و زواياها و أضرحتها في العهد العثماني، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001.
- بن حموش مصطفى، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني، 1549-1830، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2000م.
- بن خروف عمار ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ج1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.
- بن عبد الكريم محمد، المقري وكتابه نفح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- بن منصور عبد الوهاب، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880م، المطبعة الملكية، الرباط، 1985.
- بن هون حاج أحمد يحي ، رحلات إباضية، تحقيق و تعليق يحي بن بهون حاج أحمد، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011

- بوداود عبيد ، الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين 15/13م ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
- بورويبة رشيد ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- بوعزيز يحي ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- بوغوفالة ودان ، الثورة الفرنسية في الاسطوغرافيا المغاربية-دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13ه/19م، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 1425ه/2004م.
- بوغوفالة ودان ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- بوغوفالة ودان ، أوقاف مليانة و المدينة في العهد العثماني. دراسة في النشاط الاقتصادي و البنية الاجتماعية و الحياة الثقافية، جامعة الجزائر، 2006-2007.
- بوقلي جمال الدين حسن ، الإمام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، طبع هذا الكتاب على نفقة وزارة الثقافة في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ط1، 2011.
- الجعفري مبارك بن صافي ، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12ه، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، 2009.
- حرازم علي برادة، جواهر المعاني و بلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني"الكناش"
- حمدادو بن عمر، عرفانية الخطاب من خلال رسائل علماء المغرب الأقصى والأوسط، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- الرافي مصطفي الصادق ، تاريخ آداب العرب، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003

- سعد الله أبو القاسم ، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية-1800-1830-م. و. ك.، الجزائر، 1985.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- سعد الله أبو القاسم ، دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986.
- سعد الله أبو القاسم ، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، 1998.
- سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الإمارات العربية المتحدة، 2000.
- سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ- العهد العثماني، ج4، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- شترة خير الدين ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ط2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، م.ف.م للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2000.
- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2005.

- غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، إعداد: أ. زكية زهرة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين 1954.
- فراج أحمد حسين-محمد كمال الدين، نظام الإرث والوصايا وأوقاف في الفقه الإسلامي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2002.
- قبائلي هوارى، السياسة الفرنسية اتجاه الدين الإسلامي ومؤسساته بالجزائر 1830-1962، منشوراتمخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم، جامعة وهران 1، الجزائر، 2016.
- القحطاني راشد سعد راشد، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الرياض، 1994.
- كوثراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي في تاريخ الولايات العثمانية، ط1، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، 1988.
- مريوش أحمد ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971.

### 3-المقالات.

#### أ-باللغة العربية

- بن سعد محمد السعيد ، الكتابات والزوايا بالجنوب الجزائري، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الثاني 2012، جامعة معسكر، ص229.
- بوروبة رشيد، وصف الجامع الكبير بقسنطينة، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة الأصالة، العدد 05، مطبعة البعث، قسنطينة 1971، ص88.

- بوشنافي محمد، أوقاف الموظفين والجنود بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، العدد الأول، مختبر الجزائر والحوض الغربي للبحر المتوسط، جامعة سيدي بلعباس، 2015، ص284.
- البوعبدلي المهدي"أضواء حول تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مجلة الأصالة، العدد 8، 1392هـ/1972.
- البوعبدلي المهدي، المراكز الثقافية وخزائن الكتب بالجزائر عبر العصور، مجلة الأصالة، العدد11، الجزائر، 1972م، ص41.
- البوعبدلي المهدي عبد الكريم الفكون القسنطيني(988-1073هـ) والتعريف بكتابه منشور الهداية في كشف حال من ادعى الولاية"، مجلة: الأصالة، العدد13، الجزائر، 1979، ص18.
- البوعبدلي المهدي، "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى" مجلة الأصالة، العدد 13، 1973، الجزائر، ص ص19-37.
- بوعزيز يحي ، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، مجلة الثقافة، العدد 63، 1981، ص29.
- البيومي ابراهيم غانم، نحو تفعيل دور نظام الوقف في توثيق علاقة المجتمع بالدولة، المستقبل العربي، العدد:266، 2011، ص45.
- التميمي عبد الجليل ، وثيقة عن أملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1980، ص19.
- زيدان نعيمة: "سيرورة المدرسة الجزائرية". مجلة المواقف: مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي، معسكر، العدد الأول، ديسمبر/ جانفي 2007، ص27.
- سعد الله أبو القاسم،"أربع رسائل بين باشاوات الجزائر وعلماء عنابة"،مجلة الثقافة،العدد1979،51، ص19.

- سعيدوني ناصر الدين /المهدي البوعبدلي، وثائق أصلية تلقي الضوء على حياة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، العدد75، الجزائر، 1983، ص27.
- سعيدوني ناصر الدين ، "الأوقاف بفحص مدينة الجزائر: دلالات اجتماعية ومؤشرات اقتصادية"، أعمال ندوة الجزائر، 30/29 مايو، 2011، ص79.
- عقاب محمد الطيب ، نماذج من معالم مدينة الجزائر المزالة من طرف الاستعمار الفرنسي، مجلة: آثار، أعمال الملتقى الوطني الثالث حول: دور الآثار وأهميتها في كتابة التاريخ الوطني، بوزريعة، عدد خاص، 2013.
- غطاس عائشة، "حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفيين بمدينة الجزائر"، أعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دراسات إنسانية، عدد خاص، 2017، ص148.
- قرمان محمد، المؤسسات الدينية والتعليمية لمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني، معهد الآثار، أعمال الملتقى الوطني الثالث، عدد خاص، 2013، ص78.
- مزيان عبد الحميد، "المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة الثقافة، عدد 22، الجزائر، 1986، ص8.
- مسعود العيد، "الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني" سرتا، العدد3، مايو 1980، ص64..
- مغلي محمد البشير الهاشمي، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، العدد:6، ص157.
- نمير عقيل ، أوقاف مؤسسة سبل الخبرات من خلال المساجد الحنفية، أعمال ندوة الجزائر، 2011. عدد خاص، ص122.
- ب- باللغة الأجنبية.**

- A.Giagobetti des pères blanches kiteb en nasab R.A.T59.1908.PP74-85.
- A.joly. la légende de sidi Ali ben Malek. R.A..T52.1908.PP74-85.2

- Arnaud.les tribus Cheurfa nobles. Traduction d'un fragment d'un livre de la vérité. Par Mohamed ben Bouzid. R.A. N.17. année 1873.p329.
- Charbonneau - A .inscriptions arabes, de la province de Constantine. In annuaire société archéologique, province de Constantine,1856-1857..
- Ed.Destaing."yennayer chez les benni-snous."R. A.vol 49. annnee.1905.p51.
- Emérit M. Revue :les aventures de thedenat esclave et ministre d'un bey Afrique.R.A.1948.p25.
- Ferauld Ch.Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine. R.A.année 1868.P..
- L.Guin. le collier de pierres précieuses ou mention des principaux personnages d'origine noble de la contrée du Reris .R.A.T.35.1891.pp241-280.
- L.Guin.de la suppression du Manuscrit les réflexions brillantes de jupettes ou commentaire du collier précieux. Qu'avait rédigé Mohamed Bou Ras. R.A. T.31.1887.PP.7-26.
- LECLERC. .Inscription Arabe De Mascara. In. R.A. N 04.1860.P 44.

#### 4- الرسائل الجامعية.

- بحري أحمد، حاضرة مازونة-دراسة تاريخية و حضارية في العصر الحديث1500-1900، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2013/2012م.
- بلبروات بن عتو،الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري 1779/1797م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة وهران 2001-2002.
- بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب 1711-1830م-معسكر نموذجاً-مذكرة ماجستير، جامعة معسكر،2008-2009.
- بوشنافي محمد، القضاء والقضاة خلال العهد العثماني 16-19م، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2008.
- بوكعبر تقي الدين، دراسة وتحقيق مخطوط للعربي المشرفي في الرد على أبي راس الناصر في قضية نسب أسرة المشارفة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص الدولة و المجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، 2013/2014م.

- حمص لطيفة ، المجتمع و السلطة القضائية بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 16-19م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: عائشة غطاس، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2011/2012م.
- دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب جزائري قديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2015.
- زدك ابراهيم، الفتوى عند علماء الجزائر في العهد العثماني 1518-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة معسكر، 2012/2013.
- عبو ابراهيم، ثقافة المقاومة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2012/2013.
- عمراني محمد، الشرف والمجتمع والسلطة السياسية في الشمال الغربي المغربي نموذجا من القرن 16-19م، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، خزانة كلية الآداب، الرباط، 2008-2009.
- مخفي المختار، العلماء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2012/2013.
- مرتاض عبد الحكيم ، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني تأثيراتها الثقافية و السياسية 924-1830/1518.ه46-924، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار 2014/2015.
- مصدق سمية، أشرف غريس من خلال مصادر النسب ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر 17-19م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015/2016م.

# فهرس الموضوعات

# فهرس املوضوعات



	شكر وتقدير
	الإهداء
أ-ع	المقدمة العامة
مدخل: الحياة الثقافية والروحية في الجزائر خلال العهد العثماني	
القسم الأول: الظروف السياسية و الثقافية في الجزائر	
الفصل الأول: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني	
36	أولاً: المنشآت الدينية
36	1- المساجد
38	أ- مساجد مدينة الجزائر
39	ب- مساجد مدينة قسنطينة
39	ت- مساجد مدينة عنابة
40	ث- مساجد مدينة وهران
41	ج- مساجد مدينة تلمسان
42	ح- مساجد جنوب غرب الجزائر
44	خ- الجامع الأعظم المالكي
50	2- المدرسة
52	- المدرسة المحمدية بمعسكر
52	- الحركة العلمية بالمدينة المحمدية
55	- مظاهر التأليف عند علماء المدرسة المحمدية
63	3- الزوايا
64	أ- زاوية الجامع الكبير
65	ب- زاوية الأشرف
66	ت- زاوية محمد الشريف
66	ث- زاوية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي
66	ج- زاوية عين الحوت

68	ثانيا: المراكز العلمية
68	1- الكتابيب
68	2- المكتبات وخزائن الكتب
72	3- الرباطات
75	ثالثا: دور الوقف في نشر التعليم والثقافة بالجزائر العثمانية
79	أ- أوقاف الحرمين الشريفين
84	ب- أوقاف مؤسسة سبل الخيرات
85	ت- أوقاف مؤسسة بيت المال
86	ث- أوقاف أهل الأندلس
87	ج- دور الأوقاف بمدينة الجزائر
<b>الفصل الثاني: اهتمامات علماء الجزائر وعلاقتهم بالسلطة السياسية</b>	
93	علماء المدينة والريف
96	1- علماء المدينة
97	2- علماء الريف
101	الأدوار التربوية لعلماء الجزائر
101	أ- التعليم
102	ب- التأليف
106	ت- مبعوثين ومفاوضين ووسطاء
107	3- الدعوة إلى إصلاح الجيش والجهاد العسكري
109	4- المؤثرات الثقافية ومستوى علماء الجزائر
109	أ- المؤثرات الثقافية
117	ب- مستوى علماء الجزائر العثمانية وأخلاقهم.
120	علاقة علماء الجزائر مع بعضهم و السلطة السياسية خلال العهد العثماني
123	5- التواصل الحضاري بين الجزائر ومحيطها الجغرافي
124	أولا: مع المملكة المغربية
139	ثانيا: العلاقات السياسية و الثقافية بين الجزائر و تونس
142	6- موقف علماء المغرب الإسلامي من القضايا المستحدثة
144	أ- فتوى: خروج مسلمي الأندلس
144	ب- فتوى أحمد الونشريسي

144	ت-فتوى من تجاسر على سب الدين من اليهود
145	7- العلماء والسلطة السياسية خلال العهد العثماني
145	أ- التقارب بين العلماء و السلطة السياسية
149	ب- القطيعة بين العلماء و السلطة.
<b>القسم الثاني: العلوم عند علماء الجزائر</b>	
<b>الفصل الثالث: العلوم النقلية عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني</b>	
158	العلوم النقلية
158	أولاً: علوم الكلام
160	أ- دور الشيخ محمد السنوسي في تطور علم الكلام
164	ب- مفهوم التربية عند الشيخ محمد السنوسي
170	ثانياً: علم تفسير القرآن الكريم
176	ثالثاً: علم القراءات والأنصاف القرآنية
177	رابعاً: الأنصاف القرآنية
177	خامساً: علم الحديث
181	سادساً: علوم السيرة النبوية المطهرة
184	سابعاً: ختمات صحيح البخاري ومناسبتها
185	ثامناً: علم الفقه
<b>الفصل الرابع: العلوم الاجتماعية عند علماء الجزائر</b>	
193	أولاً: النوازل
195	1- مسألة تعاطي الحشيشة وشرب الدخان
199	ثانياً: علم التاريخ
203	1- أهمية المصادر المحلية في التأريخ للوضع الداخلي بالجزائر
210	2- أهمية المصادر التاريخية في عملية التأريخ
211	أ- الجانب السياسي
211	ب- الجانب الاجتماعي
224	ت- الجانب الاقتصادي
227	ثالثاً: الأسباب بمنطقة معسكر
229	1- علم الأسباب وأهميته

230	2- مكانة الأشراف الثقافية والدينية عند أهل غريس
232	3- علماء الجزائر وعلم النسب
232	أ- كتب الأنساب العامة
240	ب- كتب الأنساب الخاصة
244	ت- مؤلفات الأنساب المخصصة للأسر
248	ث- مؤلفات الأنساب التي اهتم بها الفرنسيون
249	رابعاً: علم التصوف
258	خامساً: الرحلات
259	1- الرحلات العلمية
274	2- الرحلات الحجازية
285	سادساً: علم النحو
288	سابعاً: الغوثية
289	ثامناً: الشعر
290	الأغراض الشعرية
290	1- الاستنجاد
291	2- الشعر الديني
291	3- المدح
292	4- التوسل
293	5- الرثاء
293	6- الغزل والمجون
295	7- الهجاء
297	8- الشعر الشعبي والملحون
324	الخاتمة العامة
306	الملاحق
325	فهرس الأعلام والشخصيات
353	فهرس المدن والقرى
339	قائمة المصادر والمراجع
372	فهرس الموضوعات